منشورات
... الوطني للمحفوظات والدراسات التاريخية
... الدراسات التاريخية رقم (99)

العلاقات الليبية المصرية
منذ عهد الهكسوس حتى نهاية الحكم الليبي لمصر

1730 ـ 730 ق. م. تقريباً



تأليف
حسين محمد سالم عامر
قسم التاريخ ـ كلية الآداب ـ جامعة الفاتح



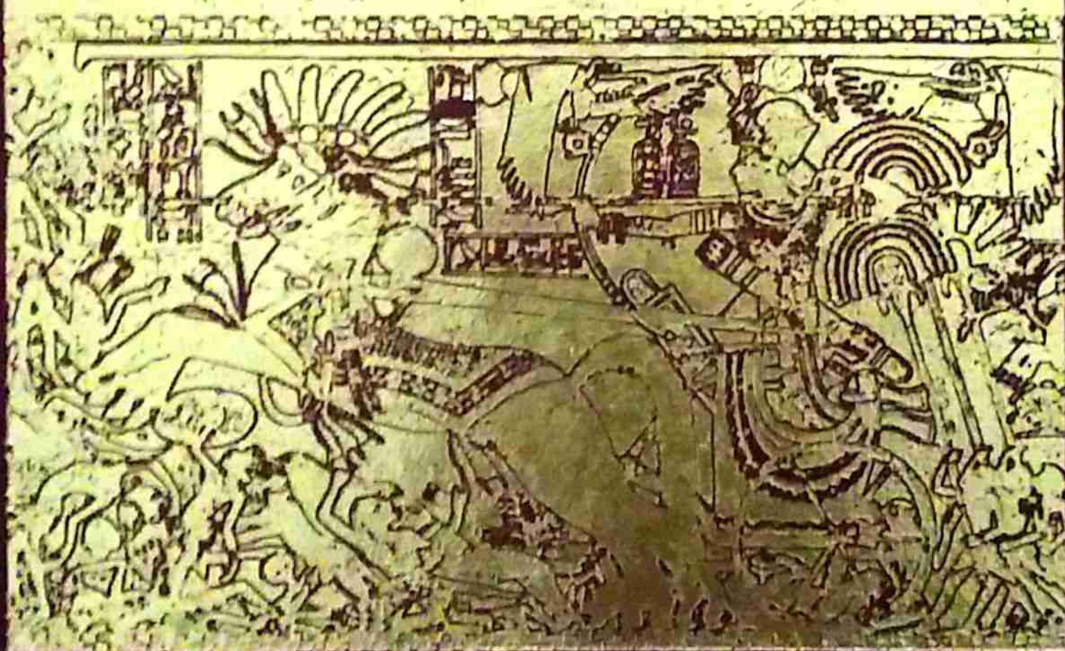
الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية العظمى
2009

منشورات
المركز الوطني للمحفوظات والدراسات التاريخية

سلسلة الدراسات التاريخية رقم (99)

العلاقات الليبية المصرية
منذ عهد الهكسوس حتى
نهاية الحكم الليبي لمصر

1730 ـ 730 ق. م. تقريباً



تأليف
حسين محمد سالم عامر
قسم التاريخ - كلية الآداب - جامعة الفاتح



الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية العظمى
2009

العلاقات الليبية المصرية
منذ عهد الهكسوس
حتى نهاية الحكم الليبي لمصر
(1730 ـ 730 ق.م. تقريباً)

عامر. حسين محمد سالم

العلاقات الليبية المصرية منذ عهد الهكسوس حتى نهاية الحكم الليبي لمصر (1730 ـ 730 ق.م.)

حسين محمد سالم عامر ـ طرابلس: المركز الوطني للمحفوظات والدراسات التاريخية 2009

360 صفحة 17 × 24 سلسلة الدراسات التاريخية (99)

المركز الوطني للمحفوظات والدراسات التاريخية

هاتف: **3331782 ـ 4446987 ـ 4446988 21 00218**

ص.ب. **5070** فاكس: **3331616 21 00218**

Website: www.libsc.org

البريد الالكتروني: www.libyanjihad@libsc.org

طرابلس ـ ليبيا

الطبعة الأولى

2009

رقم الإيداع: 2009/542

ردمك: ISBN 978-9959-23-181-9

دار الكتب الوطنية بنغازي

هاتف: 9090509 ـ 9096379 ـ 9097074

منشورات
المركز الوطني للمحفوظات والدراسات التاريخية

سلسلة الدراسات التاريخية رقم [99]

العلاقات الليبية المصرية
منذ عهد الهكسوس
حتى نهاية الحكم الليبي لمصر

(1730 - 730 ق.م. تقريباً)

تأليف

حسين محمد سالم عامر

قسم التاريخ/كلية الآداب

جامعة الفاتح



الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية العظمى

2009

المحتويات

المحتويات 5

المقدمة 13

رموز ومختصرات 23

الفصل الأول: نشأت الدولة القديمة 25

المبحث الأول: نشأت الدولة القديمة وعلاقتها بليبيا 27

مراحل الدولة وتطورها 29

أولاً: مرحلة المستوطنات 30

ثانياً: نشأة الأقاليم 33

ثالثاً: مملكتي الشمال والجنوب 34

رابعاً: مرحلة الوحدة 35

العلاقات المصرية الليبية في العهد المبكر للدولة المصرية القديمة 36

لوحة الصيد (صلاية صيد الأسود) 39

لوحة التحنو 39

لوحة الملك نارمر 40
صلاية الأسد والثعبان 40
المبحث الثاني: تكوين وادي النيل الاجتماعي وعلاقته بالمنطقة الغربية .. 43
1 ـ وادي النيل بين سام وحام 43
2 ـ البحث بين الوهم والحقيقة 47
3 ـ المركز والأطراف 49
4 ـ الأسطورة الحقيقية 50
5 ـ مصر والمصريين 53
6 ـ العلاقات بين الأرض السوداء والأرض الحمراء 54
7 ـ المهاجرون من الرعي إلى الزراعة 56
المبحث الثالث: المفاهيم السياسية الحديثة وعلاقاتها بالتاريخ القديم 59
حكم التاريخ 59
أولاً: مصر القديمة الدولة 60
ثانياً: ليبيا بين المفهوم السياسي والاجتماعي 64
المبحث الرابع: مدى مصداقية تفسير وتأويل النصوص التاريخية 71
قراءة جديدة للمصادر المصرية 77
الفصل الثاني: وادي النيل بين المشرق والمغرب 93
المبحث الأول: ضعف السلطة المركزية 95
أ ـ تاريخ الدولة المصرية بين التصور والواقع 95
ب ـ تبادل السلطة بين المركز والأطراف 97

جـ ـ عودة الحكم المركزي 98
د ـ العوامل التي تقف وراء ضعف الحكم المركزي 100
المبحث الثاني: أوضاع مصر السياسية خلال فترة الإنحلال الثانية 107
الأسرتان السابعة والثامنة 2280 ـ 2025 ق.م 111
الأسرتان التاسعة والعاشرة 113
الأسرتان الحادية عشرة والثانية عشرة 2134 ـ 1786 ق.م 114
مقتطفات من شكاوي الفلاَّح 125
الملامح السياسية للفترة الثانية: الأسرة الثالثة عشرة والرابعة عشرة:
1778 ـ 1680 ق.م 126
الأسرة الرابعة عشرة 129
الأسرات: الخامسة عشرة والسادسة عشرة والسابعة عشرة 129
هـل كان عصر إنهيار حقاً؟ 132
المبحث الثالث: الهجرة الهكسوسية 135
الهكسوس يحكمون الوادي 154
الهكسوس في ميزان التاريخ: مالهم وما عليهم 157
حرب التحرير المزعومة وطرد الهكسوس من مصر 164
المبحث الرابع: أثر الهجرات الليبية والهكسوسية 171
ازدهار حضارة الوادي في عهد الأسرة الثانية عشرة 183
الفصل الثالث: الليبيون في الدولة الحديثة 189
المبحث الأول: الأسرة الثامنة عشرة 191

الخروج من الوادي 191
مظاهر السياسة الجديدة 192
أحمس والليبيين 192
أمنحتب الأول 194
تحتمس الأول 195
تحتمس الثالث 197
المبحث الثاني: الأسرة التاسعة عشرة: الثورة الليبية الأولى 201
حكومة جديدة لعصر جديد 201
دولة الضباط 203
عصر مرنبتاح والثورة الليبية 209
نهاية الثورة 221
المبحث الثالث: الأسرة العشرين والثورة الليبية الثانية 223
ما بين الثورتين 223
رمسيس الثالث وعهده 225
الثورة الليبية الثانية (الحرب الأولى) 226
ب ـ مصادر الثورة 229
مجريات الحرب 230
زحف القبائل الغازية 233
نصوص رمسيس والحرب 234
تجدد الثورة: الحرب الليبية الثانية 235

المشـوش 236

الفصل الرابع: الحكم الليبي في مصر 245

المبحث الأول: الأوضاع السياسية في مصر قبيل قيام الحكم الليبي 247

انقلاب السحر على الساحر 248

شجرة نسب الأسرة 249

شيشنق فرعوناً 254

ملـوك الأسـرة 256

أولاً: شيشنق الأول 256

ثانياً: أوسركون الاول 929 ـ 893 ق.م 257

ثالثاً: تأكلوت الاول: 893 ـ 870 ق.م 258

رابعاً: أسركون الثاني 870 ـ 850 ق.م 259

خامساً: تاكلون الثاني 260

سادساً: شيشنق الثالث 823 ـ 772 ق.م 261

سابعاً: بامي 772 ـ 767 ق.م 262

ثامناً: شيشنق الرابع أو الخامس 767 ـ 730 ق.م 263

الأسـرة الثالثة والعشـرون 264

قيام الآسرة الثالثة والعشرون 265

ملوك الأسرة الثالثة والعشرين 267

ثالثاً: أوسركون الثالث: 757 ـ 748 ق.م 268

رابعاً: تاكلوت الثالث 269

خامساً: الملوك الأواخر للأسرة 269
الأسرة الرابعة والعشرين 271
بوخوريس (باك أن رف): 720 ـ 715 ق. م 274
المبحث الثاني: التطورات السياسية وعلاقة الدولة بالأقاليم المجاورة في فترة الحكم الليبي 277
1 ـ دولة جديدة وعصر جديد 277
2 ـ ظهور العبرانيين 278
3 ـ شيشنق والعبرانيين 282
4 ـ حملة شيشنق 920 ق.م 282
5 ـ مصادر الحملة 283
6 ـ بين التوراة ونصوص شيشنق 288
7 ـ نتائج الحملة 290
دورة جديدة من الصراع 292
أوسركون الثاني والعبرانيين 292
العلاقة مع بلاد النوبة 295
علاقة الأسرة بالصحراء الغربية والواحات 298
المبحث الثالث: الحكم الليبي لمصرنتائجه السياسية والاجتماعية والحضارية 301
أولاً: النتائج السياسية 301
ثانياً: النتائج الاجتماعية 307

نظام الطبقات الإجتماعية 309
ثالثاً: النتائج الحضارية 310
الأدب في عصر الحكم الليبي 319
الخاتمة 323
المصادر والمراجع 329
فهرس الأعلام 339
فهرس المواقع والأماكن والبلدان 347
فهرس القبائل والطوائف والفرق 355

المقدمة

يواجه الباحث في التاريخ تساؤلاً قد يطرحه العديد من الناس، حول جدوى الدراسة التاريخية في مجملها، ودراسة التاريخ القديم، على وجه الخصوص، ويرتبط هذا التساؤل بموقفنا من التاريخ كعلم، وقدرته على اضافة أي جديد لحياتنا المعاصرة ومشاكلها المعقدة، التي تشغل بال كل الشعوب والمجتمعات. وقد يبدو ذلك التساؤل منطقياً، ونحن نشهد صراعاً مريراً بين الأمم والشعوب تستخدم فيه أشد أدوات الصراع فتكاً وتدميراً، يستخدمها القوي للسيطرة على الضعيف ويستخدمها الضعيف إن تمكن من الحصول عليها للدفاع بها عن نفسه وردّ رغبة الأقوياء الجامحة في السيطرة وفرض النفوذ، فما هو دور التاريخ كعلم في دعم موقف هذا الطرف أو ذاك؟ وهل يستوي دور دراسة تاريخية جادة مع دور أي سلاح يمكن استخدامه في أي معركة أو صراع؟ خاصة وإن تلك الأسلحة صارت على درجة كبيرة من التطور تكفي لحسم صراعاً انقضت عليه مئات السنين في لحظات، ولن تتمكن بالطبع آلاف الوثائق التاريخية أو الدراسات التي تقوم عليها من وقف انحدار بعض الأطراف إلى هذا المصير أو ذاك.

إن هذا التصور الذي يقلل من قيمة الدراسة التاريخية في نظر مؤيديه، قد يثبّط همة أي باحث لا يدرك القيمة الحقيقية لهذا العلم (العزيز في مذهبه

والشريف في غايته) كما وصفه ابن خلدون إلا أن الادراك العميق لقيمة التاريخ من جهة والخلفية التاريخية لمعظم الأحداث المعاصرة، التي تعيشها مختلف الأمم والشعوب وعلى رأسها هذه الأمة، التي تنتشر بين المحيط غرباً والخليج شرقاً من جهة أخرى، تجعل من هذا الرأي عبث لا طائل من ورائه. إن الحاضر والمستقبل بكل مشاكله وتحدياته لا يعالج معالجة صحيحة، إلا بالنفاذ إلى جذوره العميقة فالانسان في أي مجتمع هو إلى حد كبير نتاج الماضي، وكذلك الجماعة الانسانية، أيّة جماعة مهما كانت الصفة التي تحملها.

لقد أدركت بعض الجماعات قيمة التاريخ كسلاح فعال لخدمة أهدافها والترويج لمعتقداتها، وكسب صراعاتها بل وتشكيل تصورات الآخرين عن ماضي وحاضر ومستقبل المجتمعات البشرية، وقد وجدت في المادة التاريخية المتراكمة عبر آلاف السنين ذخيرة لا تنضب لتموين جيوشها المقاتلة على ساحة الدراسات التاريخية وما يرتبط بها من ساحات فكرية أو عقائدية، ولعل التجربة اليهودية خير مثال على ذلك والتي تبدأ منذ أن وضع قادتهم السياسيين والدينيين مشروعهم التلمودي الذي يمثل حسب تعبير أحد الباحثين أكبر عملية سطو ثقافي وديني على تراث وفكر الآخرين حتى صار ذلك التراث التوراتي مصدراً أساسياً لدى الكثير من الباحثين في تفسير التاريخ بكل أحداثه وتفاصيله، وقد أدرك هؤلاء قيمة التاريخ في صراعهم مع الآخرين، وتكفي الاشارة إلى قصة الباحث الأثري الايطالي (كارلوساجان) ونهايته المؤلمة على يد المخابرات الصهيونية لجهوده الكبيرة في كشف وترجمة الكنز الثقافي الضخم الذي اكتشف في مدينة (أوغاريت) والذي أثبت أنَّ معظم إن لم نقل كل التراث التاريخي الثقافي الذي نسبه اليهود لأنفسهم إنَّما هو ثمرة تجربة إنسانية حضارية عميقة الجذور لا تمت بصلة إلى الجماعة اليهودية.

لقد أدرك عدد كبير من الباحثين عرباً وأجانب الأثر الخطير الذي تركه ذلك التراث اليهودي في نسج خيوط التاريخ القديم للمنطقة العربية مما نتج عنه

ذلك (الثوب التاريخي) الغريب المليء بالرقع فصارت الحضارة الواحدة حضارات متعددة آشورية وبابلية وكلدانيه وعمورية وكنعانية وفرعونية وبربرية، وصارت الكيانات السياسية أمم مختلفة لا تمت بصلة لبعضها البعض وأن وجدت هذه الصلات فإنها ليست سوى أثر من آثار الجوار المشترك في أحسن الأحوال.!!

لقد سقط في فخ هذا التصور بعض الباحثين العرب، فتفاخروا بحضاراتهم في وجه جيرانهم المتخلفين، ووفق ذلك فلن يكون غريباً أن ينسحب هذا التصور الخاطئ للتاريخ على العلاقات بين الدولة المصرية القديمة وبين القبائل البدوية أو شبه الحضرية التي كانت تعيش على تخوم نفوذها السياسي فالجنوبيين زنوج أفارقة لم يكونوا سوى عبيداً للمصريين وأرضهم منجم ذهب لا ينضب والشرقيين قوم همج متخلفون لا أصل لهم جاءوا من براري آسيا البعيدة ليستعمروا مصر، حتى طردوا شر طرده وتفرقوا أيدي سبأ ولم يعد لهم ذكر أو وجود، أما الغربيون فهم أيضا جنس متبربر غريب، اجتاز البحر المتوسط كما يرى البعض، ليلقي بعصا ترحاله على أرض شمال أفريقيا، ومن هناك بدأ يحيك المؤامرات للقضاء على هذه الحضارة المبدعة، ويستولي على خيرات الوادي، التي وهبها الله للمصريين دون سواهم وإن تاريخ الصراع بين الطرفين ليس سوى تلك الملحمة التي صنعها الفراعنة العظام، لرد الطامعين، ودحر المتآمرين. أما عندما ينتصر هؤلاء في جولة من جولات الصراع، والصراع ظاهرة طبيعية في كل المجتمعات فأن سلطتهم ودولتهم، ليست سوى دولة المهجنين أو المرتزقة، أو أية صفه أخرى تكون مناسبة للمقام. أن الخلط بين ما هو سياسي وما هو حضاري، هو الذي قاد إلى هذا التصور الغريب لتاريخ العلاقة بين الطرفين، وهو يشبه به تماماً، أن يتحدث مؤرخ إسلامي عن الأمة الأموية أو الحضارة الأموية أو عن الأمة العباسية والأمة الفاطمية أو عن الحضارة العباسية والحضارة الفاطمية، وأن يوصف أتباع هذه الدولة أو تلك اذا ما ثاروا عليها أو رفضوا سياستها نتيجة لظروف سياسية طارئة بأنهم أغراب أو همج أو متخلفين.

أن في تاريخ الانسانية محطات حضارية بالغة الأهمية نقلته من مرحلة الحيوانية إلى أعتاب الحضارة ومنها اكتشاف النار، واكتشاف الكتابة وقبلها ممارسة حرفة الزراعة التي قادت إلى الاستقرار وظهور أولي للمجتمعات الحضرية، وقد أهتم الباحثون بهذه المحطات إلا أن تجربة حضارية أخرى لم تحظى بالقدر الكافي من الاهتمام ونعني بها اكتشاف الدولة إن صح هذا التعبير فقد أدى التطور الإجتماعي التدريجي إلى ظهور ذلك النظام السياسي الذي عرفناه باسم الدولة وكان له أثره البالغ في حياة الانسان فالدولة تحتاج إلى أرض تمارس عليها سلطتها والى شعب محدد تحكمه والى جيش يحمي مصالحها وحدودها ولأن سلطة هذه الدولة أو تلك لن تكون مطلقة بغير حدود، لذلك فإن قيام الدولة لا بد أن يعزل أرض عن أخرى وجماعة عن أخرى، واقليم عن آخر، ولن تلق الدولة عندئذ بالاً للروابط الاجتماعية أو العلاقات التاريخية بل أن اهتمامها الأول والأخير سيكون الحفاظ على مصالحها وحراسة حدودها واعتبار كل من يتعداها معتدي يجب رده وردعه أو القضاء عليه إلا اذا أثر السلامة ورضي بالخضوع. وذلك كان في الحقيقة واقع الأمر بين الدولة المصرية، وبين القبائل الليبية.

من الحقائق التي لا تخطئها عين الباحث في تاريخ المنطقة العربية منذ أقدم عصورها وحتى الآن ظاهرتين مرتبطتين أشد الارتباط ببعضهما البعض.

أولهما: ظاهرة الهجرة. وثانيهما: انقسام مجتمع المنطقة انقساماً حاداً إلى حضر وبدو ومن تفاعل هاتين الظاهرتين تنبع معظم أحداث التاريخ القديم للمنطقة العربية، وذلك في رأينا مع عدم اهمال الظروف الأخرى، من أقوى العوامل التي تفسر لنا التاريخ السياسي والاجتماعي للمنطقة ماضياً وحاضراً.

أما عن هذه الدراسة وأهدافها فمن المعروف أنه في عصر ازدهار الحضارة العربية الاسلامية صاغ علماء الأمة مجالات البحث والتأليف في سبعة أهداف وهي: استخراج ما لم يسبق استخراجه أو ناقص يستكمل نقصه أو خطأ يتم اصلاحه أو غامض أو موجز لا تتم فائدته إلا بشرحه وتبسيطه أو طويل يبدد

الذهن يختصر من غير اخلال ولا حذف يفقده معناه وغرضه أو أن يكون متفرق يجمع شتاته أو مبتور غير مرتب يتم ترتيبه.

ويبدو لي أنَّ هذه الدراسة قد سعت قدر الجهد أن تحتوي على هذه الأغراض جميعاً يحدونا في ذلك الأمل في أن نصيب فيكون لنا أجران أو نخطئ فيكون لنا أجرُ واحد وذلك ليس بالقليل.

وقد واجهت هذه الدراسة مصاعب كان لا بد أن تعترض أي بحث ومنها:

أ ـ المصادر:

أن مصادر هذه الدراسة هي بلا شك ما تركته الدولة المصرية القديمة من تراث منقوش ومكتوب على الصخر حيناً، وورق البردى حيناً آخر، ورغم وفرته إلا أنَّ الإعتماد عليه يقف في طريقه حاجزان: أولهما: اللغة التي كتب بها وهي اللغة المصرية القديمة التي لا أجيدها ولا يدعي حتى المتبحرون فيها قدرتهم على الإحاطة بمعانيها وأغراضها لبعد الزمان من جهة وطبيعة الكتابة المصرية من جهة أخرى.

وثانيهما: إن الاعتماد على هذه المصادر في استخراج أحكام حول هذا الموضوع تشبه أن يتصدى القاضي لاصدار حكمه من خلال شاهد وحيد، وهي مغامرة محفوفة بالمخاطر ولا يأمن صاحبها من الوقوع في الزلل.

لقد توافر على دراسة وتحليل وترجمة هذه المصادر عدد من أشهر علماء المصريات، ووضعوا في ذلك تأليفات ضخمة تمثل خير زاد للباحثين، ومنها على سبيل المثال موسوعة (جميس هنري برستد)، (Ancient Records of Egypt) والتي بذل فيها جهداً مشكوراً في ترجمة كل النصوص المصرية التي اكتشفت آنذاك وكذلك جهود علماء آخرين ترجموا بعض النصوص المختارة مثلما فعل الباحثان آدغرتون وويلسون في مؤلفهما: Historical Records of Ram seas III والذي يتضمن ترجمة لنصوص الحرب الليبية في عهد رمسيس

الثالث وكذلك مؤلف الباحث آلن غاردنر حول أعلام الحضارة المصرية والمعروف باسم (Ancient Egyptian Onomastica).

ومن المؤسف أن هذه المؤلفات المهمة لا تتوافر في مكتباتنا أو مراكزنا البحثية رغم أهميتها القصوى بل أنه من المؤسف أكثر أن أهم المراكز العلمية التي يفترض فيها الاهتمام بمثل هذه المؤلفات مثل مكتبة المتحف المصري أو كلية الآثار بجامعة القاهرة، لا تحوي سوى نسخة وحيدة من طبعة قديمة آتى عليها الزمن مثلما أتت عليها أيدي الباحثين من كثرة التداول والاستخدام. هذا إضافة إلى عدم وجود أية ترجمة عربية لها تعين من لا يجيد اللغة التي كتبت بها. كما كان لبعض الباحثين العرب مثل سليم حسن جهداً رائداً في ترجمة بعض هذه الوثائق التاريخية إلى اللغة العربية في موسوعته مصر القديمة وكتابه عن الأدب المصري القديم.

ب ـ المراجع:

رغم وفرة المراجع التي تتناول تاريخ الدولة المصرية إلا أن معظمها لا يشير إلا اشارة عابرة إلى موضوع دراستنا هذه كما خضع معظم هؤلاء الباحثين إلى تصور يكاد يكون واحداً في فهم طبيعة العلاقة بين الدولة المصرية من جهة ومن أسموهم بـ(الليبيين) من جهة أخرى، وهو ما أثَّر على نتائج بحوثهم بشكل واضح وجليّ. أما تلك المراجع التي تتناول (الليبيين) خصوصاً فانه رغم كثرتها كما يظهر من بعض (البيبلوغرافيات) من دراسات وأبحاث ومؤلفات فإنها تكاد منعدمة في مكتباتنا أصلية كانت أو مترجمة بل إن أشهرها وهو مؤلف The Eastern Libyans للباحث (Oric Bates) يبدو تحفة أثرية يحسد بعض الباحثين غيرهم على امتلاكها دون أن يفكر أحد من المهتمين بتاريخنا بترجمتها أو على الأقل طبعها بلغتها الأصلية وأنني أدين بالفعل لأستاذي الجليل المشرف على هذه الدراسة في الحصول عليها.

أما عن المراجع التي تتناول هذا الموضوع بالذات فانها لا تتمثل سوى

في بعض البحوث والمقالات العلمية في بعض الدوريات ما عدا دراسة وحيدة حسب علمي للباحث حسين عبدالعالى مراجع عن العلاقات الليبية الفرعونية والتي تنتهي مع بداية حكم الأسرة الثانية والعشرين، وهي دراسة رائدة لا يقلل من قيمتها كونها توثيقية أكثر منها تحليلية، وكذلك تبنيها وجهة النظر التقليدية في فهم طبيعة هذه العلاقة.

جـ - وحيث أن هذه الدراسة ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالتاريخ المصري فان الصعوبات التي واجهت الباحثين في هذا المجال كانت من نصيبي أيضاً وهي كثيرة منها على سبيل المثال الاختلافات الكثيرة وأحياناً الكبيرة في تاريخ حوادث التاريخ المصري والاختلاف في قراءة أسماء ملوك الدولة ورجالاتها والاختلاف في تحديد الوقائع التاريخية زماناً ومكاناً وغيرها كثير.

لقد ارتأيت أن الاحاطة بموضوع هذه الدراسة يستدعي تقسيمها إلى أربعة فصول لتكون مترابطة قدر الامكان وهي: -

1 - **الفصل الأول**: وفيه حاولت الرجوع إلى أيام الميلاد الأولى للدولة المصرية والتي تبدأ معها أولى الاشارات إلى طبيعة العلاقة مع جيرانها والليبيين منهم على وجه الخصوص من خلال الشواهد الأثرية التي اشارة اليها معظم المراجع وقد حاولت قدر الامكان اعادة (قراءتها) على ضوء التصور الجديد لهذه العلاقة بين أهل الوادي، وأهل الغرب الليبيين.

2 - **الفصل الثاني**: وقد حاولت فيه تأكيد هذا التوجه الجديد في فهم هذه العلاقة من خلال مقارنته بواحد من أهم أحداث التاريخ المصري في عهده الوسيط عندما وفدت على مصر من الشرق هجرة بدوية تحمل شبهاً كبيراً بتيار الهجرة الذي ما انفك يتدفق من الغرب على مر العصور.

3 - **الفصل الثالث**: فقد حاولت فيه قدر الامكان تلمس الحقيقة في خصم الأحداث الضخمة والعنيفة التي شهدها عصر الدولة الحديثة في مصر

والذي أرى أن أحداثه تمثل خير تمثيل طبيعة العلاقة كما نراها في هذه الدراسة مما جعلنا لا نتورع عن وصف أحداثها بالثورة عند الاشارة إلى الصراع بين القبائل الليبية والسلطة السياسية الحاكمة في وادي النيل.

4 ـ **الفصل الرابع والأخير من هذه الدراسة:** وهو أصعبها نتيجة لقلة ما كتب عنه في، كل المراجع التي تصدت لدراسة تاريخ مصر القديمة فقد حاولت فيه ابراز وصول بعض زعماء القبائل البدوية إلى حكم الوادي على أنه ليس سوى شكل من أشكال تداول السلطة بين الحضر حيناً والبدو حيناً أخر مثلما كان الحال في عصر الهكسوس مع بذل الجهد لتفنيد كل الأوصاف والأحكام التي ألحقت بهذا العهد ورجاله وصانعيه. كما تطرق البحث فيه إلى الدور السياسي والعسكري والحضاري الذي لعبته الأسرة الليبية كما تعرف لدى الباحثين - في تاريخ الوادي، وفي فترة صعبة من تاريخ المنطقة وما نتج عن ذلك من نتائج سياسية واقتصادية واجتماعية وحضارية.

واذا كان الفضل يجب أن ينسب لأهله فانني أدين بالشكر لكل من قدم يد المساعدة بفكرة أو رأي أو كتاب أو عمل ساهم في انجاز هذه الدراسة ويأتي على رأس هؤلاء الأستاذ الفاضل محمد علي عيسى الذي أشرف على هذه الرسالة فكان لرأيه السديد وتوجيهه الأمين، وحرصه الدؤوب ورعايته الكريمة لهذا العمل منذ بدايته وحتى نهايته الدور الأكبر في خروجه بهذه الصورة المرضية شكلاً أما المضمون فإن الحكم فيه متروك للآخرين وكذلك جامعة السابع من ابريل بالزاوية ومركز الدراسات العليا بها وأساتذتها الأفاضل الذين احتضنوا هذا المشروع العلمي المتواضع.

كما أتقدم بالشكر الجزيل للمشرفين على المكتبات التي استفدت من محتوياتها في اعداد هذا العمل ومنها مكتبة مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية ومكتبة المتحف الجماهيري بطرابلس، كما أخص بالشكر الأشقاء

بمكتبة كلية الآثار بجامعة القاهرة وكذلك مكتبة معهد الدراسات الأفريقية بالقاهرة ومكتبة المتحف المصري التي تضم أهم مراجع هذه الدراسة والأجنبية منها على وجه الخصوص، وكذلك للأخوة والأخوات الذين ساهموا في طباعة هذا العمل وترتيبه.

والحمد لله رب العالمين.

المؤلف

رموز ومختصرات

استعملنا في هذه الرسالة بعض الرموز لاختصار المراجع الأجنبية التي تتردد لأكثر من مرة وهي: -

1 - Arkell, (H. S): Arkell, Ahistory of Sudan.
2 - Bates, (E. L): Bates, the eastern Libyans.
3 - Brasted, (A. R. E): Brasted, Ancient Records of Egypt.
4 - Brasted, (H. E): Brasted, Ahistory of Egypt.
5 - Edgirton, (HIST - REC): Edgirton, Historical, Records of Ramesses.
6 - Gardiner, (E. P): Gardiner Egypt of the Pharaohs.
7 - Gardiner, (Onom): Gardiner Ancient Egyptian Onomastica.
8 - Petrie, (H. E): Petrie A history of Egypt.
9 - (J. E. A): the Journal of Egyptian Archaeology.
10- (A. J. S. L): the American Journal of Semitic Languages and Literatures.

1

الفصل الأول

نشأت الدولة القديمة

المبحث الأول: نشأت الدولة القديمة وعلاقاتها بليبيا.

المبحث الثاني: تكوين وادي النيل الاجتماعي وعلاقاته بالمنطقة الغربية.

المبحث الثالث: المفاهيم السياسية الحديثة وعلاقاتها بالتاريخ القديم.

المبحث الرابع: مدى مصداقية تفسير وتأويل النصوص التاريخية.



المبحث الأول

نشأت الدولة القديمة وعلاقتها بليبيا

لابد من الاشارة في البداية إلى أنَّه علينا أن نميز بين (مصر) الحديثة، بحدودها السياسية المتعارف عليها، والتي تكونت بفعل عوامل سياسية، داخلية وخارجية، أهمها حركة الاستعمار الأوروبي الحديث، التي وضعت أسس الدول القطرية العربية، التي نراها الآن، والتي يمكن القول أنَّ معظمها إن لم تكن كلها، أي هذه الدول غير معروفة، في الفترات التاريخية السابقة، لتلك الحركة الاستعمارية وإن وجدت أسماؤها كمصطلحات جغرافية، لأقاليم متعددة، تكون هذه المنطقة الواسعة التي نطلق عليه حديثاً (الوطن العربي).

إنّ مصر كمدلول حضاري تاريخي وسياسي فى العصور القديمة، والذي بدأ يظهر مع عهد التوحيد الذي قاده ((نارمر)) حوالي 3200 ق.م[1]، لم يتجاوز تلك الرقعة الضيقة من الأرض الخصبة، التي تقع على ضفتي الوادي والتي تتسع قليلاً في الشمال حيث الدلتا الخصبة الغنية «وهكذا فأن مصر الحقيقية التي يستطيع أن يعيش فيها الناس ويزرعوا الأرض لا تزيد عن

(1) وسنعرف لاحقاً أنَّ ما قام به نارمر لم يكن أول عملية توحيد للوادي كما أنَّ هذا التاريخ محل خلاف بين المؤرخين.

(13،875) ميلاً مربعاً»[1]. أي حوالي (24,000) كم2 تقريباً وقد أدى هذا الواقع، إلى إيجاد صلة وثيقة بين النيل وبين مصر، شملت مجالات الحياة المختلفة، من اقتصادية ودينية واجتماعية مما جعل المؤرخ الإغريقي (هيرودوت) (Herodotus)[2] يطلق عليها وصفه المشهور بأنها (هبه النيل) وهو الوصف الذي نقله عن مؤرخ يوناني سابق له، هو(هيكاتيوس) (Hecataeus)[3] وقد كان يعني به منطقة دلتا الخصبة. والواقع إن هذا الوصف كان دقيقاً، فيما يتعلق بتلك الدولة التي قامت على ضفتيه، حتى إن سكان الوادي الأوائل حملوا له في نفوسهم تقديساً واحتراماً كبيرين، جعلهم يعبدونه تحت اسم الإله (حابي). وربما كان هذا الوصف، هو الباعث وراء الفكرة القائلة، بأهمية الأنهار، في نشأة الحضارات القديمة وخاصة فيما عرف بمنطقة الشرق الأدنى حتى عرفت لدى البعض باسم الحضارات النهرية، وهي وجهة نظر لقت الكثير من النقد لأنها حاولت أن تغفل الأسباب الأخرى، المؤدية إلى ظهور مثل تلك الحضارات ونظرت إلى التاريخ من الزاوية الاغريقية وحدها[4]. لقد أغرم هيرودوت فيما يبدو بالمبالغة في بعض أحكامه، وأوصافه، مثل قوله أن المصريين يخالفون تماماً في معظم طبائعهم وعاداتهم العُرف السائد، لدى البشر[5]، أو قوله في وصف الليبيين بأنهم أصح الناس أبداناً[6]. وقد يكون هذا الوصف صحيحاً نسبياً من خلال الرقعة الجغرافية، التي أحاط بها هذا

---

(1) هـ. أيدريس بل، مصر من الاسكندر الأكبر، حتى الفتح العربي، ط3 ترجمة عبد اللطيف أحمد علي، دار النهضة العربية بيروت، 1973م ص 2.

(2) هيرودوت: التعريف به ـ انظر النص الأصلي.

(3) هيكاتيوس: التعريف به ـ انظر النص الأصلي.

(4) روجيه غارودي: حوار الحضارات، ترجمة: عادل العوا، ط1، منشورات عويدات، بيروت، 1978م، ص25

(5) هيرودوت، الكتاب الثاني، فقرة 35.

(6) هيرودوت، الكتاب الثاني، فقرة 77. انظر كذلك: علي فهمي خشيم نصوص ليبية، ط2، دار مكتبة الفكر، طرابلس، 1975م، ص26.

المؤرخ، ولكننا لا نستطيع قبوله كحكم عام على كل البشر. ورغم ذلك فأن دراسة تاريخ الاقليم الواسع الذي تنتمي إليه مصر، يدلل على أهمية وادي النيل، في التطور الحضاري، الذي شهدته المنطقة، مع بداية العصور التاريخية والذي جاء نتيجة تطور طبيعي، بدأ كما تشير معظم الدراسات الحديثة، في قلب الصحراء الكبرى، التي تشغل مساحات شاسعة من هذه المنطقة. فالبذرة التي زرعت في (تاسيلي) و(الأكاكوس) و (تيبستي)، والتي عبرّت عن نفسها، بتلك الرسوم الجدارية الرائعة، أنتجت بذوراً عديدة، دفعها الجفاف، إلى ضفة النهر، لتنمو هناك من جديد، وتزدهر، خاصة بعد أن تمكن أهل الوادي في مستقرهم الجديد، من ايجاد سلطة سياسية مركزية، وهي التي أعطت لوادي النيل شكله السياسي الذي عرف به.

مراحل الدولة وتطورها:

ارتبطت نشأة الدولة المصرية القديمة، في مراحلها المختلفة بوادي النيل، الذي يخترق مصر بطول (760) ميلاً أي حوالي 1400 كم تقريباً من أسوان جنوباً، وحتى جبال المقطم شمال شرق القاهرة الحالية، وتلال أبي رواش غربها(1) حيث يتحول من هناك إلى عدة فروع تصب في البحر المتوسط وهي التي شكلت فيما بعد الدلتا ذات التربة الخصبة.

لقد كان هذا الوادي في بداية عهده مستنقعات لا تشجع على الاقامة، حتى بداية العصر الحجري الحديث الذي شهد تحولاً جذرياً في مناخ المنطقة باتجاهها نحو الجفاف وبدأ فيها وادي النيل يأخذ صورته النهائية ويستكمل حفر مجراه ويصير صالحاً للاقامة وكأنه يجهز نفسه لاستقبال الجماعات التي بدأ الجفاف يدفعها نحوه باحثه عن مواطن الماء والكلأ لها ولقطعانها التي نرى رسومها منتشرة في كل مكان من المنطقة المحيطة بالوادي، والتي تشير إلى آخر

(1) فوزي فهيم جاد الله، مسائل في مصادر التاريخ الليبي قبل هيرودوت، ليبيا في التاريخ، ط1، منشورات الجامعة الليبية، 1968م، ص55.

مرحلة حضارية بلغتها مجتمعات الصحراء، قبل أن تنتقل إلى الفترة التاريخية في مصر[1]. ويمكننا أن نقسم مراحل قيام الدولة المصرية القديمة إلى عدة مراحل أساسية وهي:

أولا: مرحلة المستوطنات

لا شك انه قد ﴿أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا﴾[2]. حيث لم يترك من الآثار، إلاّ القليل الذي لا يستطيع الباحث معه، بناء صورة متكاملة الأبعاد للحياة الإنسانية، في تلك العصور الموغلة في القدم، وأمام هذا الواقع فأن الباحث قد يحتاج إلى قدر كبير من الخيال، وسعة الأفق، لتجميع خيوط تلك القصة التي قادت إلى النهاية المثيرة (ثورة العصر الحجري الحديث) كما وصفه الفيلسوف كانت. والعالم الأثري جوردن تشيلد بعد ذلك[3]، واذا نظرنا إلى القصص القرآني[4] الذي يتناول بعض المراحل الأساسية في حياة الإنسان فأننا نجد تصويراً يكاد يكون دقيقاً ومتطابقاً لما حدث في منطقة الصحراء الكبرى[5]، فالجنة التي وجد آدم فيها نفسه، تشبه تلك العصور التي كانت الطبيعة تجود فيها على الإنسان بكل ما يحتاجه من قوت ومأوى فالأرض

---

(1) فوزي فهيم جاد الله، مسائل في مصادر التاريخ الليبي قبل هيرودوت، ليبيا في التاريخ، ط1، منشورات الجامعة الليبية، 1968م، ص55.

(2) سورة الإنسان: الآية رقم 1.

(3) انظر في ذلك: رودلف كوبر، ما هو العصر الحجري الحديث في الصحراء الكبرى؟، ترجمة ميكائيل محرز، كتاب الصحراء الكبرى مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس ـ ليبيا 1979 ص69، كذلك: أسامة عبد الرحمن النور، أبوبكر يوسف شلابي: تاريخ الإنسان حتى ظهور الديانات، منشورات ELGA! فاليتا، مالطا 1995 م، ص637.

(4) سورة البقرة: الآيات: 35 - 38. ومن الملفت للنظر إن القرآن الكريم، قد ربط بين خروج الإنسان من الجنة، ونزوله إلى الأرض، بالاستقرار ﴿وَلَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾ البقرة: 36.

(5) لا نعني بذلك أن القرآن الكريم يشير إلى حادثة تاريخية معينة، أو إلى مرحلة تاريخية حضارية مميزة، ولكنه بهذه الرواية الغيبية يقدم لنا تصوراً منطقياً لمجريات الأحداث التي قد لا نعثر على دليل تاريخي ملموس يؤكده، مما يدفع الباحث إلى ملء تلك الثغرات باستنتاجات عقلية مبينة على قرائن، تؤيد أو تدحض وجهات النظر المختلفة في هذا الموضوع.

السهلية الواسعة والمناخ الدافئ المعتدل والمياه الجارية المتدفقة عبر الأنهار، والغيث المتواصل فى العصور المطيرة، وفرّ كل ما يحتاجه الإنسان الذي كان يجمع ويلتقط غذائه دون مشقه مستعيناً بأدوات بسيطة فى صنعها، ولكنها كافيه في غرضها، وإذا كان آدم، قد خرج من الجنة القرآنية، بغواية من الشيطان، فان إنسان الصحراء الكبرى ترك جنته بعد أن بدأت تتحول أثراً بعد عين، ويهاجمها شيطان الجفاف، من كل الجوانب واذا كان خروج آدم من الجنة نقطة تحول أساسية في وجوده حيث صار في حاجة إلى الكدح وبذل الجهد لكسب قوته، فأن إنسان الصحراء الكبرى صار أيضاً في حاجة إلى ذلك الجهد ليستمر في البقاء، واذا كان خروج آدم من الجنة قد أقترن بالعداء بينه وبين الشيطان. فأن إنسان الصحراء الكبرى، غادر جنته ليبدأ مرحلة تميزت بظهور العداوات، بين جماعاته المختلفة التي بدأت تتشكل حول مصادر المياه، بعد أن صار لفكرة (التملك) قيمتها الجوهرية في حياته.

وعلى هذا الأساس يمكننا أن نتصور ثلاثة ظاهرات أساسية وقعت في هذه المنطقة متزامنة مع بعضها البعض، عندما كان الإنسان يخطو أولى خطواته باتجاه العصر الحجري الحديث، وهي:

1 ـ الجفاف التدريجي، الذي بدأ يحل، بما يعرف بالصحراء الكبرى حالياً مخلفاً وراءه مناطق صغيرة جداً صالحة للإقامة وهي المناطق المنخفضة، التي تحولت إلى واحات، مثل التي نشاهدها الآن. وقد كان جوردن تشايلد[1] أول من أشار إلى ذلك.

2 ـ التقلص التدريجي لاتساع مجرى وادي النيل تاركاً حوله أرضاً خصبة متكونة من الطمي الذي كانت تحمله مياهه مع جفاف تدريجي للمستنقعات الشمالية، وتحولها إلى دلتا كبيرة، وهكذا وجد وادي ضيقاً في الجنوب، ودلتا واسعة في الشمال[2].

---

(1) أسامة النور، تاريخ الإنسان، ص638.

(2) لبيب عبد الساتر، الحضارات، ط9، دار المشرق، بيروت، 1982م، ص6.

3 - ظاهرة الهجرة من المواطن الأولى، باتجاه أماكن تتوافر فيها الفرص الجيدة للحصول على الغذاء. ويبدو أن هذه الهجرة، قد اتخذت عدة اتجاهات محتملة وهي: -

أ - جنوباً حيث لا تزال هناك مستودعات كبرى للمياه مثل بحيرة تشاد الحالية، التي كانت مساحتها أكبر كثيراً مما هي الآن، وكذلك حوض نهر النيجر.

ب - شمالاً نحو سواحل البحر الأبيض المتوسط، التي لا تزال تحصل على قدر معقول من الأمطار.

جـ - الجنوب الشرقي، والشمال الشرقي، حيث وادي النيل والذي يوفر أفضل فرصة للاقامة.

وقد تمكنت الجماعات الأخيرة، من تكوين أولى المستوطنات البشرية، في العصر الحجري الحديث، حول ضفتي الوادي، مكونة قرى صغيرة، ارتبط سكانها مع بعضهم البعض لمواجهة ضرورات وحاجات الاستقرار، مثل توزيع المياه[1]. ورسمت تلك الجماعات بذلك أولى علامات ذلك العصر[2]، ومن بينها ازدياد عدد السكان بالحصول على قدر كبير من الغذاء وتدجين الحيوان[3].

ومما يجدر ذكره هنا، أن هذه المستوطنات الأولى، تبدو الآن موغلة في الصحراء، بعيدة عن الوادي، وأكثر ارتفاعاً عن المستوطنات اللاحقة لها، ويعود ذلك بالطبع إلى التقلص التدريجي المستمر، لمجرى نهر النيل، حتى وصل إلى صورته الحالية، وهو ما أعطى تدريجاً معكوساً للطبقات الأثرية، لا

(1) المرجع السابق، ص6

(2) مجموعة من الباحثين، تاريخنا، مجلد1، دار التراث، جنيف، سويسرا، د.ت، ص47

(3) طه باقر، عصور ما قبل التاريخ في ليبيا، وعلاقتها بأصول الحضارات القديمة، ليبيا في التاريخ، ط 1، منشورات الجامعة الليبية، بنغازي 1968، ص40

نشاهده إلا في هذه المنطقة من العالم، حيث تبدو الطبقات العليا، أقدم من الطبقات السفلى[1].

لقد كانت هذه المستوطنات الأولى، البؤرة الثقافية التي انتشرت منها ثقافة العصر الحجري الحديث، على طول الوادي لتدخل به تدريجياً إلى حضارة العصور التاريخية، وككل تفجر ثقافي فأنه لا بد أن ينشأ من روافد متعددة تتقارب في نقطة متميزة. كما يقول الفيلسوف الفرنسي (روجيه جارودي)[2]، وهو ما جسدته تلك المستوطنات الأولى وانتشرت هذه المستوطنات، في القسمين الكبيرين الذين يكونان مصر وهما: مصر السفلى، ومصر العليا[3]، ويعود تاريخ أقدم هذه المستوطنات في مصر العليا وهي (ديرتاسا) والبدارى، إلى الألف الرابع ق. م، بينما يرجع تاريخها في مصر السفلى، في الطرف الغربي لدلتا نهر النيل في مرمدة والفيوم إلى 4180 سنة ق. م، وهي تظهر بوضوح وجود مواقع سكنية ثابتة يعمل سكانها بتربية الحيوانات وزراعة الحبوب وصناعة الخزف[4]، وجدير بالذكر هنا، ذلك التشابه الواضح بين هذه الآثار وآثار الصحراء الكبرى، من حيث الشكل أو المواد المستعملة في الصناعة ويمتد هذا التشابه إلى أكثر من 2500 كم غرباً[5].

ثانياً: نشأة الأقاليم:

شجعت المستوطنات الأولى، هجرة المزيد من الناس، باتجاه وادي النيل فتكاثرت التجمعات السكنية التي انتشرت على طول الوادي حتى وصل

---

(1) محمد أبو المحاسن عصفور، معالم حضارات الشرق الأدنى القديم، ط2، دار النهضة العربية، بيروت، 1987م ص10.
(2) روجيه جاردوي، حوار الحضارات، ص184.
(3) يصف بعض الباحثين هذه المستوطنات (بالحضارات) وهي تسمية خاطئة ولا شك، فهي ليست سوى مراكز متعددة لحضارة واحدة، لم تشمل وادي النيل فقط، بل كامل النطاق الصحراوي الممتد من موريتانيا غرباً وحتى الخرطوم جنوباً، والبحر الأحمر شرقاً.
(4) رودلف كوبر، من الصيد إلى الرعي، ص69.
(5) المرجع نفسه، ص70.

عددها إلى اثنين وأربعين تجمعاً عشرون منها في الشمال واثنين وعشرون في الجنوب، وتبدو لنا المنطقة التي قامت فيها تلك الأقاليم، والتي لا تزيد مساحتها عن 21,000 كم2، وهي المنطقة التي يمكن وصفها بمصر الحقيقية[1]، والتي هي في الحقيقة ليست سوى (واحة طولانية بين منطقتين صحراويتين تحيطان بها من الغرب والشرق)[2]، وتمثل امتداداً جغرافياً وبشرياً لها وقد كان لكل اقليم من هذه الأقاليم استقلاله وسلطته السياسية والدينية وشعاره الخاص[3].

ثالثاً: مملكتي الشمال والجنوب

كان من الطبيعي أن يحدث التنافس بين الأقاليم المتعددة ويغير أقواها على ما جاوره من أقاليم أضعف، ويبسط سلطانه عليها[4]، مما قاد أخيراً إلى نشؤ مملكتين مستقلتين احداهما في الوجه القبلي ذات الاثنين وعشرين اقليماً، والتي تمتد من الشلال الأول عند أسوان وحتى المنطقة التي يتفرع فيها النيل ليكون الدلتا على شكل مثلث رأسه قرب القاهرة الحالية، وقد أتخذ ملوكها نبات البردى شعاراً لهم مع تاجها الأبيض وكانت مدينة (نخب) عاصمة لهذه المملكة مع معبودها الذي رمز له بطائر النسر[5].

أما الأخرى فهي مملكة الشمال، أو مصر السفلى، والتي اقتصرت على الدلتا، وكانت عاصمتها (بوتو) واتخذ ملوكها تاجاً أحمر مع شعارها المعروف بزهرة اللوتس، وإلهها المعروف (بحورس) الصقر وكانت أكثر تقدماً من مملكة الجنوب[6].

---

(1) هـ. آيدريس بل، مصر من الاسكندر الأكبر، ص2.

(2) ما نفرد فيبر، المصريون القدماء والصحراء الكبرى، ترجمة: عماد غانم، كتاب الصحراء الكبرى، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، ليبيا، 1979م، ص187.

(3) زكي علي، وآخرون، مصر في العصور القديمة، دار المعارف بمصر، د.ت، ص19.

(4) محمد أبو المحاسن عصفور، معالم الحضارات، ص12.

(5) زكي علي وآخرون، المرجع نفسه، ص20.

(6) لبيب عبدالساتر، الحضارات، ص8.

رابعاً: مرحلة الوحدة:

عندما توحدت مملكتي الجنوب والشمال تحت سلطة مركزية واحدة ظهرت الدولة المصرية بكيانها السياسي المتميز في وادي النيل، والذي عرفت به طوال العصور التاريخية. ويشير الباحثون إلى عام 3200 ق. م تقريباً على أنه التاريخ الذي تبدأ به الدولة المصرية القديمة وهو العام الذي استطاع فيه الملك (نارمر) ضم مملكة الشمال ودمجها مع الجنوب تحث سلطته لكن معظم الدراسات الحديثة تقود إلى الاعتقاد بأن مملكة الشمال استطاعت أن توحد الوادي في عصور سابقة، للتوحيد الذي قاده نارمر ويعود ذلك عند البعض إلى عام 4245 ق. م[1]. وهو ما أطلق عليه (هنري برستد) مصطلح التوحيد الأول، والذي لم يعد فرضاً من الفروض بل حقيقة مقررة[2] كما يقول.

لقد قادت هذه الاستنتاجات أحد الباحثين في التاريخ المصري حتى إلى التشكيك في مصداقية الروايات التاريخية حول (مينا) ودوره في الوحدة، وأنه لم يكن سوى ملك قام بحملة عسكرية ثم قضي عليه أحد أفراس النهر[3]. إلاَّ أنَّه وفي غياب الأدلة التاريخية المؤكدة. فأن ما قام به (مينا) يبقى المرحلة الواضحة في نشأة الدولة المصرية الموحدة التي اتخذت من مدينة (منف) عاصمة لها ثم انتقلت في عصر الأسرات الأولى، إلى مدينة (طينة)[4]، والتي ينسب اليها العصر المبكر للدولة المصرية وهو العصر الطيني.

---

(1) زكي علي وآخرون، مصر في العصور القديمة، ص20.
(2) فوزي فهيم جاد الله، مسائل في مصادر التاريخ، ص60.
(3) باري كمب، تشريح حضارة، ترجمة أحمد محمود، ط1، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة 2000، ف، ص52-54.
(4) وتعرف طينه اليوم بقرية (البربا) وهي تقع على مقربة من مدينة جرجا.

العلاقات المصرية الليبية في العهد المبكر للدولة المصرية القديمة

1 ـ الدولة والمجتمع

لن يكون الإنسان مخطئاً اذا قرر أنه لم تكن في فترة من الفترات التاريخية القديمة (مصر) أو (ليبيا) حتى يمكن أن نفترض نشأت علاقات بينهما.

لقد ضل التقسيم الاجتماعي التقليدي للمجتمعات البشرية من الأسرة إلى العشيرة، وحتى القبيلة هو السائد طيلة عصور عديدة، ولكن ما أطلق عليه (ثورة العصر الحجري الحديث) كما مر بنا سابقاً والتي أنتجت مجتمعات منتجة للغذاء، قد أفرزت أيضاً تطوراً كبيراً ربما كان له أثر أكبر من معرفة الزراعة واستئناس الحيوان، والحياة المستقرة، وذلك التطور الذي نعنيه هو بروز شكل جديد من النظام الذي عرف باسم الدولة وهي اختراع كغيره من الاختراعات الكثيرة التي أسهمت في اعطاء (العصور التاريخية) شكلها المميز، ومن بينها الكتابة على سبيل المثال، ومثلما وضعت الكتابة صوراً ورموزاً وقواعداً للغة التي هي وليدة الفكر فإن قيام الدولة أعطي لبعض الجماعات حدوداً معينة تميزها عن غيرها التي لا تخضع لسلطة الدولة، وأحدث تبدلات جذرية في نظرة الناس للأشياء ومن بينها العلاقات الاجتماعية[1]. ويشير المختصون في هذا المجال إلى وجود نوعين ظاهرين من الدول القديمة وهما : دولة المعبد وهي الدولة التي يكون فيها المعبد المحور الذي تدور حوله الحياة العامة، وتبني حوله القرية والمدينة[2].

أما الثاني فهو الدولة التي تقوم على أساس ضم مجموعة من المدن والمستقرات البشرية نتيجة لظهور مدينة كبيرة قادرة على الانتصار في صراعها ضد المدن المجاورة لها ومن ثم توسيع حدودها ومجال نفوذها بالقدر الذي

---

(1) أسامة عبدالرحمن النور، ابوبكر يوسف شلابي، تاريخ الإنسان، ص634.

(2) محمد رياض، الإنسان، دراسة في النوع والحضارة، ط2، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان 1974م، ص212.

تسمح به مواردها من جهة وبقدر المقاومة التي يمكن أن تلاقيها من الجماعات المحيطة بها، مع مراعاة الظروف الطبيعية التي قد تتحكم في توسعها[1].

وتدل الدراسات الأثرية على أن النمط الأول من الدول قد نشأ في جنوب بلاد الرافدين وقد كانت الدويلات السومريه التي نشأت في جنوب بلاد الرافدين خير مثال على ذلك، بينما تمثل الدولة المصرية النمط الثاني[2].

ومن هنا وعندما تنشأ الدولة، أيا كان شكلها فأن ذلك يسهم في خلق مشاكل سياسية على مستوى العلاقات البشرية[3]، بين المجموعات التي تنضوي تحت لواء الدولة وتلك التي تحيط بها حتى ولو كانت كلها تنتمي إلى كيان اجتماعي واحد.

2 ـ المناخ والناس:

نستطيع أن تصور بسهولة وكما أشرنا في الصفحات السابقة[4] أن ما حل بمنطقة الشمال الأفريقي من تحول كبير منذ عشرة آلاف سنة تقريباً قد ساهم في تقسيم سكان المنطقة إلى ثلاث فئات كبرى: ـ

أ ـ فئة مستقرة: اتخذت من المناطق المحاذية لنهر النيل موطناً لها، وبدأت تتطور تدريجياً حتى استطاعت أن تكون كياناً سياسياً واضحاً، وهو الذي عرفناه ممثلاً في الدولة المصرية القديمة[5].

ب ـ فئة شبه مستقرة: تمركزت في المناطق الساحلية التي كانت لا تزال

---

(1) المرجع نفسه، ص213.

(2) محمد رياض، الإنسان، دراسة في النوع والحضارة، ط2، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، ص213.

(3) أرنولد توينبي، تاريخ البشرية، جـ1، ترجمة: نقولا زيادة، الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان 1985، ف، ص92

(4) انظر ص5 من هذه الدراسة.

(5) وقد حدث ذلك في الواحات أيضاً حيث توفر مصدر دائم للمياه إلا أنَّ مساحاتها الضيقة وعزلتها الجغرافية لم تسمح لها بالتطور السياسي كالذي حصل في الوادي.

تحصل على كمية مناسبة من الأمطار واشتغلت بالرعي كحرفة أساسية[1].

جـ - فئة بدوية متنقلة: ظلت تجوب المناطق الواسعة القليلة الأعشاب، وكان من الطبيعي أن تتصل أثناء تجوالها بالفئات الأخرى فتؤثر فيها وتتأثر بها.

أن هذا التصور يمكن أن يكون المفتاح الأساسي لفهم طبيعة العلاقة بين الدولة المصرية، ومن عرفوا بالليبيين[2].

3 ـ الشواهد الأثـريـة:

اعتمد معظم الباحثين في تاريخ العلاقات الليبية المصرية على شواهد أثرية محددة تبدأ من الفترة التي تسبق ظهور الأسرات ، وحتى العصر المتأخر للدولة المصرية القديمة وسوف نكتفي في هذا المبحث الذي يتناول أصول هذه العلاقة على أهم الشواهد الأثرية التي ترجع إلى فترة ما قبل الأسرات ، وكذلك العصر الطيني ، أو ما يعرف بعصر بداية الأسرات ، ونشير هنا إلى أننا سنكتفي بالاشارة الوصفية لهذه الأدلة الأثرية وترتيبها الزمني تاركين تحليلها إلى المبحث الرابع من هذا الفصل.

وثائق فترات قبيل الأسرات:

أخرجت لنا أرض وادي النيل عدد من الشواهد الأثرية التي يرجح الباحثون أنها تعود إلى هذه الفترة المبكرة من تاريخ الدولة المصرية القديمة، ومن أهمها:

---

(1) ولا يعني ذلك أن هذه الفئة لم تعرف الزراعة ولكنها كانت تعتمد بشكل أساسي على الرعي نتيجة لتوفر المقومات الضرورية لذلك ولم تكن مجبرة على الانتقال لوفرة المرعى وخير مثال على ذلك المناطق القريبة من الدلتا.

(2) وهي تسمية متأخرة جداً بالنسبة لهذه العلاقة حيث ظهرت لأول مرة في نصوص (مرنبتاح) 1220 ق.م من ضمن أسماء القبائل التي تقطن غرب الوادي، انظر في ذلك: فوزي فهيم جاد الله، مسائل في مصادر التاريخ، ص69

مقبض سكين جبل العركى:

وهو عبارة عن مقبض سكين من العاج عثر عليه في منطقة جبل العركى القريبة من نجع حمادى بالصحراء الشرقية وقد أطلق عليه هذا الاسم نسبة إلى هذا الموقع[1]. ويوجد هذا المقبض حالياً بمتحف اللوفر بباريس، وتظهر على هذا المقبض نقوش من الجانبين ويرجح أن هذا الأثر يعود إلى الألف الرابع ق.م.

وقد استنتج الباحثون من نقوش المقبض ما يشير إلى معركة برية وبحرية بين قوتين عسكريتين وانتصار احداهما على الأخرى وخرجوا بنتيجة مفادها أن احدى هاتين القوتين تمثل (الليبيين) بينما تمثل القوة الأخرى المنتصرة (المصريين).

لوحة الصيد (صلاية صيد الأسود)[2]:

ومن أهم مناظرها التي استلفتت نظر الباحثين وجود صفين من الرجال المسلحين وهم يتجهون نحو مبني، وكذلك بداية اللوحة بمقتل أحد الأسود وانتهائها كذلك بنفس المشهد كما يظهر في اللوحة رمزان من رموز منطقة الدلتا[3]. ونشير هنا إلى الاختلاف الكبير بين الباحثين في تحليلهم لمشاهد هذه اللوحة كما سوف نعرف لاحقاً.

لوحة التحنو:

وتنسب هذه اللوحة إلى الملك العقرب[4]، وتعرف في بعض الأحيان

---

(1) انظر في ذلك: فوزي فهيم جاد الله، مسائل في مصادر التاريخ، ص53، وكذلك: حسين عبدالعالى مراجع، العلاقات الليبية الفرعونية، ط1، دار أماني للطباعة والنشر، طرطوس، 1989م، ص21.

(2) يطلق هذا المصطلح على لوحات من الحجر لها شكل خاص، ولم يتفق الباحثون حول الهدف الحقيقي منها، انظر: أيتين دريتون، جاك فانديه، مصر، ترجمة عباس بيومي، مطبعة النهضة المصرية، القاهرة، د. ت، ص37.

(3) عبدالعزيز صالح، حضارة مصر القديمة وآثارها، جا، القاهرة، 1953م، ص191.

(4) فوزي فهيم جاد الله، مسائل في مصادر التاريخ، ص51.

بلوحة الحصن والغنائم[1]. حيث ظهرت فيها صور لحيوانات مختلفة وأشجار، وعلى وجهها الآخر سبعة مستطيلات يرى فيها الباحثون رمزاً لمدن متحالفة، كما تحتوي على علامة هيروغليفية، تشير إلى التحنو.

لوحة الملك نارمر:

وهي لوحة من حجر الأردواز محفوظة الآن بالمتحف المصري وتعرف في بعض المصادر بلوحة التوحيد[2]، من حيث نسبتها للملك نارمر الذي قام بتوحيد المملكتين الجنوبية والشمالية مثلما تشير بعض المصادر حيث بدأ بعهده ظهور الدولة المصرية القديمة الموحدة وتظهر اللوحة شخصية رئيسية تضع على الرأس شعار الوجه القبلي على وجهها الأول ، وشعار الوجه البحري في الوجه الثاني ويظهر فيها بوضوح نقش للاله (حورس)، كما يظهر في أسفل اللوحة الملك على صورة ثور قوي يفتك بخصومه، وقد أثارت نقوش تلك اللوحة جدلاً حاداً بين المؤرخين حول تفسيرها[3].

صلاية الأسد والثعبان:

وتصور لنا هذه اللوحة ساحة المعركة وقد امتلأت بجثث القتلى الذين تنهش أجسادهم النسور بينما يقوم أسد بنهش صدر أضخمهم حجماً، ويبدو في الجزء العلوي الأيسر أسيرين مقيدين من أيديهم، ومن الصور المميزة في هذه اللوحة في ركنها العلوي الأيمن الجزء الأسفل لأحد الرجال الذي يرتدي زياً مميزاً وهو ما لا يظهر على بقية أجساد القتلى، مع الإشارة إلى أن نصف الجزء الأيمن الأعلى لهذه اللوحة مفقود.

واضافة إلى هذه اللوحات توجد هناك بعض النصوص المتفرقة ومنها رأس دبوس يرجح أنه يعود للملك نارمر ، وكذلك نقشان يعودان إلى الملك

(1) مجموعة من الباحثين، تاريخنا، الكتاب الأول، ص150.
(2) زكي علي وآخرون، مصر في العصور القديمة، ص21.
(3) فوزي فهيم جاد الله، مسائل في مصادر التاريخ، ص52.

(دجر)، من الأسرة الأولى وهي تقدم يعض الشواهد غير المباشرة عن هذا الموضوع.

لقد كانت هذه اللوحات التي يتميز معظمها بعدم وجود أي كتابات عليها هي الدليل الذي اعتمد عليه الباحثون في اشارتهم إلى الصراع بين جماعتين مختلفتين وهما المصريين والليبيين باعتبار أن هذه اللوحات تجسيد لمعارك حقيقية جرت بين هذين الطرفين المتصارعين وهو ما سوف نناقشه في حينه.

المبحث الثاني

تكوين وادي النيل الاجتماعي وعلاقته بالمنطقة الغربية

1 ـ وادي النيل بين سام وحام

يقول الفيلسوف الفرنسي فولتير: إن بعض المؤرخين يهتم بالحروب والمعاهدات، ولكنِّي بعد قراءة وصف ما بين ثلاثة وأربعة آلاف معركة، وبضع مئات من المعاهدات لم أجد نفسي أكثر حكمة من قبلها، حيث لم أتعرف إلا على مجرد حوادث لا تستحق عناء المعرفة[1]، ويضيف فولتير: الأجدر أن نكتشف ونعرف ما يمثل شخصية الشعب[2].

ويقترب فولتير بهذا القول من العلامة العربي ابن خلدون في وصفه للتاريخ بأنه: فن عزيز المذهب، شريف الغاية، اذ هو يوقفنا على أحوال الماضين من الأمم[3].

وبين البحث عن شخصية الشعب لدى فيلسوف عصر التنوير الأوروبي،

---

(1) أحمد محمود صبحي، في فلسفة التاريخ، منشورات الجامعة الليبية، كلية الآداب، بنغازي، د.ت، ص84.

(2) المرجع نفسه، ص84.

(3) ابن خلدون: المقدمة، دار القلم، بيروت، لبنان، ط1، 1972م، ص9.

وأحوال الأمم لدى صاحب المقدمة، تتبدى لنا الدراسة الحقيقية التي يجب أن يتم تناول التاريخ من خلالها أي دراسة الشعوب والأمم وليست الحكومات والدول التي هي شكل طارئ على تاريخ الإنسان أوجدتها ظروف التطور وحاجة الاجتماع الإنساني في طور من أطوار تقدمه وهو الذي عرف بثورة العصر الحجري الحديث[1]، أو ما يطلق عليه البعض (الانقلاب المدني) والذي وإن كان قد شهد حياة الاستقرار وممارسة الزراعة وتدجين الحيوان كشكل جديد من أشكال النشاط الاقتصادي، إلا أنه أدى إلى ظهور أهم تطور في حياة هذا الكائن وهو تكوين الأنظمة السياسية التي ساهمت بطريقة مباشرة أو غير مباشرة في اعادة تصنيف الجماعات البشرية ووضعت فيما بينها حدوداً لم تكن معروفة من قبل خاصة وأن منطق الدولة يقتضي المحافظة عليها بأي ثمن[2]، حتى وأن كان ذلك الثمن تقسيم الجماعة الواحدة إلى قريب وغريب.

وهكذا صنعت تلك الدول تاريخاً مرادفاً للتاريخ الاجتماعي أساسه المعارك الحربية التي هي أكثر أحداث التاريخ ضجيجاً ولكنها ليست أكثر فاعلية وتأثيراً في مساره[3].

اذا ما نظرنا إلى التاريخ بطريقة عميقة كالتي ينصح بها ابن خلدون عندما يقول (أن التاريخ... في ظاهره لا يزيد عن أخبار عن الأيام والدول والسوابق من القرون الأولى... وفي باطنه نظر وتحقيق وتعليل للكائنات ومبادئها دقيق وعلم بكيفيات الوقائع وأسبابها عميق)[4].

وبهذه النظرة لن يكون التاريخ علم يستمتع به العالم والجاهل فقط بل هو يتجاوز المتعة ليتحول إلى علم للبحث في أصول الجماعات والأمم من حيث أصولها وعلاقاتها. وهذا ما يدعونا إلى العودة قليلاً إلى الوراء لنعرف موقع

(1) انظر ص من هذه الدراسة.
(2) أحمد محمود صبحي، مرجع سابق، ص99.
(3) المرجع نفسه، ص107.
(4) ابن خلدون، المقدمة، ص4.

وادي النيل الاجتماعي في اطار المنطقة الجغرافية الواسعة التي ندعوها حديثاً: الوطن العربي.

لا شك أن التاريخ وخاصة القديم منه لا يزال أسير بعض المفاهيم التي صارت بحكم تكرارها وكأنها حقيقة واقعة رغم عدم وجود ما يسندها من الناحية العلمية، ومن تلك المفاهيم. فكرة انتماء البشر إلى نوح بعد أن قضى الطوفان العبري على البشرية فيما عدا نوح وأبنائه وهم سام وحام ويافث وتبدو تفاهة هذه الفكرة عندما نعرف أن نوح قد ظهر بعد 1056 عام من خلق آدم، وإن آدم قد خلق قبل ما يقرب من 5800 سنة من الآن(1)، وهي فكرة لا تستحق عناء النظر لأنها تخالف الحقائق التاريخية الثابتة.

قاد هذا التقسيم إلى اعتبار الساميين والحاميين هم سكان هذه المنطقة الممتدة من الخليج إلى المحيط وامتداداتها الجغرافية، وحيث أن التفرقة بين هذين الفرعين لم تعد لها قيمة بعد أن ثبت بالأدلة العلمية لغوية وسلاليه وآثارية أنهما من جنس واحد بالأصل ولم يعد هناك من يضع حدوداً فاصلة بينهما(2)، لذلك فأن دراسة أحدها تغني عن الأخرى من حيث النشأة الأولى.

الساميون بين المشرق والمغرب:

من القضايا التاريخية التي لم يتفق المؤرخون على حل مناسب لها قضية الموطن الأصلي لهؤلاء الساميين الذين كانوا جنساً واحداً يتكلمون لغة واحدة ويسكنون منطقة جغرافية واحدة(3).

ورغم ذلك فأن معظم الآراء تتفق حول اعتبار آسيا أو أفريقيا هي المهد

(1) موريس بوكاي، القرآن والتوراة والانجيل والعلم، منشورات جمعية الدعوة الاسلامية، طرابلس، ليبيا، د.ت، ص47

(2) علي فهمي خشيم، آلهة مصر العربية، ج1، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والاعلان، دار الأفاق الجديدة، ط1، 1999م، ص26.

(3) حامد عبدالقادر، الأمم السامية: مصادر تاريخها وحضارتها، ط1، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة، 1981م، ص52.

الأول لهذا الجنس المتميز[1]، وسوف نعرض باختصار لأهم هذه الافتراضات.

المهد الأفريقي: تقول هذه الفرضية أن الساميين نشأوا أول الأمر في أفريقيا وأقاموا بها زمناً طويلاً ثم هاجروا إلى الأماكن التي استقروا بها فيما بعد[2]، وذهب بعض أنصار هذا الرأي إلى اعتبار بلاد الحبشة هي الموطن الأول لهؤلاء الساميين ويقدمون عدة أدلة على ذلك ومنها انتشار عبادة الاله (المقه)[3] في كل من الحبشة وجنوب الجزيرة العربية[4]، ووجود تشابه بين لغتي جنوب الجزيرة والحبشة التي يفترضون أن الهجرة قد تمت اليها عبر مضيق باب المندب. في حين يشير آخرون إلى أن موطنهم هو شمال أفريقيا، ومنها انتشروا عبر برزخ السويس نحو آسيا.

المهد الآسيوي: ويضع هذا الافتراض عدة مواقع محتملة لظهور العنصر السامي ومنها بعض جهات أرمينيا أو تركستان الحالية في وسط آسيا، وآخرها جزيرة العرب وهذه الأخيرة تلاقي قبولاً لدى أغلب المؤيدين لهذا الفرض ومن

---

(1) عمر المشري محمد، بلاد القرن الأفريقي، وحدة الكتاب، شعبة التثقيف والاعلام والتعبئة، طرابلس، ليبيا، ط1، 1428م، ص26.

(2) حامد عبدالقادر، المرجع السابق، ص53.

(3) المقه هو اسم إله القمر السبأى، مثلما ورد عند الباحثين في آثار جنوب الجزيرة العربية، ويعتبر السبأيون أنفسهم أولاداً له، ويرى الباحث سيد القمني أن هذا الاسم مكون من مقطعين وهما (ال) و (مقه) بمعنى إله مكة، أي رب البيت الحرام في مكة، ويسند وجهه نظره ببعض الأدلة التي تبدو على قدر كبير من الوجاهة، انظر سيد محمود القمني، الأسطورة والتراث، سينا للنشر، القاهرة، ط1، 1992م، ص119. وللمزيد حول ذلك انظر: دتيف نيلسون وآخرون: الديانة العربية القديمة، ترجمة فؤاد حسين، مكتبة النهضة العربية، القاهرة، 1958م، ص188، ذلك: جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام، جـ5، مطبوعات المجمع العلمي العراقي، د.ت، ص17، وذلك: ثريا منقوش: التوحيد يماني، دار الطليعة، بيروت، 1977م، ص. 73، 72.

(4) لطفي عبدالوهاب يحي، العرب في العصور القديمة، دار النهضة العربية، بيروت، 1979م، ص51.

بينهم (سبر نجر) (Speren ger) وموسكاتي (Moscati) وماير (Myres) وفيلبي (Philby) وغيرهم[1].

2 ـ البحث بين الوهم والحقيقة:

اذا ما استعرضنا الأدلة المختلفة التي أتى بها كل فريق لتأييد وجهة نظره أو نقض وجهة النظر الأخرى، فأننا نجد أن معظم تلك الأدلة تكاد تكون متوازنة مما يجعل الاختيار فيما بينها يبدو صعباً. ولعل السبب الأساسي في ذلك يعود إلى التشابه الكبير في الظروف التاريخية والمناخية التي مرت بها المناطق المحتملة لظهور هذا العنصر البشري وخاصة منطقة شمال أفريقيا، أو الجزيرة العربية وما يلحق بها من مناطق وهي التي تعرف بجنوب غرب آسيا وهو التشابه الذي لا يزال سائداً حتى الآن.

وعلى سبيل المثال فأن سيل الهجرة الكبير الذي شهدته فترة العصور التاريخية من الجزيرة العربية نحو الشام وبلاد الرافدين يبدو لدى بعض المؤرخين دليلاً على أن تلك المنطقة كانت المهد الأول للساميين خاصة وأن الجزيرة كانت في الفترة من 12,000 إلى 18,000 سنة تغطيها الغابات والنباتات ثم بدأت تميل إلى الجفاف[2]، وتتحول إلى أماكن للجماعات البشرية التي ربما وصلت إلى شمال أفريقيا أيضاً ويدعم موسكاتي هذه الفكرة[3]، عندما أشار إلى أن الجزيرة العربية كانت دوماً المنطقة التي انطلقت منها الهجرات البشرية الأولى إلا أن المكتشفات الأثرية تؤكد أن

---

(1) محمود عبدالحميد أحمد: الهجرات العربية القديمة إلى مصر، دا. طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، 1982م، ص51

(2) محمد علي عيسى، الجذور التاريخية لسكان المغرب القديم من خلال المكتشفات الأثرية والمصادر التاريخية، مجلة الجديد للعلوم الإنسانية، العدد 5، المركز القومي للبحوث والدراسات العلمية، طرابلس، 2000م، ص30.

(3) محمود عبدالحميد أحمد، المصدر السابق، ص53.

وجود الإنسان في العصر الحجري القديم يعود إلى المناطق الاستوائية وشبه الاستوائية في أفريقيا[1].

كما أن المناخ المناسب للحياة الذي كان سائداً في الجزيرة العربية كان كذلك في بعض مناطق أفريقيا وخاصة الشمالية منها أما عن الهجرات كدليل على ذلك فأنه ليس هناك ما يمنع من انطلاق هذه الهجرات أصلاً من شمال أفريقيا[2]، ومن ثم استقراها أخيراً في الجزيرة، وبعد ذلك انتشارها مرة أخرى بعد الجفاف في المناطق المحيطة بها، لكن هذه الفكرة لا تبدو مقبولة لأن سؤالاً منطقياً يواجهها، وهو الدافع لهجرة هؤلاء نحو الجزيرة التي مرت بنفس الظروف؟

أن هذا الأمر يقودنا إلى استنتاج بعض الأفكار الأساسية ومنها:

أن هذا المصطلح - أي الساميين[3]- لا يعني بالضرورة وجود مجموعة متميزة، حيث أنه يقوم على تقييم توراتي يقوم معظمه على الخرافة أكثر من كونه يقوم على أسس موضوعية.

أن تحديد مكان بعينه كوطن أول لجماعة إنسانية بعينها يبدو بالنسبة للعصور القديمة أمراً غير واقعي بالمرة نتيجة للتحركات البشرية التي كانت طليعة لا تخضع لأية قيود[4].

أن تتبع حركة الهجرة يؤكد أنها لم تكن تنبع من مكان واحد بل كانت

(1) طه باقر، عصور ما قبل التاريخ، مرجع سابق، ص3، ويذكر الباحث أن أقدم المكتشفات الإنسانية تعود إلى مليون سنة. قد اكتشفت في أفريقيا الشرقية، انظر المرجع نفسه، ص16.

(2) لطفي عبدالوهاب يحي، العرب في العصور القديمة، ص51.

(3) علي فهمي خشيم، التواصل دون انقطاع، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والاعلان، مصراتة، ليبيا ط1، 1428م، ص134.

(4) محمد علي عيسى، اسم ليبيا ودلالته، مجلة تراث الشعب، السنة التاسعة عشرة، عدد2،1، 1999م، ص89.

متبادلة باستمرار وذلك بحسب الظروف والعوامل البيئية والاقتصادية والسياسية والاجتماعية المختلفة[1].

من خلال هذه الأفكار فأنه يبدو من المعقول أن نفترض أن الأصل البعيد لما عرف بالشعوب السامية، يعود إلى نطاق جغرافي واسع يمتد من الجزيرة العربية وحتى شمال أفريقيا غرباً ومنطقة السافانا الأفريقية جنوباً إلا أن الجفاف الشديد أدى إلى قدر من الانفصال، بين هاتين الكتلتين الشرقية والغربية، وتحولت كل كتلة إلى مصدر للهجرات الفرعية ما بين 15,00 ـ 10,00 عام قبل الميلاد[2].

أن هذه الفكرة الأخيرة لا تبدو حلاً توفيقياً بقدر ما تقوم على أسس راسخة يدعمها التقدم الكبير في علمي اللغة والدين المقارنين، والذي يؤكد الوحدة العضوية دينياً ولغوياً، على امتداد هذه المنطقة رغم الاختلافات المحلية الطفيفة[3].

3 ـ المركز والأطراف:

اذا صح التصور الذي طرحناه سابقاً ، والذي يبدو أنه يحمل قدراً كبيراً من المعقولية على ضوء الدلائل التاريخية المتوفرة الآن على الأقل فأنه يؤدي إلى نتيجتين نراهما مهمتين فيما يتعلق بالتركيبة الاجتماعية لوادي النيل هما:

أولاً: سقوط فكرة الحامية التي اتخذ منها البعض ذريعة للفصل بين الكتلتين البشريتين المتجانستين تحت مسمى السامية والحامية ، وهو الأمر الذي دفع بعض الباحثين إلى اقتراح مصطلح بديل وهو (العروبية) ليضم كافة الجماعات البشرية التي شهدتها المنطقة منذ أقدم العصور التاريخية والتي عرفت بمسميات مختلفة كان معظمها مسميات لدول وكيانات سياسية أكثر منه مسميات

---

(1) علي فهمي خشيم، المصدر السابق، ص134.

(2) طه باقر، مرجع سابق، ص4.

(3) طه باقر، المرجع السابق، ص4.

لشعوب أو قبائل ، وقد اقترح هذا المصطلح الباحث علي فهمي خشيم في مؤلفاته التي تتناول العلاقات القديمة بين أجزاء الوطن العربي وينسب هذا المصطلح إلى الكاتب العربي خليفة التونسي ويبدو لي أنه ليس هناك حاجة لهذا المصطلح للاعتبارات الآتية :

1 ـ أن المسألة ليست مسألة مصطلح بقدر ما هي مسألة التأكيد على وحدة الأصول .

2 ـ أن الذين يرفضون وصف تلك الشعوب بالعربية سيرفضون ولا شك مصطلح (العروبية) حيث سيبدو في نظرهم مجرد تلاعب بالكلمات .

3 ـ أن هذا المصطلح اذا ما شاع وذاع فأنه سيوقعنا مرة أخرى في الاشكالية القديمة ، حيث سيصير العرب فرعاً من العروبين مثلما كانوا في السابق فرعاً من الساميين والحاميين .

4 ـ أن مسميات الأمم والشعوب هي نتيجة لتراكمات ثقافية وتاريخية طويلة ولا تأتي من خلال الاجتهادات اللغوية ، وأن كان لابد من تعبير بديل فأن وصفها بالشعوب الأعرابية وهو تعبير قرآني يبدو أقرب إلى القبول خاصة أن معظمها كانت بدوية .

ثانياً : أن منطقة وادي النيل ستصبح وفق هذا التصور ومن الناحية الجغرافية في موقع متوسط يجعله مركزاً لهذه المساحة الجغرافية الكبرى وهو ما يعيننا على فهم طبيعة تكون الوادي الاجتماعي ، والذي تحول إلى بوتقة انصهار كبرى للجماعات القادمة من مختلف الاتجاهات[1] .

4 ـ الأسطورة والحقيقه : ـ

لقد انقضى زمن طويل قبل أن يتوصل الفكر الإنساني إلى اكتشاف أن

---

(1) هذا الوصف الذي أطلقه الباحث المهتم بشئون الشمال الأفريقي «مكبرنى» في مؤتمر علمي حول العلاقات السامية الحامية ، عقد بلندن في 1970م. انظر : علي فهمي خشيم مرجع سابق ص25.

الأساطير تحمل قدراً كبيراً من الحقيقة التاريخية وأنها ليست أوهاماً وخيالات مجردة كما كان يتم التعامل معها من قبل، بل أنها تحمل واقعاً تاريخياً مقدساً يجعلنا نعيد الاعتبار للعامل الأسطوري في اعادة كتابة التاريخ، وخاصة في مجال الهوية والخصوصية[1]، عندما نعرف أن الحوادث التاريخية والأشخاص الحقيقيين يتحولون إلى قوالب عقلية تتجاوز المفاهيم الفردية وتتحول إلى مثال أسطوري[2]، وهو ما نراه في مختلف الأساطير القديمة التي يبدو أنها تستعيد من الذاكرة الشعبية الحدث التأسيسي الأول[3].

أن هذا مدخلاً أساسياً للاشارة إلى إحدى أساطير الخلق المصرية القديمة والتي لا تشير إلى قصة النشأة الأولى بقدر اشارتها إلى التركيبة السكانية لمنطقة وادي النيل وما حولها. تنسب تلك الأسطورة إلى الإله (رع) الذي خلق الناس من دموعه المتساقطة، حيث انقسموا إلى أربعة أقسام[4]، وهم (رث) أي سكان الوادي، و(تمحو) وهي قبائل الصحراء الغربية، و(آمو) وهم سكان المنطقة التي تقع شرق الوادي، و(نحسو) وهم سكان الجنوب. ويمكننا أن نلاحظ في البداية، إن هذه الأسطورة تختلف عن التصوير التوراتي للأجناس البشرية، من حيث كونها لا تقسمهم على أساس عرقي عنصري و انما على أساس جغرافي، وهذا اتجاه أكثر معقولية بالنظر إلى حقيقة عدم وجود عرق نقي، لم يختلط بغيره[5]، ونلاحظ كذلك، أن الصنف الأول من الخلق، وهم أهل الوادي قد عرفوا باسم (رث)، وحيث أن اللغة المصرية القديمة في معظمها ذات أصول سامية واضحة، فيمكننا أن نجد تفسيراً لهذه الكلمة في معانيها العربية التي تعني

(1) تركي علي الربيعو، الاسلام وملحمة الخلق والأسطورة، ط1، مركز الثقافي العربي، بيروت 1992م، ص72

(2) مرسيا الياد، أسطورة العود الأبدي ترجمة نهاد خياط، دار طلاس للنشر، دمشق، 1987م، ص86.

(3) تركي علي الربيعو، مرجع سابق ص84.

(4) علي فهمي خشيم، آلهة مصر العربية، ج1، ص14.

(5) تاريخنا الكتاب الأول، ص31.

القديم من جهة أولى[1]، وهى تقترن في معانيها من جهة أخرى بالبذاذة[2] ومن معانيها سوء الحال من جهة والتعب والارهاق بعد الخروج من المعركة من جهة أخرى، ويمكننا أن نستنتج من هذه المعاني أن (رث) وهم قدماء سكان الوادي هم الهجرة الأولى التي وصلت إليه بعد الجفاف العظيم فهم الأقدمون بالنسبة لغيرهم ممن جاء بعدهم، ومن الطبيعي أن يكون أول المهاجرين من الفقراء وضعاف الحال الذين خرجوا يبحثون عن موطن جديد لهم بعد أن ضاق بهم موطنهم الأول وهي رحلة ولا شك كانت مرهقة ومتعبة تشبه معركة ضارية من أجل البقاء[3].

كما إن هذه الأسطورة تشير بجلاء إلى الأصل الواحد لمختلف الجماعات البشرية المقيمة بالوادي والمناطق المحيط به شرقاً وغرباً وجنوباً فقد خرجت كلّها من دموع الإله المصري (رع) وهو ما نراه بوضوح طيلة تاريخ الدولة الفرعونية.

ويذكر المسعودي في مروجه[4] التي امتلأت فيما يبدو بالكثير من (الأعشاب التوراتية الغريبة) - أن بيصر بن حام بن نوح هرب نحو مصر وإن له أربعة أولاد وهم مصر وفارق وماح وياح وتتفق هذه الرواية مع الأسطورة في عدد الجماعات التي نشأت في الوادي وحوله، وأن كانت تختلف في تسمياتها، بل إن بعض هذه التسميات قد نجدها معبرة بشكل آخر عما ورد في الأسطورة فالصنف الأول وهم (رث) يقابلون (مصر) بعد أن استقروا وعاشوا في المدن (الأمصار) أما (ماح) فهي قد تكون اشارة إلى (التمح) أو التمحو، والتي يرى

---

(1) مختار القاموس: مادة رثث.

(2) مختار القاموس: مادة بدد.

(3) يرى علي فهمي خشيم أن (رث) هي (رس) العربية، يعني الأصل أو الأساس ونرى أنه ليست هناك حاجة لابدال الثاء سيناً ما دامت الكلمة بصورتها الأصلية تقدم معنى مشابهاً بل وأدق في التعبير عن واقع الحال. انظر للباحث: آلهة مصر العربية، جـ1، ص42.

(4) المسعودي، مروج الذهب، جـ1، ص395.

بعض الباحثين[1]، أن أصلها (ماح) وأن التاء في أولها هي الكلمة المصرية بمعنى أرض أي أرض الماح في حين يمكن أن نقول أن (ياح) هم (التاحنو) بافتراض تصحيح بسيط تنقلب فيه الياء (تاء)، وأما (فارق) فهم ليسوا سوى (النحسيو) الذين افترقوا عن غيرهم ببشرتهم السمراء.

5 ـ مصر والمصريين

يقول أحد الباحثين: (لم يوجد مصري على الاطلاق، وانما كان هناك دائماً مصريون)[2]، أن هذه العبارة تجسد لنا بوضوح طبيعة التركيبة السكانية للوادي، أن سكانه الذين عرفناهم حديثاً باسم المصريين لم يطلقوا على أنفسهم هذا الاسم، وأنه وأن وجد اقليم جغرافي متميز هو مصر فأن مواطنيه هم تلك الجماعات المختلفة التي لا يمكن نسبتها إلى تلك الرقعة الضيقة المحيطة بالوادي بل هم الكتلة الكبيرة الممتدة شرقاً وغرباً وجنوباً حتى وأن لم ترتبط حياتها بالوادي ارتباطاً مباشراً.

قد تبدو هذه العبارة غير مقبولة في ظل الواقع السياسي الراهن إلا أن النظرة التاريخية المتحررة من التصورات الحديثة تجعلها مقبولة بالنظر إلى ذلك الزمن الذي لم يشهد قيام هذه الكيانات السياسية التي نراها الآن، وحيث كان الاطار الاجتماعي أكثر أهمية من الاطار السياسي.

ويمكننا أن نفهم هذا الوصف اذا قارناه بواقع حديث، ومن مصر نفسها حيث تمثل عاصمتها القاهرة خليط من جميع أرجاء الدولة حتى صارت تمثل أكثر من ربع سكانها مما يجعل من المستحيل الحديث عن مواطن (قاهري) أصيل وأن وجدت (مدينة القاهرة) مثلما يصعب الحديث عن المصريين وأن وجدت مصر وهو ينطبق على معظم العواصم الحديثة.

---

(1) علي فهمي خشيمم، المرجع السابق، ص51.
(2) محمد أبوالمحاسن عصفور، معالم حضارات، ص14.

ومما يؤكد ذلك أن تراث الوادي يشير إلى التقسيم الطبيعي الذي عرفه سكانه للأرض إلى قسمين أساسيين هما: الأرض السوداء (كمت) والتي صارت علماً على منطقة الوادي نفسها و (دشرت) أي الأرض الحمراء وصف للمناطق الصحراوية المحيطة بالوادي[1]، وهو ما يعني ادراكهم الثابت للعلاقات الوطيدة بين المنطقتين وامتدادهما الجغرافي البشري الواحد[2].

6 ـ العلاقات بين الأرض السوداء والأرض الحمراء

نستطيع أن نقرر بجلاء أن العلاقة بين هاتين الارضاوين عميقة الجذور وهي تعود على الأقل في التاريخ المعروف إلى العصر الحجري الحديث الذي كان أول ظهوره في الصحراء الكبرى[3]، وهي جزء من الأرض الحمراء كما عرفها ووصفها أهل الوادي حين بدأ سكان الصحراء يغادرونها نحو الشرق في البداية ثم نحو الجنوب[4]، بل أن هناك من يذهب بهذه العلاقة إلى العصر الحجري القديم الأعلى الذي ظهرت فيه الحضارة القفصية، حيث يبدو أن أصحاب هذه الحضارة هم الذين لاءموا حياتهم فيما بعد لمقتضيات العصر الحجري الحديث في وادي النيل[5].

ويقول «فولفانغ تاوته»: أنه لمن المؤكد خلافاً لكل الآراء التعليمية الآن، أن العصر الحجري الحديث لم يبدأ حتى قبل النصف الأول من الألف الخامسة

---

(1) انظر تحليل هاتين الكلمتين عند علي فهمي خشيم، آلهة مصر العربية، ص232-241.

(2) سوف يتبين لنا لاحقاً أن الدولة الفرعونية كانت ترى في المنطقة الصحراوية جزءاً لا يتجزأ منها وخير مثال على ذلك وظيفة (حاكم البلاد الأجنبية) الذي كان من كبار موظفي الدولة المصرية، ونشير هنا إلى أن لفظه (الأجنبية) لا تعني المدلول الذي نفهمه منها الآن. انظر في ذلك محمد أبو المحاسن عصفور، معالم تاريخ، ص61.

(3) محمد علي عيسى، الجذور التاريخية لسكان المغرب القديم، مرجع سابق، ص27.

(4) الرجع نفسه، ص28.

(5) يسرى الجوهري، شمال أفريقيا: دراسة في الجغرافية التاريخية والاقليمية، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر والتوزيع، الاسكندرية، 1968م، ص8-82.

قبل الميلاد في منطقة وادي النيل وهذا يعني دخوله متأخراً نسبياً بما يقرب من ألفي سنة من دخوله إلى أواسط الصحراء الكبرى[1].

حيث أن هذا العصر قد تميز بالرعي كحرفة أساسية فأن تلك الحرفة لم توجد صناعة جديدة فقط بل أوجدت صنفاً جديداً من الخلق وهم الرعاة الذين ما أن ازداد عددهم وغصت بهم المراعي انهالوا من البراري على القرى والسهول في الوادي وكان لذلك أثره في التاريخ[2].

لقد تحول هؤلاء الرعاة سريعاً إلى فلاحين مستقرين يزرعون الأرض وهم يحملون خبراتهم الماضية في هذه الحرفة حيث ساعدت ظروف الصحراء في تلك الفترة التي تعود إلى الألف السابع ق.م على ممارسة الزراعة البسيطة ومثلما يقول (تاوته) لم يعتمد سكان هذه المناطق على الجمع والصيد فقط بل اعتمدوا أيضاً على الزراعة الحقلية وتربية الماشية[3].

والمعروف أن حرفة الزراعة التي ارتبطت في أذهان الكثيرين بالعصور التاريخية قد مرت بمرحلتين أساسيتين، هما زراعة الفأس ومن بعدها زراعة المحراث وهو ما دفع البعض إلى اعادة ترتيب التطور الاقتصادي للإنسان على أساس: الجمع والصيد ثم الزراعة اليدوية (الفأس) ثم استئناس الحيوان وزراعة المحراث كمرحلة أخيرة في التطور والتي ظهرت قبيل العصور التاريخية[4]. وذلك يعني أن بداية التطور الذي شهدته المناطق النهرية قد بدأ في مناطق أخرى مثل الصحراء الكبرى ثم اتخذ طريقه نحو الأنهار وهو ما يؤكد وجود خط سير

(1) فولفانغ تاوته، نهاية العصر الحجري القديم في شمال أفريقيا، ترجمة: ميكائيل محرز، الصحراء الكبرى، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، 1979م، ص. 59، 58

(2) جيمس هنري برستد: العصور القديمة، ترجمة داود قربان، دار عز الدين للطباعة والنشر، بيروت، ص31.

(3) تاوته، المرجع السابق، ص58.

(4) محمد رياض، الإنسان، مرجع سابق، ص410.

بشري واتصال حضاري وخاصة في منطقة الفيوم منذ وقت مبكر لاستقرار الإنسان[1]، بين مصر والمناطق التي تقع غربها وخاصة شرق ليبيا الحالية، ويمتد غرباً حتى تونس الحالية[2].

ويمكننا أن نورد العديد من الأدلة عن تلك العلاقة المتينة بين وادي النيل وبين المنطقة التي تقع غربه مما صار من نافلة: القول، ليس في مجال التطور الاقتصادي فقط بل المشاركة في التطورات الدينية والحضارية مما يجعلها عنصر أساسي فيما عرف بالحضارة المصرية[3].

أن كل هذا يدفع إلى تغيير الصورة التقليدية لوادي النيل كمنطقة منعزلة بالصحراء[4]. كما كان يرى البعض إلى صورة جديدة ذات مجال غني بالتحليلات القائمة على المقارنة الحضارية بحيث نصل إلى الجذور الصحراوية للحضارة المصرية[5]، ومما يزيد ذلك تأييداً تسلسل الوقائع زمنياً كلما اتجهنا من الغرب إلى الشرق[6].

7 ـ المهاجرون من الرعي إلى الزراعة

أن المهاجرين من النوبة جنوباً، وليبيا غرباً والشام والجزيرة العربية والرافدين شرقاً والذين كوّنوا مجتمع وادي النيل المختلط[7]، بدأوا يستقرون في جماعات منفصلة كل واحدة مستقلة عمن سبقها[8]، لكن مساحة الوادي

(1) رشيد الناظوري، المغرب الكبير، جـ1، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، 1981م، ص126.
(2) المرجع السابق، ص98.
(3) مانفرد فيبر، المصريون القدماء والصحراء الكبرى، ترجمة عماد الذين غانم الصحراء الكبرى، مرجع سابق، ص187.
(4) هـ. آيدرس بل، مصر، ص4.
(5) مانفرد، الرجع السابق، ص187.
(6) باربارا باريش، حفريات جديدة في جبل الآكاكوس، ترجمة: ميكائيل محرز، الصحراء الكبرى، ص143.
(7) لبيب عبد الساتر، الحضارات، ص6.
(8) المرجع نفسه، ص6.

الضيقة، وتوالي الهجرة ودمج تلك الجماعات كما مر بنا سابقاً في مدن تحولت إلى كيانين سياسيين واضحي المعالم وسرعان ما توحد هذين الكيانين في دولة واحدة هي الدولة الفرعونية، وقد كان ذلك في الحقيقة أهم تطور سياسي في تاريخ منطقة شمال أفريقيا القديمة بينما كان أبناء ذلك المجتمع يتحركون بحرية واسعة، لا تحدها إلا الظروف الطبيعية ضمن تنظيماتهم الاجتماعية، إلا أن قيام الدولة جعل القرى تحل محل العشائر ويحل شيخ القرية محل رئيس العشيرة، وعندما تتحول القرى إلى مدن فأن مجموعات النسب تنحلّ بسرعة لتحل محلها مجموعات معينة وتتحول الدولة إلى تقسيمات ادارية[1].

أن ذلك يعني رجحان كفة النظم الاقتصادية على بقية النظم الحضارية مما يجعل المصالح الاقتصادية والسياسية فوق الترابط الاجتماعي لأبناء المجتمع الواحد[2].

ولأن الدولة لا يمكن أن تقوم إلا في اطار حدود معينة كشرط أساسي لممارسة سلطتها فقد كان لا بد أن تضع تلك الدولة وسلطتها الممثلة لها حدودها التي تفرض داخلها سيادتها دون مراعاة لأي عامل آخر سوى عامل المصلحة الذاتية.

لكن هذا الواقع النظري الذي تفرضه الدولة لا يتوافق دائماً مع طبيعة العلاقات الاجتماعية للجماعات المتجاورة وهو ما يقود إلى عدم اعتراف تلك الجماعات بهذه الحدود ومن هنا تؤدي هذه الرغبات المتناقضة إلى الحروب والصدامات[3]، والتي تستخدم فيها الدولة كل أسلحتها بما في ذلك الدعاية المكثفة لخلق عدو وهمي يجعل تلك الحروب مقنعة لدى رعاياها الذين يخضعون لها خضوعاً مباشراً.

---

(1) محمد رياض، الإنسان، ص215.
(2) المرجع نفسه، ص417.
(3) المرجع نفسه، ص417.

أن ذلك هو ما نراه منقوشاً ومصوراً بقدر كبير من المبالغة[1]، في كثير من الأحيان على ما تركته الدولة الفرعونية من شواهد أثرية وهو ما أسيئ فهمه وتفسيره كما نرى باعتباره صراعاً بين المصريين وجيرانهم في الغرب أو في الشرق أو في الجنوب على حد سواء، ولكن ضجيج المعارك وغبار الدعاية الرسمية يجب أن لا يمنع من معرفة ما وراء ذلك الضجيج وما يخفيه غبار الدعاية، وهو ما سوف نراه في المبحث التالي.

---

(1) انظر في ذلك، تاريخنا، الكتاب الأول، ص149.

المبحث الثالث

المفاهيم السياسية الحديثة وعلاقاتها بالتاريخ القديم

حكم التاريخ:

يقول أحمد محمود صبحي، في كتابه (في فلسفة التاريخ) أنه كلما ذكر (حكم التاريخ) تتبادل إلى الذهن، صورة شيخ بهيّ الطلعة، وقور، يرتدي جلبابه الأبيض، ويصدر أحكامه التي لا تخطئ[1]، مثل أي قاضي عادل.

لكن الأحكام التاريخية، وما يرافقها من تصورات ليست بتلك السهولة، التي يمكن أن تجري مع أية قضية أخرى، خاصة عندما تكون الأدلة ناقصة، والشهود غائبون، وهو الأمر الذي يواجهه الباحث في التاريخ القديم، على وجه الخصوص، وتزداد الصعوبة، عندما يجد الباحث نفسه، أمام أدلة ناقصة حيناً ومزيفة حيناً آخر، ومبالغاً فيها حيناً ثالثاً. كما تتضاعف الصعوبة عندما نحكم بقوانين الحاضر وتصوراته، على قضايا، تعود آلاف السنين إلى الوراء.

إن التعامل مع الأشباح، يبدو أكثر سهولة من الفصل في مثل هذه القضايا، التي نبش أوراقها، وسطر سجلاتها، وعرض حيثياتها، أجانب، لا

(1) أحمد محمود صبحي، مرجع سابق، ص90.

يمتون بصلة تاريخية وحضارية أو لغوية لأطراف القضية، وهذا الأمر ينطبق على مجمل تاريخ المنطقة العربية، في العصور القديمة، ومن الصعوبات الأخرى، في فهم طبيعة التاريخ القديم وأحداثه، الحكم عليه من خلال الواقع الراهن، دون الأخذ في الاعتبار، مجمل التطورات السياسية والاجتماعية، التي تتعلق بأي منطقة من المناطق، وأثر ذلك، في فهم ذلك التاريخ الموغل في القدم. أن ذلك يفرض على الباحث، أي يعيد تركيب الماضي في ذهنه[1]، حتى يستطيع أن يصل إلى تطابق مثالي، قدر الامكان مع ذلك الواقع، لكي تكون أحكامه صحيحة.

إن هذه الغاية، هي التي نحاول أن نصل اليها في هذا المبحث، لنعرف إلى أي مدى يتطابق الواقع السياسي الراهن، مع الموضوع الذي ندرسه.

أولا: مصر القديمة الدولة:

رغم الاختلاف الكبير بين فلاسفة التاريخ، حول دراسة التاريخ هل هو دراسة لسيرة الأفراد؟ مثلما يقول (توماس كارليل)[2] الذي أشاد بدور الأبطال في صنع التاريخ. أم هو دراسة للحضارات والأمم والمجتمعات مثلما يظهر لدى المؤرخين العرب المسلمين، الذين اهتموا بدراسة الأمم والشعوب، وفئات المجتمع، من حيث أصولها وأنسابها وطبقاتها، أم هو دراسة للدولة، التي رفع بعض الفلاسفة مثل هيجل، من شأنها، حتى أعتبرها (الشيء الوحيد الجدير بالدراسة التاريخية، لأنها الحرية في صورتها الواقعية كما يقول[3]، ولا شك أنه من الصعوبة بمكان تقرير وجه الصواب أو الخطأ، في هذه الأفكار،

---

(1) المرجع السابق، ص49.

(2) هو جورج فلهلم فردريك هيجل، ولد عام 1770 شتوتجارت بألمانيا الحالية وقد صار من أشهر فلاسفة التاريخ من خلال مؤلفاته. المنطق الكبير، محاضرات في فلسفة الدين، ومحاضرات في فلسفة التاريخ: توفي عام 1831 وقد طرح فكرة الدولة في كتابه: محاضرات في فلسفة التاريخ، ترجمة. امام عبد الفتاح امام، دار نشر الثقافة، القاهرة، 1980م.

(3) المرجع السابق، ص 209.

لأنه من غير الممكن الفصل بين أبطال التاريخ والمجتمع والدولة، في دراسة التاريخ لكن الخطأ هو في استبعاد أحد هذه العناصر، والانحياز لعنصر واحد. مما يجعل الدراسة التاريخية مشلولة وعاجزة عن تصوير حقيقة الواقعة التاريخية.

إن الدولة تفرض نفسها، ليست من حيث كونها صانعة للتاريخ، بل من دورها الكبير، في تسجيل التاريخ، وإن كان من وجهة نظرها طبعاً، ومن هنا نحاول أن نعرف مفهوم مصر كدولة قديماً وحديثاً.

إن مصر الحديثة، هي تلك الدولة التي تقع بين خطي 35 ـ 25[1]، طولاً، و31 ـ 32 عرضاً، وبمساحة تصل إلى حوالي 2 مليون كم2 وهي تنقسم إلى أربعة أقاليم رئيسية هي[2]:

1 ـ وادي النيل.

2 ـ الصحراء الشرقية.

3 ـ شبه جزيرة سينا.

4 ـ الصحراء الغربية.

ويبدو هذا التقسيم ، مجرد تقسيم دراسي، حيث أنه لا توجد على الاطلاق، أي فوارق جوهرية، بين الصحراء الشرقية والغربية، وكذلك سينا، حيث أن هذه المناطق مكملة لبعضها البعض وخضعت لنفس الظروف المناخية[3]، التي مرت بها الصحراء الليبية، والصحراء الكبرى على وجه العموم.

ولا نستثني من ذلك سوى وادي النيل الذي يعتبر ظاهرة متميزة في منطقة شمال أفريقيا بحكم كونه النهر الوحيد الذي يجرى في مثل هذه المسافة في منطقة صحراوية جرداء.

---

(1) هـ. آ يدرس بل، مرجع سابق، ص1.
(2) يسرى الجوهري، مرجع سابق، ص395.
(3) يسرى الجوهري، مرجع سابق، ص52.

أن هذا التحديد الجغرافي لمصر الحديثة لا ينطبق في الواقع على الدولة الفرعونية التي كانت تتركز أساساً حول ضفتي النيل وهي عبارة عن شريط ضيق يصل أحياناً إلى أمتار معدودة حتى أنه يمكن لأي إنسان اذا ما وصل لحافة النهر أن يقف باحدى قدميه على الأرض المزروعة وبالقدم الأخرى على الصحراء[1].

ومع أن ذلك الشريط يتسع قليلاً عند الدلتا مكوناً أرضاً زراعية واسعة إلا أن المساحة الكلية لتلك الأرض مضافاً اليها بعض الواحات لا تزيد عن 21 ألف كم^2 إلا قليلاً[2]. وذلك يعني أن الدولة الفرعونية يمكن تقسيمها إلى ثلاث مناطق رئيسية وهي:

دلتا النيل، هي التربة الغنية التي يقوم النهر بترسيبها عندما يلتقي بالبحر.

عدد من الواحات التي تعيش على المياه الجوفية.

الوادي وهو المجرى الضيق المحصور بين الصحراء الغربية والصحراء الشرقية ويبلغ أقصى اتساع له 14 كيلو متر حول جانبي النهر[3].

ويقدم هـ آ يدريس بل (H. Idris Bell) وصفاً دقيقاً للدولة الفرعونية بأنها (تشبه سمكه ذات ذيل طويل، ورأس كبير) هو الدلتا وكانت نهاية ذلك الذيل لا تتجاوز مدينة أسوان الحالية وهي حدود الدولة المصرية من الناحية الجنوبية[4].

كما توصف هذه الدولة بأنها ليست سوى واحة طويلة من ضمن العديد من الواحات التي تنتشر في الصحراء[5] وهذا المفهوم للدولة المصرية منطبق حتى على التسمية ذاتها والتي من ضمن معانيها ـ أي مصر ـ أنها الحاجز بين الشيئين[6]،

---

(1) محمد أبو المحاسن عصفور، مرجع سابق، ص10.

(2) هـ. آيدريس بل، مرجع سابق، ص2.

(3) المرجع نفسه، ص2.

(4) المرجع السابق، ص2.

(5) انظر ص 10 من هذه الدراسة.

(6) محمد فريد وجدي، دائرة معارف القرن العشرين، ط3، ج9، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، 1971م ص14.

حيث ارتبطت جغرافياً بالوادي وهو ما دفع البعض إلى القول: (أن مصر ليست سوى وادي ضيق محصور بين صحراوين: صحراء العرب شرقاً والصحراء الليبية غرباً)[1].

أن ما ذكرناه سابقاً لا يعني بالضرورة أن سكان الوادي كانوا يشعرون بقدر من التميز عن الجماعات الأخرى المحيطة بهم والمتصلة معهم من الشرق أو الغرب أو الجنوب حيث أن العلاقات الاجتماعية قادرة في كل الأحوال على تخطي الحدود السياسية مهما كانت صرامتها، خاصة أن السلطة السياسية تجد نفسها مجبرة على تجاوزها أحياناً خدمة لمصالحها الاقتصادية أو العسكرية رغم محاولاتها المتكررة للتأكيد عليها وتثبيتها بأي شكل من الأشكال، ولو من الناحية الرسمية لأن في تثبيتها لسلطتها مثلما فعل (سنوسرت الثالث) 1879 - 1841 ق.م عندما وضع علامة حدودية فاصلة بين النوبة ومصر[2]، ودعا أحفاده إلى المحافظة عليها قائلاً أنه لم يضعها لتعبد، ولكن - موجهاً حديثة لأحفاده - لكي تحاربوا من أجلها[3]، ولعله من اللافت للنظر، أن لا نجد مثيلاً لهذه ولعله الظاهرة في الجهات الأخرى الشرقية أو الغربية، مع استثناء الشمال الذي ينتهي بحد طبيعي وهو البحر.

ويمكننا من خلال الاستعراض السابق أن نصل إلى نتيجة نراها منطقية وهي أن الدولة المصرية لم تكن تعبر في الحقيقة، عن جماعة عرقية أو عن شعب، بقدر ما هي كيان سياسي خلقته ظروف متعددة، وكانت سلطته العليا وهو الفرعون، يتصرف فيها ويحكمها بمثابة اقطاعية مهمته الوحيدة اتجاهها، هو (ردَ المعتدين) من الداخل أو الخارج على حدٍ سواء[4].

---

(1) المرجع نفسه، ص16.

(2) حسين عبد العال مراجع، مرجع سابق، ص89.

(3) جيمس هنري برستد، مرجع سابق، ص85. وانظر كذلك: محمد فريد وجدي، مرجع سابق، ص22.

(4) مجموعة من الباحثين، تاريخنا. مرجع سبق ذكره، ص149.

ثانياً: ليبيا بين المفهوم السياسي والاجتماعي

1 ـ قد لا نجد في التاريخ، مفهوم يضيق حيناً ويتسع حيناً أخر بهذا القدر، الذي يتمثل في مفهوم (ليبيا)، فهو حيناً يعبر عن قارة بكاملها، وحيناً أخر يمثل اقليم ضيق وهو الجزء الشرقي من ليبيا الحالية، وقد يتسع قليلاً حيناً ثالثاً، ليعبر عن ما يعرف حالياً بالمغرب العربي، كما سوف نرى لاحقاً.

من المعروف أن (ليبيا) كمفهوم سياسي حديث، قد تبلور بعد الاحتلال الايطالي، أي مع بداية العقد الثاني من القرن العشرين، ولم يكن ذلك سوى نتيجة من نتائج تجزئة الوطن العربي بسبب التدخل الاستعماري الأوروبي الحديث، حيث تبدو حدود ليبيا وكذلك معظم الدول العربية[1] حدوداً غير طبيعية، ولكنها نتيجة لاتفاقيات سياسية استعمارية بين الدول الغربية، وحيث يلحظ انعدام المعادن الطبيعية في هذه الحدود[2]. لقد نتيجة عن ذلك بالطبع إن معظم هذه الحدود لا تعبر في الحقيقة، عن مدلول تاريخي لهذا الاقليم أو ذاك بدقة[3] ولذلك يمكن القول بصفة عامة، إن المدلولات الجغرافية لأسماء الأقاليم لم تكن محددة كما هو عليه الآن، بل كان كل اقليم يسمى باسم المجموعة التي تقيم فيه[4].

2 ـ **الليبيون وليبيا**: يتفق معظم الباحثون في تاريخ لليبيا، على نسبة هذا الاسم لقبائل الليبو، التي ورد ذكرها في مرحلة متأخرة نسبياً[5] في المصادر

---

(1) محمد مصطفى بازامة، تاريخ ليبيا، جـ1، في عصور ما قبل التاريخ، منشورات الجامعة الليبية، بنغازي، 1973 م، ص46.

(2) المرجع نفسه، ص46.

(3) نفسه، والصفحة كذلك

(4) محمد علي عيسى اسم ليبيا، مجلة تراث الشعب، العدد 2، 1، السنة 19، 1999م، ص89، انظر كذلك محمد بيومي مهران، المغرب القديم، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، 1990م، ص93.

(5) يتفق المؤرخون على إن أول ذكر لهذا الاسم، جاء على نقش مصري يرجع إلى عهد رمسيس الثاني من الأسرة (1290، 1224م. م) انظر في ذلك: تاريخنا، الكتاب الأول، ص49 كذلك:
- Gardiner, A.H., Ancient Egyptian Onomastica, Vol. 1, Oxford University Press, 1947, p. 121.

المصرية، ومن الأمور المهمة التي تجدر الإشارة اليها هنا، إن هذه الصفة، قد انسحبت على الجماعات التي ورد ذكرها في مرحلة متقدمة جداً، على ظهور الليبو على مسرح الأحداث رغم إن موقعها الجغرافي، يبدو أحياناً، خارج نطاق الاقليم الذي يحتمل أن يكون (اليبو) قد عاشوا فيه، وهو أمر يحار المرء في ايجاد تفسير مقنعاً له، من الناحية السياسية أو الاجتماعية وقد رأى بعض الباحثين في تفسير ذلك أن (الليبو) أو (ريبو) هي كلمة مصرية تعني الشعب والأرض معاً[1]، وذلك كمحاولة لحل هذا التناقض، إلاّ أن هذا الاستنتاج يبدو غير صحيح، في نظر بعض الباحثين[2]، ويستندون في ذلك إلى أن بعض الشعوب التي تناقلت هذه التسمية مثل الفلسطينيين والعبريين والأغريق، كانت على اتصال مباشر بالليبيين مما يرجح أن التسمية ليست مصرية، ويبدو هذا الاستنتاج معقولاً فيما يتعلق بالأغريق وربما الفلسطينيين أيضاً الذين يقال أنهم من ضمن شعوب البحر التي تحالف معها الليبيين لكنه يبدو وغير معقول فيما يتعلق بالعبريين الذين لم يكن لهم اتصال مباشر بالليبيين في تلك الفترة إلا اذا افترضنا أنهم نقلوه عن الفلسطينيين الذين كان لهم صراعاً مريراً معهم. وأنها تدل فقط على تلك الجماعة التي احتكت بها هذه الشعوب مباشرة في الجزء الشرقي من ليبيا، وعلى ذلك فأن تسمية هؤلاء الذين يقطنون غرب الوادي باسم الليبيين انما تأتي مجارات للأغريق وهي في الواقع تسمية غير صحيحة لأنها لا تتمشى مع تسلسل الأحداث[3].

أن ما كتبه معظم الباحثين في تاريخ مصر حول ما يتعلق بالقبائل التي تقطن غرب الوادي يدور حول حقيقة واضحة وأنَّ كان هؤلاء الباحثين لا يصرحون بها وهي أنه لا يمكن الفصل بينهم وبين سكان الوادي من أية ناحية وأن المعيار الوحيد لهذا الفصل إنما جاء من كونهم طرف أساسي في الصراع

(1) محمد بيومي مهران، المغرب القديم، مرجع سابق، ص87.

(2) محمد لطفي بازامة، تاريخ ليبيا، جا1، ص68.

(3) محمد بيومي مهران، المرجع السابق، ص93.

بين الفراعنة -أي السلطة الحاكمة -وبين أعدائهم، وبالطبع فأن عدو السلطة لا يجب أن يكون بالضرورة غير منتمي اليها، ولكن الباحثين يتجاهلون هذه الحقيقة اعتماداً على نصوص السلطة الحاكمة وهي الغامضة حيناً والمتحيزة أحياناً أخرى ومن الغلو أن نتقيد بنصوصها[1]، وينسحب هذا الأمر على المخلفات الأثرية نفسها لأن استنتاج حقائق منها يعد مجازفة في الاستقراء[2]، ومما يزيد من البعد عن الحقيقة سحب تصوراتنا الحاضرة على الماضي أي وضع تاريخنا على سرير بروكست[3]. كما يقول أحد الباحثين، ولا يعني ذلك بالطبع أن نتخذ اتجاهاً معاكساً وهو الباس الحاضر لباس الماضي، ولكن علينا أن نرى الماضي كما كان في حقيقته لأن ذلك قد يؤدي إلى نتائج مختلفة تماماً عند دراستنا لأحداث ذلك الماضي وتفسيرها.

والواقع أن هذه القضية لا تتعلق بالتاريخ الليبي والمصري فقط ولكننا نستطيع أن نلمسها عندما يتم تناول تاريخ معظم الأقطار والأقاليم المكونة للوطن العربي الحديث ويرجح بعض الباحثين هذه الظاهرة إلى التراث اليهودي ممثلاً في العهد القديم[4]، والذي استقى منه الباحثون، وخاصة الغربيين تصوراتهم في تفسير التاريخ القديم للمنطقة العربية، والذي يمكن أن نجمله في:

ـ شعوب بلاد ما بين النهرين (العراق الحديث) من بابليين وآشوريين وغيرهم رغم الاعتراف بأنهم ساميون هاجروا من بلاد العرب.

---

(1) محمد لطفي بازامة، تاريخ ليبيا، جـ1، ص23.

(2) المرجع نفسه، ص24.

(3) وبروكست هذا في الأساطير الأغريقية قاطع طريق كان يمدّد ضحاياه على سرير خاص، فاذا كانت الضحية أطول من السرير قام بتقصيره، وإن كانت أقصر مددها عنوة على طول السرير، وينطبق هذا الوضع على واقع الحال في دراسة تاريخنا القديم بتفصيله على مقياس الأوضاع الحاضرة، انظر في ذلك: تركي علي الربيعو، الإسلام وملحمة الخلق، ص168.

(4) محي الدين صبحي، ملامح الشخصية العربية، الدار العربية للكتاب، طرابلس، د.ت.

ـ الشعب الفينيقي في سواحل سوريا ولبنان (لبنان الحديث).

ـ الشعب الآرامي الذي انتشر في عدة مدن مثل حلب وحماه وحمص (سوريا الحديثة).

ـ الكنعانيون والعموريون في جنوب الشام (فلسطين) إلى أن حررها اليهود؟.

ـ الفراعنة في مصر التي تنتهي عند النوبه جنوباً والصحراء شرقاً وغرباً، رغم أنه من غير المستطاع تعيين أي أحد لمصر في هاتين الصحراوين، إلا أن هاتين الصحراوين تعزلان مصر عزلاً تاماً عما يحيط بهما فمصر بلد منعزل كل الانعزال لأنه محاط بالصحراء[1]. !! كما يقول أحد الباحثين الغربيين ويشاركه في ذلك الكثير ممن يعرفون بعلماء المصريات الذين يرون في الصحراء التي تلف الوادي هي عنصر أساسي شارك في تميز مصر عن طريق عزلتها السياسية[2]، وأن كان بعض هؤلاء قد بدأ يميل نحو تغيير هذه الصورة المغلوطة نتيجة لانكشاف الروابط العميقة بين أهل الوادي وجيرانهم[3].

ـ الليبيون القدماء الذين هم مجهولي الأصل حيناً وآريين حيناً آخر وبربر حيناً ثالثاً، وهم في عداء دائم لا ينقطع مع المصريين طمعاً في خيرات بلادهم[4]، ولا مانع بالطبع من تقسيمهم إلى شرقيين وغربيين كما أشار هيرودوت وتابعه في ذلك الباحثون المعاصرين[5].

---

(1) هـ. آيدريس بل، مرجع سابق، ص4.

(2) مانفرد فيبر، المصريون القدماء والصحراء الكبرى، ترجمة عماد الدين غانم، الصحراء الكبرى، ص187.

(3) المرجع نفسه، ص187.

(4) محي الدين صبحي، مرجع سابق، ونعني بالليبيين هنا بالمفهوم الواسع. أي سكان المغرب العربي.

(5) وهو ما يظهر لدى أوريك بيتسى على سبيل المثال في كتابه (الليبيون الشرقيون) وهي تسمية تفترض وجود ليبيين غربيين طبعاً، أي سكان بقية بلاد المغرب العربي.

لقد سرت عدوى هذا التقسيم إلى عرب الجزيرة أنفسهم ورددە وأكد عليه المؤرخون المسلمين من حيث تقسيمهم لهؤلاء إلى بائدة وباقية وعاربة ومستعربة، وكلها تقسيمات لا تصمد أمام النقد التاريخي العلمي الصحيح الخالي من الأغراض والذي يؤكد لنا أن التقسيم الواقعي الوحيد لهذه الجماعة البشرية شرقاً وغرباً هو ذلك الذي يقوم على أسس طبيعية جغرافية، أي بدو وحضر، مع الأخذ في الاعتبار طرح تلك الفكرة التقليدية التي ترى في البادية مرادفاً للجهل والتخلف، حيث أن للبادية حضارتها، وهي لا تقل في مستواها عن الحضارات المدنية، أو المجتمعات الحضرية المعاصرة لها(1)، والدليل على ذلك أن ما وصل الينا من تراث أدبي وروحي للبدو في جزيرة العرب على سبيل المثال، أرفع كثيراً من أهل المدن(2)، ولا يزال ذلك التراث يشكل جزءاً أساسياً من الثقافة العربية المعاصرة مثلما شكل العنصر الأساسي لثقافة المراكز الحضارية القديمة والتي حملها معهم المهاجرون البدو من صحراء الجزيرة والصحراء الكبرى، وربما كان من سؤ حظ هؤلاء أنهم لم يعرفوا الكتابة لتسجيل أفكارهم وآرائهم بل نقلوها عن طريق الذاكرة(3)، ولم يعرفوا أنظمة سياسية تصنع لهم تاريخاً مكتوباً ربما كان معظمه يتسم بالمبالغة، ولا يتحدث إلا على ملوك منتصرين على الدوام(4).

أن هذا الواقع ينطبق تماماً على الليبيين الذين لم يكونوا يمثلون مرحلة حضارية بدائية، لأننا لو فحصنا الأشياء والمقتنيات الخاصة بهم، والتي تم العثور عليها ضمن الآثار الليبية، والتي تحدثت عنها النقوش الأثرية بالتفصيل لوجدناها تجعلنا نصل إلى خلاصة مفادها أن هؤلاء كانوا قد وصلوا إلى مستوى حضاري لا يختلف كثيراً عن المستوى الحضاري الذي وصلت إليه بقية

---

(1) عمر فروخ، العرب في حضارتهم وثقافتهم، دار العلم للملايين، بيروت، ط2، 1981م، ص38.

(2) المرجع نفسه، ص38.

(3) المرجع نفسه، ص38

(4) أيتين دريتون، فاند بيه، مرجع سابق، ص10.

الشعوب من سكان السواحل الجنوبية للبحر المتوسط[1]، والذين ارتبطوا معهم بعلاقات تجارية وثيقة[2].

ويبدو أن هذه الحقيقة قد غابت عن أذهان بعض الباحثين أو ربما تم تجاهلها مثلما جاء في تقرير بعثة (جامعة بنسلفانيا)[3] الذي يستشهد به الكثيرون في رسم صورة لسكان برقة والصحراء الغربية الممتدة حتى الوادي، استناداً إلى حجة واهية وهي عدم العثور على مخلفات معمارية مثل تلك التي وجدت حول ضفتي الوادي وهي في معظمها لا تعدو مقابر للملوك أو معابد لهم وللطبقة الكهنوتيه المشاركة لهم في السلطة وهو ما لا يتناسب مع طبيعة الحياة السياسية والاجتماعية للبدو، واذا ما جردنا حضارة الوادي من هذه المظاهر المعمارية فلن يبق لنا شيء من الحضارة المنسوبة لأهل الوادي إلا بالقدر الذي تركته القبائل الأخرى التي سكنت غرب الوادي أو شرقه أو جنوبه مع استثناء التراث الضخم من النقوش والبرديات ذات الصبغة الحربية والسياسية والتي تمثل جزءاً كبيراً من التراث المصري القديم المكتوب والمنقوش.

ولا يعني ذلك التقليل من شأن هذه الحضارة كما قد يبدو للبعض ولكنه يعني اقرار حقيقة واضحة، وهي أن معظم حضارات الوطن العربي القديمة قد صنعها مجتمع واحد أنقسم إلى فئتين متميزتين في طريقة حياتهم وأن كانتا قد

---

(1) غو ليالم ناردوتش، استيطان برقة، ترجمة: ابراهيم أحمد المهدوي، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع، طرابلس ط1، 1425م، ص15.

(2) المرجع نفسه، ص16.

(3) جاءت هذه البعثة عام 1963م بهدف البحث عن آثار الليبيين في عصر البرونز والذين ورد ذكرهم في النصوص المصرية المعاصرة لتلك الفترة، ولا يكاد مؤلف في تاريخ ليبيا القديم يخلو من الاشارة إلى تقرير تلك البعثة. انظر في ذلك فوزي فهيم جاد الله، مرجع سابق، ص73، 44، وكذلك: طه باقر، مرجع سابق، ص41، 40، وكذلك حسين عبدالعال مراجع، مرجع سابق، ص11، 21، وكذلك REYNOLD Joyce: inscription of Roman Cyrenaica in Libya in History, p. 186. وكذلك: رجب عبدالحميد الأثرم، العلاقات الليبية المصرية حتى تأسيس الأسرة الثانية والعشرين الليبية، مجلة البحوث التاريخية، عدد 1، السنة السادسة، يناير، 1984م، ص164.

تفاعلتا تفاعلاً كاملاً فيما بينهما بحيث يبدو أنه من غير الموضوعية الفصل بينهما أو وضعهما في مواجهة بعضهما البعض استناداً إلى حوادث تاريخية يمكن أن تحدث داخل أية جماعة، وفي أي وقت ولعل (ماكبرني) (MCBURNEY) قد عبر عن ذلك أفضل تعبير عند ما أشار إلى حقيقة التنوعات الجغرافية داخل الاطار الاجتماعي والحضاري الواحد لشمال أفريقيا ووادي النيل[1].

ويمكننا من خلال الاستعراض السابق أن نخلص إلى الآتي:

1 ـ أن الواقع السياسي المعاصر لا يتطابق مع الواقع السياسي الاجتماعي لتلك الفترة التاريخية.

2 ـ أن الدولة (المصرية) التي حكمت الوادي لم تكن سوى سلطة مركزية لقاعدة اجتماعية واحدة وواسعة تمتد حول ضفتي الوادي وغربه وجنوبه وشرقه أيضاً مع تنوعات محلية طبيعية توجد داخل أي مجتمع.

3 ـ أن العلاقة بين هذه السلطة وبين تلك القاعدة الاجتماعية تختلف شدة وضعفاً تبعاً لظروف مختلفة أهمها البعد أو القرب من مركز الدولة.

4 ـ أن هذه الظاهرة ليست شاذة بل نجد مثيلاً لها في فترات تاريخية لاحقة كان فيها الوادي مركزاً لمثل هذه السلطة مثلما هو الحال في عهد الدولة الفاطمية على سبيل المثال وسوف يزداد هذا الأمر وضوحاً من خلال المبحث الرابع من هذا الفصل والذي يهتم بنقد وتحليل النصوص المصرية المتعلقة بمن يوصفون بالليبيين.

---

(1) Mc Burley, C. B. M. THE Stone age of northern Africa apelican book, 1960, p. 129.

المبحث الرابع

مدى مصداقية تفسير وتأويل النصوص التاريخية

سنحاول في هذا المبحث أن نجيب على سؤال نراه ضرورياً جداً، ليس فى تاريخ العلاقات المصرية الليبية فقط، ولكنه كذلك بالنسبة لتاريخ بقية أجزاء الوطن العربي، في عصوره القديمة. إن اعادة كتابة تاريخ الجماعات التي سكنت هذه الأرض في العصور القديمة، لا تتمثل في اضافة مؤلف أو مبحث جديد، يعيد طرح الأحداث التاريخية أو تسمية الأدلة الأثرية، بل تتمثل في محاولة اعادة تفسير تلك الأحداث على ضوء معطيات جديدة، ليس من علم التاريخ أو الآثار فقط، ولكن بمساعدة علوم أخرى، بعضها يبدو جديداً مثل (علم النص) أو (علم اللغات المقارن) أو (علم الأديان) أو النظريات الحديثة في تفسير الأساطير القديمة (الميثولوجيا) التي لم تعد شكل من أشكال الخرافات أو التفكير البدائي، بل صارت منبعاً للمعارف التاريخية والحضارية باعتراف كل الباحثين والدارسين لها. وهذا السؤال هو هل نحن أمام مجموعات بشرية مختلفة لم يربطها إلا الجوار الجغرافي؟ وهل كانت علاقتها هي علاقات صراع وتنافس؟ وهل كان ما يوحد بينها من مظاهر حضارية، ليس إلاّ شكل من أشكال التأثير والتأثر المتبادل؟ هل هناك شكل من أشكال التواصل بين تلك

الأقوام القديمة، وبين سكان المنطقة العربية في الحاضر؟ أم انها حضارات سادت ثم بادت، وشعوب ظهرت على مسرح التاريخ ثم اختفت لتحل محلها أقوام جديدة وشعوب جديدة، حسب مصطلح المؤرخين المسلمين عن (القبائل البائدة) والقبائل الباقية.

إن هذا لا يعني بالضرورة تمسكاً عنصرياً، بالجنس أو الدين أو الجذور القومية، والحنين إلى الماضي بالقدر ما يعني تصوير التاريخ على حقيقته، واظهار زيف فكرة الفصل بين التاريخ وثقافة وشعوب الحضارات (المندثرة). وبين تاريخ وثقافة وشعوب المنطقة في هذا العصر[1]، ومن نتائج ذلك تحديد هويتنا في مقابل الآخرين[2]وكذلك تحديد نظرتنا إلى تاريخنا القديم، التي لا تزال (مزيجاً مشوشاً تختلط فيه تيارات متنوعة ونزعات مختلفة متناقضة[3]) دون سائر الأمم الأخرى.

إن هناك ملاحظات أساسية لابد من الاشارة اليها، قبل أن نتناول موضوع هذا البحث:

أولاً: طبيعة المصادر المصرية: **حيث يتفق معظم الباحثين على إن هذه المصادر، تمثل الجزء الأكبر من معلومتنا عن (الليبيين) في هذه الفترة التاريخية التي ندرسها.**

1 ـ إن أول فكرة يمكن طرحها حول هذه المصادر، هي عما اذا كان أولئك الذين، تركوا تلك المصادر، كانوا يريدون بها تسجيل (التاريخ) بالمعنى المفهوم لكلمة التاريخ، بما في ذلك من تحري الدقة الكاملة، فيما يسجلونه من معلومات، والاعتناء بالوصف الصحيح لما جرى؟

يقول أحد الباحثين، أن هذه المصادر (لم تهدف في المحل الأول إلى

(1) سيد القمني، الأسطورة والتراث، مرجع سابق، ص18

(2) المرجع نفسه ص17.

(3) قسطنطين زريق، نحن والتاريخ، ط 4، دار العلم للملايين، بيروت، 1979 م، ص28

تسجيل جوانب حياة غيرها من الشعوب من جيرانها وخصومها)، وانما جاء ذلك متضمناً في تسجيلها لجوانب الحياة المصرية، بدافع من ديانة المصريين، وعقيدتهم في الحياة بعد الموت[1] بينما يرى غيره[2]، مثل الفيلسوف الألماني (اوزوالد شبنجلر[3]) إن المصريين كانوا على وعي تاريخي، وهو ما دفعهم إلى الاهتمام بالماضي وكذلك بالمستقبل والواقع أنه من الصعب أن نقبل هذه الفكرة، في ذلك الوقت المبكر من تاريخ الحضارة الإنسانية وهو ما يدفعنا إلى ترجيح أن ما قام به المصريين لم يكن يتعدي التعبير عن اهتمامهم بالحاضر وبدوافع سياسية محضة مما جعل معظم ما خلّفوه لا يعدو كونه تقارير حربية، تعتمد كثيراً على المبالغة، مما جعل التاريخ المصري لا يحتوي إلا على (أخبار ملوك منتصرين على الدوام وشعب من القديسين)[4].

أما الفكرة الثانية حول هذه المصادر فهي قيمتها الحقيقية من حيث مضمونها ولغتها وصياغتها، وحول ذلك يقول بعض الباحثين: (اذا أردنا أن نعطي خلاصة لتاريخ مصر فينبغي أن لا ننتظر تاريخاً بالمعني الدقيق للكلمة مثل تاريخ اليونان أو الرومان فالحوادث التاريخية في مصر القديمة لا نعرفها على وجه الدقة، أما النصوص بالمعني الدقيق فهي تنقصنا إلى حد كبير، ونحن

(1) فوزي فهيم جاد الله، مسائل في مصادر التاريخ الليبي، مرجع سابق، ص45

(2) spengler, O. The decline at the west, trans to English by: -F.I, Atkinson; London, 1932, Vol,1. P 15.

(3) وشبنجلر فيلسوف الماني، ولد عام 1880، في مدينة (بلاكنبوج) ودرس فى جامعة برلين ورغم تخصصه في العلوم الطبيعية، الاَ أنه اهتم بدارسته الحضارات القديمة، وفلسفة التاريخ وهو صاحب نظرية (البعد البيولوجي)في تفسير نشأت وانهيار الحضارات، ومن أهم مؤلفاته كتاب (انحلال الغرب)، والذي عبر فيه عن نزعة تشاؤمية حول مصير الحضارة الغربية لأنها حسب رأيه تفتقد البعد الروحي وقدطرح فيه أيضاً فكرته حول أن الحضارة هي وحدة الدراسة التاريخية، وليست الدولة، فالحضارة تجمع الناس، ولكن الدولة قد تفرقهم، وهو ما ينسجم مع الفكرة موضوع دراستنا، للمزيد انظر: أحمد محمود صبحي، في فلسفة التاريخ، ص242، وكذلك فوزي فهيم جاد الله، مسائل في مصادر، ص45،

(4) ايتين دريتون، جاك فانديبه، مصر، ترجمة عباس بيومي، ص10.

مضطرون في كثير من الأحيان إلى أن تقرأ ما بين السطور، وأن نتحسس الحوادث التاريخية الحقيقية... وأنه من النادر أن تظهر لنا شخصية ملك من ملوك مصر القدماء كما هي عليه في الواقع[1] ويشير آخرون إلى أن (الكتابة المصرية صعبة التأويل في كثير من الأحيان لأنها تكون غامضة أحياناً ومتميزة أحياناً أخرى... وأنه من الغلو أن نتقيد بنصوصها)[2] وإذا كان الأمر كذلك بالنسبة للباحثين من غير العرب فأن الأمر يبدو أكثر صعوبة بالنسبة للباحثين العرب الذين يعتمدون على المصادر الأجنبية لأنهم ينقلون في بعض الأحيان، ترجمات غير دقيقة بحكم الصعوبة التي يواجهها من نقلوا النصوص المصرية إلى اللغات الأجنبية.

أن ما ذكرناه من أقوال الباحثين سابقاً هو الذي دفع أحدهم إلى التأكيد على أن استنتاج حقائق من الآثار المصرية يعد مجازفة في الاستقراء[3] وهي المجازفة التي قام بها معظم باحثي المصريات مما يجعل استنتاجاتهم قابلة للنقد واعادة النظر وعدم الأخذ بها كمسلمات ليس في اطار القضايا الجزئية بل حتى في تصورهم العام لتاريخ وادي النيل وعلى وجه الخصوص في موضوع العلاقات المصرية الليبية التي صورتها المصادر المذكورة على أساس علاقات سياسية عسكرية متوترة دائماً[4]، بين جماعات بدوية جائعة من الليبيين، وشعب غني متحضر من المصريين يقوده ملوك عظام يحققون الانتصارات المجيدة على أعدائهم.[5]!؟ ويردون كيد المتبربرين في نحورهم. وفي هذا الاطار يستخدم أحد الباحثين عبارات المديح والاطراء لانتصارات الفراعنة، على القبائل الليبية، وكأنه صرع بين عدوين لدودين. وهو ما لا نراه ينطبق على طريقة ذلك الصراع ومجرياته، ويعلق باحث آخر. على أحداث الصراع بين «مرنبتاح»

(1) محمد مصطفى بازامة، تاريخ ليبيا، ط1، ص24.
(2) ايتين دريتون، جاك فانديين، مصر، ص23.
(3) محمد مصطفى بازامة، تاريخ ليبيا، جـ 1 ص 24.
(4) المرجع نفسه، ص25.
(5) محمد بيومي مهران، المغرب القديم، ص113ـ140.

والقبائل الليبية، قائلاً: إن نقوش الكرنك تبيّن ما آلت إليه أحوال مصر، نتيجة (غلبة الليبيين)[1] أي إن هؤلاء كانوا عنصر فوضى لأنهم كانوا غزاة متبربرين ومغامرين متوحشين[2]

ثانياً: العامل الزمني

حيث نلاحظ لدى معظم الباحثين الذين درسوا، المصادر المصرية المتعلقة بهذا الموضوع، اغفالهم للبعد الزمني، لدى دراسة تلك المصادر، حتى يبدو وكأن أحداث التاريخ، صورة واحدة تتكرر دائماً، وهو ما آثار الكثير من المشكلات، التي حاول هؤلاء الباحثين ايجاد مخرج لها بالتأويلات والتفسيرات النظرية، التي قد لا تصيب دائماً.

إن هذه المصادر تغطي فترة تاريخية طويلة جداً، وهي تبدأ على الأقل منذ 3200ق. م[3]، وحتى منتصف القرن العاشر، ق. م[4] وهي مليئة بالثغرات الزمنية، التي تصل إلى مئات السنين بين الأثر والآخر[5]، مما يطرح احتمالات ما يحصل من تغير في تركيبة الجماعات البشرية، وتسمياتها، ومواقعها الجغرافية، بل وحتى بعض العلامات المميزة لها، بحكم التطور الطبيعي لتلك الجماعات، وأثر البيئة، والامتزاج مع الجماعات الأخرى، وهو ما يجعل الاحتكام إلى بعض المظاهر الخارجية، كاللون أو مظاهر الزينة أو اللباس، في تنسيب الجماعات للوصول أو الفصل بينها أمرٌ غير دقيق، ولعل مؤرخنا الكبير (ابن خلدون) قد أدرك ذلك عندما ذكر: إن التمييز بين الأمة والجيل، يكون بالنسب في بعضهم، ويكون بالجهة والسمة في بعضهم الآخر، ويكون بغير

(1) حسين عبد العال مراجع، العلاقات الليبية الفرعونية، ص125
(2) محمد بيومي مهران، المغرب القديم، ص120
(3) وهو التاريخ التقريبي لعصر التوحيد التاريخي بقيادة (مينا) اذا استثنينا الآراء الحديثة، حول عمليات التوحيد السابق لهذا التاريخ.
(4) وهي الفترة التي بدأ فيها ما عرف (بالحكم الليبي).
(5) محمد مصطفى بازامة، تاريخ ليبيا، جا ص25.

ذلك من أحوال الأمم وخواصهم ومميزاتهم، فتعميم القول في أهل جهة معينة من الجنوب أو الشمال بأنهم من ولد فلان، اعتماداً على لون، أو نحلة أو سمة وجدت، أنما هو غلط من الأغاليط(1)، لأن تلك المزايا تتبدل مع الزمن ومع الطبيعة.

ثالثاً: البناء الاجتماعي

لاشك أن القبيلة كانت المظهر الأساسي للبناء الاجتماعي لهذه المنطقة، ومن أهم الخصائص المميزة لهذا البناء، أنه دائم التغير والتبدل، بحكم النمو الطبيعي للقبيلة، فقد تتحول العشائر والمكونة للقبيلة، إلى قبائل قائمة بذاتها، وقد تتلاش التسمية الأصلية لتحل محلها تسمية أو تسميات جديدة، وقد يتحول اسم القبيلة إلى مجرد تسمية جغرافية، وقد تتداخل وتمتزج بعض القبائل مع بعضها البعض لتظهر تسميات جديدة، وقد يرحل أحد فروع القبيلة إلى مكان آخر فيحمل تسمية جديدة، وربما اكتسب بعض الصفات الظاهرية الجديدة، أو عادات جديدة نتيجة للاختلاط بجماعات أخرى. لذلك فأن القول بصفات معينة في وقت معين لجماعة قبلية، لا يعني بالضرورة، انطباقها على تلك الجماعة، بعد مئات السنين، ويمكننا أن نلاحظ هذه الظاهرة بوضوح، في المرحلة التاريخية المتأخرة نسبياً، والتي تبدأ منذ الفتح العربي الإسلامي للمغرب العربي، وحتى الوقت الحاضر، حيث نلاحظ تبدلاً وتغيراً مستمراً في أسماء ومواقع الكيانات الاجتماعية (فهوارة وكتامة ونفوسة ولواته، وغيرها مصطلحات حلت محلها تسميات جديدة، وقد تبدلت مواقعها كثيراً، حتى أن تحديد مواقعها يبدو صعباً جداً(2)، فلواته التي كانت ببرقة، انتشرت غرباً حتى

(1) ابن خلدون، المقدمة، ص85.

(2) إتوري روسي، ليبيا منذ الفتح العربي، حتى سنة 1911م، ترجمة خليفة التليسي، الدار العربية للكتاب ط2، 1991م طرابلس، ص60. وللمزيد حول ذلك انظر: محمد علي عيسى، اسم ليبيا، ص100 وكذلك تاريخنا، جـ4، ص34 وكذلك علي فهمي خشيم، آلهة مصر العربية، جـ1، ص88 ـ 89.

المغرب، ونفوسة صارت اسماً للجبل، بعد أن تفرعت إلى قبائل بتسميات جديدة، وكثيراً ما تطالعنا المؤلفات التي تناولت قبائل المنطقة، بتلك العبارة الشائعة، بأن هذه المجموعة أو تلك، هي خليط من الناس أو خليط من العرب والبربر[1] للاشارة[2] إلى الاندماج والتحول الذي يطرأ على هذه الجماعات.

والواقع انه اذا ما أدخلنا هذا الأمر في اعتبارنا، عند مناقشة النصوص المصرية، فأننا قد نصل إلى نتائج مختلفة، ليس فيما يتعلق بالأحداث التاريخية نفسه، بل في معانيها وتفسيراتها.

قراءة جديدة للمصادر المصرية:

أثرنا في المبحث الأول من هذا الفصل، إلى أهم الشواهد الآثرية، التي أعتمد عليها الباحثون في اطلاق وصف (الليبيين)على بعض الجماعات، التي ارتبطت بشكل أو بآخر، بتاريخ الدولة المصرية، في بداياتها الأولى، وسوف نحاول تحليل هذه الشواهد، عل ضوء التصور الجديد، لوحدة الجماعات الإنسانية، التي سكنت الوادي، أو التي كانت تسكن غربه، والتي يظهر الاختلاف الوحيد فيما بينها، فيما يبدو، في نسق الحياة الاقتصادية والاجتماعية، بين حضر مزارعين مستقرين، وبدو ورعاة متنقلين، كان بعضهم يطيب له المقام جانبي الوادي مما أسهل بتلك الثورة في النمو السكاني لأهل الوادي[3]، وكذلك الثورة في المفاهيم السياسية والدينية وتطورها المفاجئ، خاصةً في بداية عهد الأسرات[4]، ومن أهم العلامات الدالة على ذلك، الازدياد الكبير في عدد سكان الوادي، من حوالي 20،000 نسمة في أواخر

---

(1) عبد القادر أحمد طليمات، سكان ليبيا عند اليعقوبي، ليبيا في التاريخ، ص225 .234.

(2) اي انهم خليط من السكان الأصليين والمهاجرين بعد الفتح العربي الإسلامي. انظر كذلك محمد علي عيسى، اسم ليبيا، ص99.

(3) رولاند أوليفر جون فيج، موجز تاريخ أفريقيا، ترجمة دولة صادق، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة 1965 م، ص35.

(4) المرجع نفسه، ص36.

العصر الحجري القديم الأول، إلى ثلاثة أو ستة ملايين عند قيام الدولة القديمة،[1] وحتى ندرك حجم هذه الزيادة المفاجئة نشير إلى أن (ديودور الصقلي 90 ـ 20 ق. م) قد قدر سكان الوادي بين عامي (75 ـ 60 ق. م)[2] بسبعة ملايين نسمة، وقد يعود هذا للاستقرار التدريجي للجماعات البشرية.

1 ـ مقبض السكين الذي صنع شعبين:

مثلما أشرنا سابقاً[3]، فأن أول دليل اعتمد عليه الباحثون في التمييز بين (المصريين والليبيين) هو ما عرف بمقبض سكين جبل العركي[4]، بمنطقة (فرشوط) محافظة قنا الحالية، ويصنف ضمن الدلائل الأثرية التي لا تصحبها أي نصوص، يمكن الاعتماد عليها في فهمها وتفسيرها، أي انه مجرد علامة مبهمة، والعلامة وفق المفهوم الحديث لعلم النص، تفهم باعتبارها حقلاً واسعاً للدلالة تستدعي سلسلة من المفاهيم وتجعل المعنى المستخرج منها متوالية لا تنتهي ويصير كل جزء منها احتمالاً لتأويل جديد[5]، خاصةً وإن أي نص مكتوب أو نحت أو لوحة منقوشة، يمكن أن يكون مجرد انتاج لغوي بياني أو فني، وهو لا يدل على حقيقة مجردة، بل قد يكون مجرد عمل فني صرف[6] إن هذا التصوير الجديد لقيمة النصوص التاريخية بما فيها الأدلة الأثرية، هو الذي دفع البعض إلى القول بأن هناك ثورة منهجية تشهدها الآن ممارسة كتابة التاريخ، وهذه الثورة، اذا ما طبقت على تاريخنا، فأنها تتيح إثارة كل القضايا، التي عمل المؤرخون على تحاشيها أو طمسها أو تشويشها أو حذفها، أو اساءة تفسيرها[7] واذا ما طبقنا، هذه المنهجية الجديدة فقد تنكشف الصورة على

(1) رولاند أوليفر موجز تاريخ أفريقيا، ص26.

(2) يسرى الجوهري، شمال أفريقيا، ص 464.

(3) انظر ما سبق، ص17 ـ 18. من هذه الدراسات.

(4) محمد بيومي مهران، المغرب القديم، ص99.

(5) علي حرب، أسئلة حقيقية ورهانات الفكر، ط1، دار الطليعة، بيروت، 1994، ص9.

(6) المرجع نفسه ص22.

(7) محمد آركون، الإسلام والأخلاق السياسية، ثورة النص، معهد الانماء العربي، بيروت، 1990 ص175

حقيقتها، وبكل وجوهها وأبعادها، ونتخلص من الصورة التي كرسها المؤرخون الرسميون، والتعليم الرسمي القائم على تكرار ما قاله الآخرين، ولو كان وجهات نظر، يمكن أن تخطئ أو تصيب، وعند ذلك يمكن أن نصل إلى قدر كبير من الحقيقة التاريخية، كما نراها، لا كما يتصورها الآخرون[1].

لقد أشار معظم الباحثين الغربيين، وتبعهم في ذلك الباحثون العرب، عند دراستهم لهذا الأثر، إلى أمرين أساسيين للحكم (بليبية) بعض شخصياته، وهما خصلة الشعر، وقراب العورة[2].

أما عن خصلة الشعر، قد كان الليبيون القدماء والمصريون أيضاً لا يحلقونه، وقد استمر هذا الأمر، عند سكان الوادي، حتى بداية الأسرة الأولى[3]، وهي فترة، تعقب تاريخ هذا الأثر بمئات السنين، حيث يرجع انه يعود إلى بداية الألف الرابع ق. م، وكانت جدائل الشعر، مثل التي تظهر على نقوش المقبض، معروفة في عهد الدولة القديمة[4]، ولم يتغير هذا الأمر إلا في عهد الدولة الحديثة كما أن الخصلة الأمامية على الجبهة كانت موجودة، حتى في تماثيل الفراعنة، وربما كان الصلَ على جبين الفرعون في فترات لاحقة مجرد تطوير رمزي لها[5]. ولذلك فأن هذه العلامة لا تقف دليلاً لتصنيف هؤلاء على انهم جنس متميز عن سكان الوادي.

أما عن قراب العورة، الذي يتخذ دليلاً على تحديد جنس أولئك الذين

(1) المرجع نفسه والصفحة كذلك

(2) انظر تفصيل ذلك في: فوزي فهيم جاد الله، مسائل في مصادر التاريخ الليبي ص53، وقد اعتمد في تحليلها على وجهات نظر الباحثين، مثل فرانكفورت وجوردن تشايلد وكذلك امرى وغاردنر، انظر كذلك: رجب عبد الحميد الأثرم، العلاقات الليـ ة المصرية، حتى تأسيس الأسرة 22 الليبية، مجلة البحوث التاريخية، السنة السادسة، العد الأول، يناير 1984 م ص164 وكذلك حسين عبد العال مراجع، مرجع سابق ص21 وكذلك مصطفى عبد العليم دراسات في تاريخ ليبيا، منشورات الجامعة الليبية، بنغازي. 1966 ص11.

(3) محمد عصفور، معالم حضارات الشرق القديم، مرجع سابق، ص53.

(4) المرجع نفسه وكذلك الصفحة.

(5) تاريخنا الكتاب الأول، ص114

يرتدونه، بأنهم ليبيين فقد دحضته المعلومات التاريخية التي تفيد بأن ارتداء كيس العورة، قد ظهر واضحاً لدى أهل الوادي، في تماثيل عصور ما قبل الأسرات، بصعيد مصر[1]، بل أنه ظل لباساً تقليدياً يتزين به الملك حتى نهاية العصور الفرعونية تقريباً[2] ويفسر البعض هذا الشكل من اللباس، بأنه يرتبط بعادة الختان عند المصريين[3]، وهي العادة التي كانت سائدة لدى أكثر القبائل الليبية، واذا كان التطور الطبيعي قد جعل أهل الوادي، يستعيضون عنه، بالنقبة القصيرة، المصنوعة من القماش، ولم يعد ضرورياً[4]، إلا أن الملوك ظلّوا يحافظون عليه كشكل من أشكال التقاليد[5].

إن ما ذكرناه سابقاً، يؤكد على حقيقة عدم امكانية الفصل بين من هم (ليبيين ومصريين) من خلال هذه المظاهر الخارجية، واذا ما تابعنا تحليلنا لبعض مناظر المقبض فان ما يلفت الانتباه هو مناظر السفن المشتركة في المعركة، والتي يتفق الباحثون على أنها تشير إلى نوعين، يعود احداهما إلى بلاد الرافدين، بينما تمثل الأخرى السفن النيلية المصرية، وهي التي تتشابه تماماً مع رسوم السفن النيلية التي وجدت في منطقة تادرارت أكاكوس والتي تعود إلى أكثر من 5000ق. م[6]، وحيث اتفق الباحثون على بعض المظاهر الفنية التي تعود إلى بلاد الرافدين، والتي تحمل مؤشرات سومرية، ومن بينها ارتداء بطل النقش عباءة

---

(1) رجب الاثرم، مرجع سابق، ص178.

(2) محمد أبو المحاسن عصفور، المرجع السابق، ص43 ـ 44.

(3) أحمد أنور شكري، الفن المصري القديم، القاهرة، 1960، ص18.

(4) محمد أبو محاسن عصفور، معالم حضارات، مرجع سابق، ص43 44، انظر كذلك محمد مصطفى بازارة تاريخ ليبيا. مرجع سابق ص280، حيث يشير إلى أن كيس ستر العورة يشبه تماماً ما نعثر عليه في الآثار المصرية، وهي في مصر كذلك مقصورة على الملوك والآلهة، وبالنقل عن سليم حسن، قوله أنه يستخدم في الاحتفالات الخاصة بالشعائر الدينية.

(5) محمد أبو المحاسن عصفور، تاريخ مصر والشرق الأدنى القديم، دار النهضة العربية، بيروت، ط2، د. ت، ص32.

(6) فابريتشيوموري، تادرارت أكاكوس، الفن الصخري وثقافات الصحراء قبل التاريخ، ترجمة عمر الباروني وفؤاد الكعبازي، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، 1988م ص54.

سومرية وكذلكِ صور الكلاب المختلفة عن نظيرتها المصرية، والرسوم العلوية التي لا تشبه الزخارف المصرَية[1]، وحيت أن الهجرات من الشرق عن طريق الأودية مثل وادي الحمامات، من الأمور الثابتة[2]، فان البعض يرى أن نقوش السكين تشير إلى دخول هجرة شرقية إلى الوادي، ومن ثم اصطدامها بالمقيمين هناك، ومما يدعم عن ذلك، التغير المفاجئ في الوادي، وتحوله من نظام قبلي معقد، إلى مملكتين جيدتي التنظيم وتطور الكتابة والفنون، حيث أن الاختلاط كان ولاشك كبيراً،[3] لذلك، يمكن القول، أن نقوش مقبض سكين جبل العركي، لا يمثل معركة بين (ليبيين ومصريين) بقدر ما يشير إلى صراع تقليدي، بين المهاجرين من الغرب والمهاجرين من الشرق، والذين التقوا حول ضفتي الوادي، وكان من نتائج ذلك امتزاج ثقافتهما ومعارفهما، مما ساهم بالاسراع، في وضع أسس حضارة وادي النيل، الذي كان بوتقة انصهار كبرى للهجرات القادمة من الشرق والغرب على دفعات متتالية، وعلى حدٍ سواء[4].

2 ـ لوحة الصيد:

وهي كذلك من الأعمال الفنية التي خضعت لوجهات نظر، مختلفة ومتباينة إلى حدٍ ما[5]، وقد اعتمد الباحثون في التدليل على اشارتها إلى الليبيين، إلى ظهور بعض الرجال الذين يتميزون بمظاهر اعتبرت علامات مميزة لهؤلاء الليبيين ومنها:

1 ـ انهم ملتحون.

2 ـ أنهم يحملون الريش في شعورهم.

---

(1) فوزي فهيم جاد الله، مسائل، مرجع سابق، ص53، هامش 2.

(2) المرجع نفسه، ص55، وانظر كذلك: فيليب حتى تاريخ، سوريا ولبنان وفلسطين، ترجمة جورج حداد وعبد الكريم رافق، دار الثقافة بيروت، ط3، د، ث، ص15،

(3) المرجع السابق، ص55.

(4) علي فهمي خشيم، آلهة مصر جا1، ص25.

(5) حسين عبد العال مراجع، العلاقات الليبية المصرية ص27 هامش 20

3 ـ يرتدون كيس العورة، ولهم ذيول تتدلى من قمصانهم[1].

فهل تدل هذه العلامات على الليبيين حقاً؟

أن الاجابة على هذا السؤال، ستكون بالايجاب طبعاً، فمعظم الباحثين يتفقون حول ذلك، ولكن علينا أن نأخذ في الحسبان إنها كانت موجودة، لدى أهل الوادي أيضاً، فقد كان الملك يتحلى بلحية طويلة مدببة يثبتها على ذقنه[2]، فقد استمرت تلك اللحية في زي الملوك فقط وقد قلد العظماء الملوك في ذلك[3]، ويبدو أن التطور الحضاري لأهل الوادي، ومعرفة الحلاقة، أدى إلى اختفاء اللحية الطبيعية، وحلت محلها اللحية الصناعية المدببه، والتي تبدو مثل لحية طبيعية[4] وهي نفس اللحية المدببة التي تميز الرسوم الدالة على الليبيين[5]، كما أن اطلاق اللحية أو التزين باللحية المستعارة تقليد معروف لملوك مصر وكهانها ونبلائها، منذ بداية عصر الأسرات كما هو عند الليبيين[6].

أما عند الذيل الذي يميز الليبيين كما يقال، فقد كانت حليه لا يرتديها سوا الفراعنة وحدهم، وهو ما يتفق مع كون الليبيين لا يرتدونه في مجموعهم بل كان مقصوراً على الرؤساء والملوك[7].

ويبدو أن ذلك كان جزءاً من ملابس خاصة ترتديها طبقات معينة وعلى رأسها الفراعنة، في الحفلات التذكارية أو المناسبات الرسمية[8]. حيث كان

---

(1) رجب عبد الحميد الأثرم، العلاقات الليبية المصرية، ص165، وانظر كذلك: فوزي فهيم جاد الله، مسائل، ص51.
(2) محمد أبو المحاسن عصفور، معالم الحضارات، ص30.
(3) المرجع نفسه، ص56.
(4) المرجع السابق، ص. 56، 55
(5) تاريخنا، الكتاب الأول، ص104.
(6) المرجع نفسه، ص127.
(7) محمد مصطفى بازامه، تاريخ ليبيا، جـ1، ص280.
(8) محمد أبو المحاسن عصفور، معالم الحضارات، ص47.

زي الملك لا يزيد عن ازار قصير ذو شريط يمتد فوق الكتف الأيسر وحزام مثبت به ذيل حيوان من الخلف[1]، ولعله كان أيضاً يرتديه للسحر أو خلال الصيد[2].

ويعود بنا هذا الأمر إلى عصر آخر يسبق فترة عصر الأسرات في وادي النيل، ففي منطقة (الحراريق) بالصحراء الليبية، يظهر الرجال على الرسوم الصخرية وهم يحملون نفس الذيل، الذي «يذكرنا بلوحة نارمر، حيث يحمل مؤسس العائلة نفس الذيل، الذي يتدلي من خاصرته، يتكرر ذلك في لوحة الصيد، ويشير البعض أن هؤلاء الرجال يحملون نفس تنورة مينا»[3].

وهذا يؤكد الرباط العميق بين مختلف هذه الجماعات المتباعدة زماناً ومكاناً، نافية بذلك مقولة التأثير والتأثر، التي يحاول البعض تفسير هذه الظاهرة بها.

أما عن الريش وهو زينة الرأس التقليدية التي ارتبطت بالليبيين ورغم كونها مثل غيرها مجرد ظاهرة محلية، ولا تقف لوحدها كدليل عرقي أو عنصري، ومع ذلك فأن الأدلة تؤكد على وجودها، لدى سكان الوادي، وهناك عدة ملاحظات أساسية حول هذا الموضوع ومنها:

1 - أن الريشتين لم تكن زينة للعامة، بل أنها فيما يبدو تقتصر على علية القوم، ففي النقش المصور على مقبرة الفرعون (حور محب) وهو يستقبل الوفود، لا تظهر الريشتين إلا على رأس رئيس المجموعة التي توصف بأنها من الليبيين[4].

وتتكرر هذه الظاهرة على مقبرة الفرعون (سيتي الأول) بوادي الملوك،

(1) المرجع نفسه، ص29.

(2) مانفرد فيبر، المصريون القدماء والصحراء الكبرى، مرجع سابق، ص192، وانظر كذلك: محمد أبو المحاسن عصفور، مرجع سابق، ص44

(3) فيير يتشيو موري، تادرارت أكاكوس، ص124.

(4) تاريخنا، مرجع سابق، ص119.

حيث يحملها زعماء القبائل، بينما بقية الأفراد يضعون قلنسوة على رؤوسهم[1].

2 ـ أنها فيما يبدو كانت مظهراً للمركز القيادي والاجتماعي، فقد حمل زعماء القبائل ريشتين، أما زعماء العشائر فريشة واحدة فقط[2].

3 ـ أن الملابس ومظاهر الزينة المختلفة تتأثر كثيراً بالأوضاع الاقتصادية والمهنية، وهي قد تتبدل أو تتطور وفقاً لتبدل وتطور تلك الأوضاع.

أما عن وجود هذا المظهر المميز لدى أهل الوادي فأننا نشير إلى وجود هذه الريشة حتى العصور التاريخية كعلامة مميزة للجنود المصريين، في العلامات الهيروغلفية[3].

كما أنها كانت رمز للكلمة المصرية التي تعني (جيش)[4]، مثلما كانت جديله الشعر المميز لليبيين تعني رمزاً للطفولة في الكتابة المصرية[5].

ومن المهم أن نشير هنا إلى أن كبار موظفي الدولة المصرية يزينون رؤوسهم بريشتين بنفس الأسلوب وأنهم كانوا يلبسون طاقية فوق رؤوسهم[6]، وعندما يعتنون بالزينة يضعون الريش فوق رؤوسهم ومن ذلك شخصية تدعي (تشاي) وهو مدير السجلات الملكية في عهد مربنتاح[7]، ويبدو أن الريشتين ارتبطتا بالعقائد المصرية نفسها كما يقول بعض الباحثين حتي أن (أوزوريس) إله الغرب قد حمل على تابوته شعار الريشتين، أن هذه العلامة التي وجدت عند أهل الوادي والقبائل الليبية تظهر كذلك في فترات تاريخية مبكرة في رسوم

---

(1) المرجع نفسه، ص120.
(2) المرجع نفسه، ص134.
(3) محمد بيومي مهران، المغرب القديم، مرجع سابق، ص191، 192.
(4) تاريخنا، الكتاب الأول، ص127.
(5) المرجع نفسه، ص127.
(6) أحمد فخري، مصر الفرعونية، ط3، مكتبة الأنجلوا المصرية، القاهرة، 1960م، ص40.
(7) تاريخنا، الكتاب الأول، ص127.

تاسيلي، والمثير أن بعض الرجال فقط هم الذين يستعملونها دون بقية الذين يظهرون في الرسوم[1].

ويعلق بعض الباحثين على ذلك بقوله أن هذه الصفات هي نفس صفات سكان الصحراء الكبرى قبل أن يوصف بها الليبيين أو المصريين القدماء وعلى ذلك يمكن أن نعمم اسم ليبيا والليبيين القدماء على كل شمال أفريقيا والصحراء الكبرى بما فيه وادي النيل[2].

وقد يبرز هنا سؤال منطقي حول عدم ظهور هاتين الريشتين على رؤوس الفراعنة وأظن أن الاجابة تتمثل في كون هؤلاء قد استعاضوا عنهما بالتاج المزدوج الذي يمثل اقليمي الوادي رمز السلطة ولم تعد هناك حاجة لرمز آخر، ومما يدعم ذلك وجود نوع قديم من التيجان الملكية، وهو التاج ذو الريشتين الذي يعرف باسم (شوتي)[3]، ويبدو أن استخدام الريش للدلالة على العز والسلطان قد بقي أثره في الأدب العربي والموروث الثقافي إلى حد الآن حتى يوصف المرء المتميز بذلك بأن (على رأسه ريشة).

مما سبق يمكننا القول أن لوحة الصيد لا تمثل صراعاً بين الليبيين والمصريين ولكنها قد لا تعدو كونها مجرد صراع بين فئتين من أهل الوادي، أو أنها ليست سوى عمل فني يرمز للصيد خاصة وأن صيد الوحوش الكبيرة كان من امتيازات الملك وكان ذلك ضرورياً للمحافظة على الأمن المهدد من وحش الصحراء[4]، كما أنه يبرز الامكانيات الجسدية للملك، وتغلبه على القوى الشريرة وكانت تلك الصور ركنا أساسياً من الهبات الملكية للمعابد والكنوز التابعة للمقابر[5].

---

(1) هورست مينشنغ، هل تزحف الصحراء؟ ترجمة: ميكائيل محرز، كتاب الصحراء الكبرى، ص279، انظر كذلك محمد علي عيسى، اسم ليبيا، ص96.

(2) المرجع نفسه، ص96.

(3) محمد أبو المحاسن عصفور، معالم الحضارات، ص34.

(4) مانفرد فيبر، المصريون القدماء والصحراء الكبرى، ص190.

(5) المرجع نفسه، ص190.

3 ـ لوحة التحنو :

يستنتج معظم الباحثين الذين درسوا هذه اللوحة على أنها تمثل أول اشارة كتابية إلى الليبيين الذين كان على المصريين مقاتلتهم من أجل توحيد الوادي ويذهب الباحثون العرب إلى تأييد هذه الاستنتاجات وكأنها حقيقة مطلقة بل ويبالغون في وصف ما تعبر عنه هذه المناظر(1)، ومنها المستطيلات التي توصف بأنها مدن محصنة كانت تقاتل في تحالف رغم أن وادي النيل لم يعرف مدن بمعني الكلمة في فترة ما قبل عصر الأسرات بل ظلت مصر بلد القرى الزراعية والأسواق التابعة لها(2)، بل أن الحضارة المصرية نفسها في المجال المدني لم تشهد وجود أية مدن قبل بابل وسومر(3)، وحتى تلك المدن (أن صح هذا التعبير) التي وجدت فهي صغيرة جداً إلى الدرجة التي تجعل وصفها بالمدن أمر مبالغ فيه فمدينة كاهون التي تعود إلى عصر الدولة الوسطى لم تتجاوز مساحتها 350 x400 متر مربع(4)، أي ما يعادل مساحة بيت كبير الحجم، ومن جهة أخرى فأن بقية المنظر الذي يظهر على هذا اللوح، قد لا يعدو كونه تسجيلاً لمظهر من مظاهر الحياة في هذه المنطقة دون أن يدور في ذهن من نقش هذه الرسوم، أنه يريد بها أن يعبر عن أية معاني لجنس غريب يتميز عن المصريين، يقول أحد الباحثين، في وصفه لبعض مظاهر الحياة اليومية في وادي النيل : «إذا عاد الرعاة من مستنقعات الدلتا يعرضون على سادتهم القطعان التي أخذوها معهم بعد أن توالدت وزاد عددها، ويبدأ الموكب بالثيران والأبقار تليها الماعز، ثم الحمير ثم الخراف، أي الماشية الكبيرة، والماشية الصغيرة»(5) وهو ما يكاد يتطابق مع ما نراه في مشهد لوح التحنو(6).

---

(1) يذكر البعض أنها تشير إلى معارك (فاصلة وحاسمة) بين الطرفين، انظر فوزي جاد الله، مسائل، مرجع سابق، ص53

(2) يسرى الجوهري، شمال أفريقيا، مرجع سابق، 126.

(3) المرجع نفسه، ص126.

(4) محمد أبو المحاسن عصفور، معالم الحضارات، مرجع سابق، ص38.

(5) نجيب ميخائيل، مصر وشرق الأدنى القديم، مرجع سابق، ص338.

(6) يري دريتون أنه يجب الحذر الشديد من أخذ هذه المناظر كوثائق تاريخية. انظر فوزي جاد الله، مرجع سابق، ص63، حاشية 2.

أما عن العلامة التي قرئت (تحنو) واعتبرت اشارة إلى الليبيين، فأن أول ما ينبغي الاشارة إليه هنا، أن هذه الكلمة تشير إلى منطقة جغرافية، وليس إلى قوم[1]، وقد ظل هذا الأمر حتى فترة متأخرة، مثلما يظهر في قصة سنو هي من عبارته " الذين يسكنون بلاد تحنو "[2].

ويبدو انه مع مرور الزمن، اختلطت هذه التسمية مع السكان، فصارت تدل عليها وعلى المنطقة نفسها، وهو أمر شائع حيث تتبادل الأسماء بين الأماكن والناس، وقد حدث ذلك مند الأسرة الثانية عشر حين استعملت الكلمة للسكان وفقدت معناها الأصلي[3] بينما أشير للمنطقة باسم (الغرب) دون تحديد أي ما يقع غربى الوادي فمن هم التحنو يا تري؟ وهل كانوا حقاً ليبيين في مواجهة المصريين؟

يمكن القول اجمالاً أن هؤلاء يمثلون مجموعة القبائل التي كانت تعيش في المنطقة الواسعة الممتدة من النوبة جنوباً وحتى البحر المتوسط شمالاً[4]، وأنها كانت تتحرك ما بين الجنوب والشمال عبر فترات التاريخ[5]، ومما له دلالته أن الجد الأعلى لشيشنق وهو من المشواش، يسمى (تحن بو يوواوا) مما يؤكد أن التسمية لا تعني قبيلة بعينها أو مجموعة بحالها[6].

كان هؤلاء التحنو سمر مثل المصريين وكانوا يختتنون مثلهم وكانوا يعلقون الذيل مثل الفراعنة[7].

ويقول البعض أن لا يمكن نتيجة لذلك التميز بين سكان الوجه البحري

---

(1) محمد بيومي مهران، المغرب القديم، مرجع سابق، ص69، انظر كذلك محمد علي عيسى، اسم ليبيا، ص89.
(2) المرجع نفسه، ص89.
(3) محمد مهران، المغرب القديم، مرجع سابق، ص75.
(4) علي فهمي خشيم، آلهة مصر، ج1، ص70.
(5) المرجع نفسه، ص71.
(6) المرجع السابق، ص70.
(7) محمد مهران، مرجع سابق، ص73.

وبين هؤلاء[1] فقد كان التحنو أصلاً سكان المقاطعات الغربية للدلتا لكن طبيعة هذه القبائل المتنقلة لا تسمح بافتراض مكان محدد لهم مما دفع إلى الاعتقاد بأن الاسمين يحملان معنى واحد وإن كلاهما مرادف للآخر[2].

أن التشابه الكبير والعلاقات الوطيدة بين (التحنو والمصريين) في أسمائهم وملابسهم وأوانيهم الفخارية يدعو إلى القول بأنهم من جنس واحد[3]، ومن صور التشابه الكامل تلك الأسماء مثل (أوني) و(خوتفس) فاسم الأول قائد معروف من الأسرة السادسة ومعناه المحمي من والده وكان اسم كثير التداول بين الأعلام المصرية[4].

كما أن لفظة (تحنو) ذاتها هي مصرية وربما كانت نسبة لملابسهم البراقة[5] حيث تعني مثلما يقول أوريك بيتس (المشع أو لامع أو ساطع Radiant, Shiving, Bright)[6] كما تعني الزجاج ويمتد ذلك التشابه إلى العقائد الدينية مثل الإله (تحنو) الذي يماثل (حورس تحنو) والربة (نيت) معبودة غرب الدلتا[7].

وهكذا فإن تحنو الدولة القديمة بآلهتهم وأسمائهم وملابس رؤسائهم تتفق تماماً مع ما لدى المصريين[8].

كما أن أماكن تواجدهم كانت تمثل جزءاً من الدولة المصرية ذاتها ومنها المقاطعة الثالثة الغربية والخامسة الصاوية والسابعة (مقاطعة رمح الصيد المريش)[9].

---

(1) فوزي فهيم جاد الله، مرجع سابق، ص58.
(2) تاريخنا، الكتاب الأول، مرجع سابق، ص97.
(3) تاريخنا، الكتاب الأول، مرجع سابق، ص98
(4) محمد مهران، المغرب القديم، ص74.
(5) محمد مهران، المغرب القديم، ص74.
(6) Batex, O. The Eastern Libyans; Franc Cass and com., L.T.D. London, 1970, p. 40
بل ويذهب إلى القول أنها تعني أشقر (Fair).
(7) تاريخنا، مرجع سابق، ص98.
(8) محمد مهران، المرجع السابق، ص72.
(9) فوزي فهيم جاد الله، مرجع سابق، ص58.

أن ما ذكرناه سابقاً هو الذي قاد (هولشر) إلى القول بأن المصريين يرجع أصلهم إلى الجنس الليبي[1]، وهو قول يبدوا صحيحاً وأن كان ليس دقيقاً حيث أن الوصف الصحيح لهذا التماثل هو كما عبر عنه (ادوراد ماير) بأن هذه الشواهد تدل على أن التحنو والمصريين من أرومة واحدة[2].

ومن الواضح أن سكان الوادي كانوا يدركون هذه الحقيقة ولم يتعاملوا مع (التحنو) باعتبارهم أجانب أو حتى (ليبيين) كما يطلق عليهم الباحثون، فمنذ الدولة القديمة وحتى الأسرة الثامنة عشر كان سكان تحنو يذكرون باعتبارهم (حاتبوعا) وهو لفظ يطلق على الأمراء المصريين كما يذكر(غاردنر)[3]. في حين أنهم استخدموا مصطلح (حكا ورو) للدلالة على حكام وأفراد البلاد الأجنبية عنهم[4].

والواقع أن قراءة منصفة للوقائع التاريخية تؤكد أن ما ينطبق على التحنو ينطبق أيضاً على بقية القبائل الأخرى مع اختلافات ظاهرية طفيفة مما يجعل القول بأنهم (ليبيين) يدعونا إلى التساؤل عمن كان المصريون اذا لم يكونوا هم هؤلاء وهو ما يسقط هذه التقسيم الذي لا مبرر له لهذه الجماعة البشرية الواحدة إلا من منظور سياسي طارئ حين تحولت (الدولة كنظام سياسي) إلى غول يجعل البعض عدو دخيل والبعض الآخر مواطن أصيل[5]، حسبما تفرضه ضرورات السلطة والصراع الدائر حولها وهو ما نشاهده في عصور تاريخية مختلفة، ولعل خير شاهد على ذلك ما حدث في العصر الفاطمي حين تحولت منطقة وادي النيل إلى مركز لسلطة سياسية مركزية وما ترتب عنه من صراعات مع القوى السياسية في المغرب العربي بدوافع سياسية ومذهبية يعرفها كل

---

(1) محمد مهران، المرجع السابق، ص74.
(2) عبدالله شيبوب: حضارات الوطن العربي، منذ أكثر من عصور، حتى ظهور الإسلام، مطابع الثورة العربية، طرابلس، 1428م، ص151.
(3) محمد مهران، المغرب القديم، ص69.
(4) عبدالله شيبوب: حضارات الوطن العربي، ص151.
(5) محمد السيد سعيد، فكرة المجتمع المدني، مجلة العربي، عدد 447، فبراير، 1996م، ص28.

المهتمين بتاريخ تلك الفترة التاريخية دون أن يدفع ذلك أحد من الباحثين إلى الاعتقاد بوجود اختلافات عنصرية بين مصر والمغرب في عصر تلك الدولة.

وحيث أن معظم الأدلة والتي استند اليها الباحثون، في حديثهم عن (الليبيين) وعلاقاتهم بأهل الوادي في بقية الشواهد الأخرى مثل (لوحة نارمر) أو (صلاية الأسد والعقبان) تتشابه مع ما ورد في هذه الشواهد التي ناقشناها فأنه لا ضرورة لاعادة الحديث عنها.

ونشير في ختام هذا المبحث إلى بعض الحقائق التي تؤكد التصور الذي نراه واقعياً إلى درجة كبيرة ومنها:

1 - يقول شامو: (أن القبائل والأقوام التي كانت تقطن التخوم الغربية لمصر القديمة وأيضاً سكان قورينائية المحليين ينتمون أما لشعب واحد أو على الأقل ينتمون إلى أقوام كانت تقوم بينهم وشائج مصاهرة وثيقة)[1].

2 - أن أياً من (الليبيين والمصريين) في ذلك الوقت، كانوا لا يعرفون من أين تبدأ حدود بلادهم، ولا أين تنتهي، لأن ذلك يرتبط بمفهوم الدولة، الذي لم يكن قد تبلور بعد[2].

3 - أن أهل الوادي لم يعرفوا وهم الذين سجلوا الأحداث التاريخية وتركوا تلك الشواهد الأثرية - بلداً باسم ليبيا، بل أطلقوا على المنطقة اسم (أمنت) أي الغرب دون تحديد واضح لأنهم لم يكونوا يتصورون إلى أين ينتهي الغرب[3]، وحيث أن هؤلاء هم الأوثق صلة من حيث التاريخ والجغرافية لهذه المنطقة، وحيث أن تسمية ليبيا والليبيين قد جاءت من غيرهم، فأن ذلك يقلل من مصداقيتها إلى حد كبير.

---

(1) شامو، الأغريق في برقة، ترجمة: محمد عبدالكريم الوافي، ط1، منشورات جامعة قاريونس، 1990م، ص25

(2) حسين عبدالعال مراجع، العلاقات، ص52، هامش 44.

(3) محمد مصطفى بازمة، تاريخ ليبيا، مرجع سابق، ص47.

4 ـ يقول هيرودوث[1] : أن نهر النيل ينساب عبر ليبيا بعد انبثاقه من منبعه، وهي صحراء غير مأهولة، و(يتدفق في مصر) وتعرف مصر بأنها المنطقة المواجهة للجزء الجبلي من (قليقية) وهي ما نعرفها باسم الدلتا.

وقد جاراه في ذلك (بروكوبيوس القيصري)[2] الذي يرى إن نهر النيل يقسم المنطقة التي يشقها إلى قسمين، أما القسم الشرقي فهو آسيا، وأما القسم الغربي فهو ليبيا حتى تبلغ الأقيانوس، وحيث أن هيرودوث قد اعتبر كغيره من المؤرخين القدماء أن العالم ينقسم إلى ثلاثة قارات فإن ذلك دفعه إلى أن يقول: (يقول الأغريق والأيونيون أن الأرض تتكون من ثلاثة أقسام - أوروبا وآسيا وليبيا، وينبغي عليهم أن يضيفوا اسماً رابعاً وهو بالتحديد دلتا النيل أن لم تكن جزءً من آسيا أو ليبيا) وهو ما يعني ضمناً أن الدلتا نفسها هي التي ينطبق عليها مفهوم مصر[3].

5 ـ أننا إذا جارينا هذا الإتجاه السائد في تقسيم هذه الجماعات إلى ليبيين ومصريين فإن ما يعرف بمصر سوف تتقلص حتى تتلاش لتعني الدلتا فقط، وهو أمر لا يقبله أي باحث جاد، إلا اذا أسقطنا هذا التقسيم التقليدي للمنطقة الذي درج عليه الباحثون. واعتبرنا كل تلك التسميات مجرد تسميات جغرافية حيناً واجتماعياً أحياناً أخرى تصف جماعة واحدة في إطار جغرافي وحضاري واحد في بعض المراحل التاريخية وتتشابك في بعضها الآخر.

6 ـ يرى أوريك بيتس[4] : «أن تاريخ الليبيين الشرقيين في هذه الفترة نادراً ما يستحق أن يوصف بهذا الاسم بالمعنى المفهوم» وهو يستنتج هذا

(1) هيردودت، الكتاب الثاني، فقرة 22، 34.
(2) علي فهمي خشيم، نصوص ليبية، ص173.
(3) هيردودت، الكتاب الثاني، فقرة 16.
(4) Bates. O. op. cit; p210.

الحكم من تصوره للعلاقة بينهم وبين أهل الوادي باعتبارها علاقة بين شعبين متجاورين، ولكننا إذا نظرنا إليها بمفهوم جديد كالذي نطرحه الآن فأن تاريخ هؤلاء سيكون تاريخاً حقيقياً، ويصير ما سجلته الآثار المصرية، ليس سوى الجانب الرسمي لذلك التاريخ، في مقابل الجانب الشعبي الذي يهمله في العادة معظم المؤرخين.

الفصل الثاني

2

وادي النيل بين المشرق والمغرب

المبحث الأول: ضعف السلطة المركزية

المبحث الثاني: أوضاع مصر السياسية خلال فترة الانحلال الثانية

المبحث الثالث: الهجرة الهكسوسية وآثارها

المبحث الرابع: أثر الهجرات الهكسوسية والليبية



المبحث الأول

ضعف السلطة المركزية

أ ـ تاريخ الدولة المصرية بين التصور والواقع

أشرنا في الفصل الأول من هذه الدراسة إلى أننا لا نرغب في إعادة تكرار المادة التاريخية التي جمعها الباحثون والدارسون في تاريخ وحضارة وادي النيل بقدر ما نسعى إلى طرح تصور جديد لهيكل ذات التاريخ، من خلال المادة الوفيرة، التي تجمعت نتيجة لجهود الباحثين في هذا المجال ولا يعني هذا أننا سنأتي بما لم يستطيعه الآخرون، بقدر ما يعني الحق في الاجتهاد، في فهم هذا التاريخ ما دام ذلك متاحاً في حدود قواعد البحث العلمي وأصوله. إن هذا الأمر يصبح ضرورة ملحة نتيجة للارتباط الوثيق بين وادي النيل وبين ليبيا بمفهومها الحديث، سياسياً واجتماعياً وحضارياً، وهي حقيقة أشار إليها معظم الدارسين لتاريخ هذه المنطقة، وإن ذهبوا مذاهب شتى في تفسيرها وتأويلها.

لو لم يصل الينا هرم خوفو كاملاً، بالصورة التي نراه عليها الآن، بل كومة من الحجارة الضخمة المتناثرة فلا شك إن تفسيرات متعددة سوف تظهر لهذا الأثر وقد تتراوح بين القول، أنه بقايا إحدى المدن المصرية القديمة، أو أنه بقايا معبد، من المعابد الكثيرة التي أبدعها أهل الوادي، وقد يقترب البعض من الحقيقة فيقول إنه ليس سوى مقبرة، من المقابر الملكية، التي أغرم فراعنة

مصر ببنائها لتحفظ أجسادهم، بعد مغادرة هذه الحياة الفانية، وقد يسعى كل صاحب وجهة نظر إلى تأكيدها بأقوال لمؤرخين كانوا قريبين زمنياً من تلك العصور الماضية. إننا نسوق هذا المثال لنشير إلى ذلك التصور الذي بناه المؤرخون لتاريخ الوادي السياسي، وكان في جزء كبير منه يعود إلى المؤرخ المصري (مانيثيون)[1] الذي قسم ذلك التاريخ إلى أسرات حاكمة، أخذ بها من جاء بعده وزادوا عليها بتقسيم ذلك التاريخ، إلى ممالك، قديمة ووسطى وحديثة[2]، مع بعض التقسيمات الفرعية الأخرى، حتى صار هذا التقسيم، وكأنه حقيقة مسلّم بها، رغم فترات الانقطاع الواسعة، التي لا يعرف عن أحداثها شيء، والتي يصل بعضها إلى مئات السنين.

ومن الملفت للنظر، إن المؤرخين يقرنون دائماً بين قوة مصر، وبين قوة السلطة المركزية، مما يعني إن زوال هذه السلطة يعني بالضرورة ضعفاً وانحلالاً وفوضى، وهو ما دعا إلى ظهور مصطلح عصور الإنحلال أو الفوضى، رغم إن مظاهر التقدم الحضاري في بعض هذه العصور، يماثل إن لم يتفوق على ما عداه من العصور الأخرى، وربما ساهم في هذا الوهم تلك المظاهر المعمارية الضخمة التي تركتها عصور ازدهار السلطة المركزية، مثلما هو الحال في الدولة القديمة، أو النشاط السياسي والعسكري الذي اهتمت بتسجيله السلطة الحاكمة كما هو الحال في عصر الدولة الحديثة وربما جاء هذا الوهم من ارتباط تلك العصور التي ضعفت فيها السلطة المركزية بعوامل خارجية (أي من خارج حدود

---

(1) مانيثيون السمنودى، وهو مؤرخ مصري عاش في العصر البطلمي في القرن الثالث قبل الميلاد، وألف كتاباً في تاريخ مصر ولم يصل الينا منه، سوى بعض الفقرات التي نقلها المؤرخ يوسفوس اليهودي في كتابه المعروف (ضد أبيون) وهو دفاع عن ما وصف يه أبيون اليهود من نقائص، ويعود لمانيثيون التقسيم التقليدي للدولة المصرية إلى إحدى وثلاثين أسرة حاكمة، للمزيد انظر: عبد العزيز صالح: الشرق الأدنى القديم، جا، ص43، وكذلك: عبد المنعم عبد الحليم سيد، حضارة مصر الفرعونية، جا، دار المعرفة الجامعية القاهرة، 1999م، ص4.

(2) إيما نويل فلايكوفسكي، عصور في فوضى، ترجمة: رفعت السيد، ط2، جمعية حور الثقافية، القاهرة 2000م، ص39

الوادي) ونعني بذلك هجرة القبائل البدوية المقيمة شرق الوادي أو غربه أو جنوبه، حيث يشير البعض إلى أن ضعف وسقوط الدولة القديمة، على سبيل المثال، يعود إلى زيادة الجفاف[1] في المناطق الغربية المجاورة للوادي، مما ترتب عنه هجرة كثيفة باتجاه وادي النيل، وكذلك سقوط الدولة الوسطى الذي أرتبط بهجرة الهكسوس التي بدأت تدريجياً، منذ بداية الأسرة الثالثة عشرة كما يبدو[2]، وإن لم يتفق المؤرخين على تحديد ذلك بدقة[3]، ثم سقوط الدولة الحديثة، الذي ترافق مع الهجرة الأخيرة للقبائل الليبية التي أسست ما عرف بالحكم الليبي في الوادي.

ب ـ تبادل السلطة بين المركز والأطراف:

بلغت السلطة المركزية في وادي النيل أوج قوتها وعنفوانها في عصر الدولة القديمة الذي يشمل الأسرات من الثالثة إلى السادسة، ويمتد زمنياً من 2780، 2280 ق.م تقريباً[4]، وهو العصر الذي شهد أيضاً ظهور أضخم المنشآت المعمارية حتى عرف بعصر بناة الأهرام، كما شهد الوضع السياسي للفراعنة ذروته، عندما صاروا ملوك مؤلهين[5] يحكمون في حياتهم ومماتهم ليس في رعيتهم فقط بل حتى في النيل ذاته الذي يجرى بأمرهم كما أشار إلى ذلك فرعون موسى[6].

إن تكاليف تلك السلطة المركزية، كانت باهضة ولم يكن من السهل أن يتعايش مجتمع بشري مع حكومة إلٰهية، خاصة مع نمو قوي اجتماعية مختلفة

---

(1) مانفرد فيبر، المصريون القدماء، الصحراء الكبرى، ص193.

(2) عبد العزيز صالح، الشرق الأدنى القديم، جـ1، ص206.

(3) إن تحديد زمن دخول الهكسوس لا يزال موضعاً للجدل والنقاش بين المؤرخين، انظر في ذلك المرجع السابق، نفس الصفحة، هامش 2 وهي قضية سوف نناقشها في موضعها لاحقاً.

(4) عبدالمنعم عبدالحليم سيد، حضارة مصر، ص5.

(5) أحمد بدوي، في موكب الشمس، جـ1، ص168.

(6) سورة الزخرف، آية 51: ﴿وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِۦ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِي مِن تَحْتِيٓ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾.

كانت تسعى لان يكون لها نصيب من السلطة ومن موارد الدولة، وكانت بعض هذه القوى ذات علاقة بالسلطة المركزية نفسها خادمة أو ممثلة أو نائبة أو حارسة لها، ومن هؤلاء كهنه المعابد وحكام الأقاليم وكبار الموظفين ورجال الجيش وقد أدى ذلك كله إلى أن صارت البلاد منذ أواخر الأسرة الرابعة تضطرب بالثورات الدينية والخلافات السياسية (لا تكاد نيرانها تنطفئ حتى تشب[1])، ليس من داخل الوادي فقط بل ومن خارجه أيضاً مما ادخل البلاد في مرحلة من الفوضى وبدء تلاشئ السلطة المركزية ودخول عصر مظلم[2]، مليء بالثورات من الداخل والخارج[3]، وهكذا فاننا نشهد عصراً طويلاً يبدأ منذ أواخر الأسرة السادسة وحتى نهاية الأسرة العاشرة يكتنفه الغموض[4]، وانتقلت فيه مصر من المركزية السياسية إلى التفرق السياسي[5]، الذي اتخذ صور عديدة وهو ما دعا الباحثين إلى تسميته بعصر الاضمحلال الأول وهو بالطبع اضمحلال للسلطة المركزية وليس للأسس الحضارية والاجتماعية[6]، لوادي النيل والذي يمتد من 2280 إلى 2052 ق.م تقريباً، حتى وصفه بعض الباحثين بحق أنه عصر الثورة الاجتماعية والمشاركة الواسعة للسلطة من طرف أقاليم الوادي المختلفة، وكذلك الجماعات الأخرى المحيطة به.

جـ ـ عودة الحكم المركزي:

حسب التقسيم التقليدي للدولة المصرية فإن استعادة السلطة المركزية لنفوذها وقوتها النسبية مع تولّي الأسرة الحادية عشرة يعتبر بداية لعصر جديد وهو الذي اصطلح على تسميته بعصر الدولة الوسطى، والذي يمتد تاريخياً من

---

(1) أحمد بدوي في موكب الشمس، جـ1، ص173.
(2) ما يكلوفسكي، عصور في فوضى، ص38.
(3) عبدالعزيز صالح، مصر والشرق الأدنى، ص157.
(4) المرجع السابق، ص159.
(5) المرجع نفسه، ص148.
(6) عبدالعزيز صالح، مصر والشرق الأدنى، جـ1، ص156.وكذلك عبدالمنعم عبدالحليم سيد، حضارة مصر، ص6

2134 ـ 1778 ق . م تقريباً، ويشمل كذلك حكم الأسرة الثانية عشرة[1] [2]، وقد بدأ ذلك العهد مع تولّي (منتوحتب) (بن حبه رع)[3] السلطة، والذي يضعه البعض على قدم المساواة مع (مينا) أول موحد للوادي، ومع أحمس وهو رأس الدولة الحديثة، وقد وصل ازدهار السلطة المركزية إلى ذروته في عهد الأسرة الثانية عشرة مع بداية حكم (أمنمحات الأول) وحتى عهد (أمنمحات الثالث) 1786 ـ 1691 ق . م .

ورغم ذلك فقد تدهورت الأمور سريعاً بعد أمنمحات الثالث حتى إن المؤرخين لا يتفقون على ترتيب حكم ملوكها الذين لم يتركوا أية آثار مهمة، وقد بدأ ذلك العهد يشهد بوادر سقوط السلطة المركزية من جديد نتيجة لعوامل داخلية وخارجية لينتقل الوادي إلى عصر انتقال جديد[4]. وهو العصر الذي عرف بعصر الاضمحلال الثاني، والذي شهد في جزئه الأخير حكم الهكسوس، وهو موضوع هذا الجزء من الدراسة.

رغم تعدد التسميات التي أطلقت على هذه الفترة، وكذلك التي سبقتها، ومنها وصفها بفترات الانتقال أو الاضمحلال أو الانحلال أو عصر الثورة الشعبية[5]، أو عصر الاقطاع[6]، فان كل تلك التسميات تشير إلى حقيقة واحدة وهي إن هاتين الفترتين اقترنت بضعف السلطة المركزية نتيجة لعوامل متعددة، وإنها لم تؤثر في مسيرة التقدم الحضاري والاجتماعي للوادي وأهله، بل انها

(1) عبدالمنعم عبدالحليم سيد، حضارة مصر، ص6.
(2) بينما يرى البعض امتداد هذا العصر إلى الأسرة السابعة عشرة شاغلاً بذلك عصر الفوضى الثانية وعصر الهكسوس. انظر: حسين عبدالعال مراجع، العلاقات، ص81. ولكن وواقع الحال يدعونا إلى الأخذ بالتقسيم الأول وهو الذي يمثل نموذج السلطة المركزية الذي اتخذ كأساس لتقسيم التاريخ المصري.
(3) عبدالعزيز صالح، مصر والشرق الأدنى، ص174.
(4) المرجع السابق، ص200.
(5) عبدالعزيز صالح، مصر والشرق الأدنى، جـ1، ص156، وكذلك عبدالمنعم عبدالحليم سيد، حضارة مصر، ص72.
(6) جيمس هنري برستد، العصور القديمة، ص78.

شهدت قدراً كبيراً من التوسع السياسي والتجاري، وتطوراً في الفكر السياسي، إن صح هذا التعبير[1]. فما هي يا ترى تلك الأسباب التي أدت إلى ضعف هذه السلطة المركزية؟ التي رأى البعض انها ضرورة فرضتها عوامل البيئة الطبيعية المصرية[2]، التي انتجت مجتمعاً زراعياً يرتبط ارتباطاً وثيقاً بوادي النيل وما يستلزمه من تركيز السلطة في يد قوة آمرة[3]، وهو تفسير لا يصمد أمام الواقع لأن هذا النظام المركزي الشديد لم يكن حالة نادرة في مصر فقط بل شمل الكثير من البلدان والعصور ولأن الفترات التي شهدت زواله أو ضعفه لم تسفر عن ضعف حضاري لمصر حتى يقال انه كان ضرورة لابد منها.

د ـ العوامل التي تقف وراء ضعف الحكم المركزي:

يرى المؤرخ البريطاني (أرنولدتوينبي) (Arnold Toynbee)[4] إن العوامل الداخلية أشد أثراً من العوامل الخارجية في سقوط الدول والحكومات، وإن العوامل الخارجية إن وجدت فانها لا تمثل سوى الضربة القاضية لجسد يلفظ انفاسه الأخيرة[5]، والواقع إن هذا الرأي ينطبق بقدر كبير على الدولة المصرية وحكمها المركزي وهو ما يعني البحث عن أسباب ضعف السلطة المركزية في مصر ذاتها، وما يحيط بها شرقاً وغرباً، والذي كان مرتبطاً بها بشكل أو بآخر، ومن هذه الأسباب:

---

(1) المرجع نفسه، ص80.

(2) عبدالمنعم عبدالحليم سيد، حضارة مصر، ص19

(3) المرجع نفسه، ص33.

(4) أرنولد توينبي Arnold Toynbee (1889 - 1975م) وهو واحد من كبار المؤرخين المعاصرين وقد تعمق في دراسة الحضارات الإنسانية دون تمييز، وأسهم اسهاماً كبيراً في مجال فلسفة التاريخ وعبر عن ذلك في نظريته الشهيرة حول (التحدي والاستجابة) وقد تحلى هذا المؤرخ بقدر كبير من الموضوعية في دراسته للحضارات غير الأوروبية واعترافه بدورها الرائد في الحضارة الغربية الحديثة.ومن أهم مؤلفاته موسوعته الكبيرة دراسة التاريخ A study of history) التي استغرق جمع مادتها أربعين عاماً (1921-1961م)، والتي عبَّر فيها عن نظريته التي أشرنا اليها أعلاه.

(5) أحمد محمود صبحي، في فلسفة التاريخ، البعد الحضاري لدى توينبي، ص271.

1 ـ طبيعة التكون التاريخي لمجتمع وادي النيل:

لقد صار من المسلم به إن مجتمع وادي النيل كان خليطاً من عناصر متعددة لا يغلب فيها عنصر معين جاء بعضهم من الشرق، والآخر من الغرب، وبعضهم من الجنوب، وامتزجوا على ضفتي الوادي مكونين ما عرف بشعب وادي النيل[1]، ولعله مما ساعد على هذا الامتزاج الروابط العرقية والحضارية التي تجمع هذه العناصر حتى قبل التقائها على ضفتي الوادي رغم تعدد تسمياتها حتى إن بعض الباحثين في تاريخ مصر يصف أولئك بالليبيين الساميين (Semita Libyans) حيناً، والساميين المصريين (Egyptian Semites) حيناً آخر، عندما يتحدث عن سكان الدلتا بينما ينسب أهل الجنوب إلى سكان جنوب الجزيرة العربية، أو أولئك الذين يحملون شبهاً كبيراً بهم[2]، وكما هو معروف فقد كون أولئك المهاجرين تجمعات سكانية صغيرة، أو ممالك مستقلة، وهي التي تحولت في عهد السلطة المركزية الموحدة أقاليماً احتفظت بعواصمها وآلهتها المسيطرة ونظامها الديني المحلي[3]، وحتى مع الاندماج الكبير بين تلك الأقاليم فان الثنائية الأولى الراجعة إلى انقسام مصر إلى مملكتين كبيرتين قبل التوحيد ظلت ظاهرة بصورة أو بأخرى وكان لكل منها قدر كبير من الاستقلال فيما يبدو[4]، ولعل الأمثلة على ذلك متعددة ومنها: ـ

قيام التقسيم الاداري لمصر على نفس التقسيم الاقليمي السابق له أي إلى أثنين وأربعين اقليماً بل إن هذا التقسيم تجاوز النطاق السياسي حتى صارت له

---

(1) لبيب عبدالساتر، الحضارات، ص6.
(2) H.R. Holl,The Ancient History of The near East, Methuen and co,London (U. D) P.90
(3) علي فهمي خشيم، آلهة مصر، جا، ص36.
(4) المرجع نفسه، ص65.

صبغة دينية فيما يرى البعض[1] [2]، واذا صح ذلك فانه يعني إن وحدة الوادي كانت ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالسلطة المركزية دون ما عداها.

استمرار الاعتراف ولو ضمنياً بالتقسيم الثنائي للوادي إلى شمال وجنوب رغم عدم وجود أية مظاهر طبيعية مميزة أو حدود فاصلة واضحة لهذين الاقليمين فيما عدا ذكريات الماضي السابق للتوحيد ومن مظاهر ذلك على سبيل المثال الألقاب التي حملها الفراعنة، ومنها اللقب (النسوبيتي) أي ملك الوجهين القبلي والبحري الذي ظهر منذ عهد الملك (أوديمو) في الأسرة الأولى[3]، والذي يؤكد الارتباط الوثيق بين شرعية الملك واعترافه بالشعارين المقدسين (سو) شعار مملكة الصعيد و(بيت) شعار مملكة الدلتا القديمة[4].

ومن هذه الألقاب أيضاً ما يعرف باللقب (النبتي) والذي يعني الاعتراف بالربتين الحاميتين القديمتين للجنوب والشمال وهما: (نخابه) حامية الصعيد التي كانت على شكل عقاب و(واجه) حامية الشمال، وكانت على شكل حيه.

كما إن النظام المالي للدولة عرف بيتين للمال[5]، أختص أحدهما بالجنوب وعرف باسم (يرجح) أو بيت المال الأبيض، والآخر بالشمال وسمي (بردشر) أي الأحمر، وقد اختلفت التفسيرات لهذه الظاهرة بين ثلاثة آراء

---

(1) والس بدج، كتاب الموتى الفرعوني (برت ام هرو) ترجمة وتعليق: فيليب عطية، ط1، مكتبة مدبولي، القاهرة 1988م، ص258.

(2) يظهر ذلك واضحاً جلياً في التطابق بين عدد الآلهة الذين يشتركون في فصل المحاكمة في كتاب الموتى الفرعوني وبين عدد الأقاليم المصرية، مما دفع البعض إلى القول إن كل أقليم كان يمثل باله في محاكمة الموتى في حين يرى آخرون إن ذلك العدد يمثل سراً يحتاج إلى مزيد من الدراسة لمعرفة فحواه. انظر في ذلك: فليب عطية، كتاب الموتى، تعليق على الموضوع، ص265.

(3) عبدالمنعم عبدالحليم سيد، حضارة مصر، ص51. وكذلك: عبدالعزيز صالح، مصر والشرق الأدنى، جا1، ص86.

(4) عبدالعزيز صالح، مصر والشرق الأدنى، جا1، ص86.

(5) وهي بطبيعة الحال تسمية مجازية حيث لم يعرف النقد في تلك الفترة فكان بيت المال يحتوي على دخل الدولة من الغلال والدواب والمعادن الثمينة، والمصنوعات المختلفة.

وهي: الرغبة في تيسير الاشراف على موارد البلاد، ومحاولة الاحتفاظ لكل إقليم بشخصية اسمية متميزة، وإن الأمر كان مجرد استمرار لوضع قائم قبل التوحيد[1]، ويبدو إن التفسير الثاني هو الأقرب إلى الصواب. فما الذي يعنيه ما ذهبنا اليه؟ وما هو تفسيره؟.

قد يكون معنى ذلك احتفاظ أقاليم الوادي بقدر كبير من الاستقلالية الذاتية تحت غطاء السلطة الفرعونية المركزية، ويمكن أن يكون تفسيره إن تكوين الوادي الاجتماعي قد تم على هيئة دفعات بشرية صغيرة، وعلى فترات زمنية متباعدة مما خلق قدراً معيناً من التمايز رغم الأصول المشتركة لتلك الجماعات، ولعل ما يؤيد ذلك إن التاريخ لم يحتفظ لنا بأية أخبار عن هجرات ضخمة مثل تلك التي شهدتها بلاد الرافدين أو الشام، حيث كانت كل هجرة من الهجرات من الضخامة بحيث تؤدي إلى اسقاط الدولة القائمة، واحلال دولة جديدة للمهاجرين محلها ويضاف إلى ذلك إن تمركز تلك الجماعات تم بطريقة رأسية إن صح هذا التعبير على امتداد النهر لمسافة تزيد عن الألف كيلو متر، وحتى الدلتا ذاتها فان فروعها الكثيرة ومستنقعاتها ساهمت نسبياً في عزلة الجماعات التي استوطنتها ولو إلى حين.

2 ـ سؤ استغلال الموارد الاقتصادية:

يدعى البعض إن مصر اقليم غني نتيجة لوجود وادي النيل به وما يتيحه من نشاط زراعي كثيف، ولكن النظرة الموضوعية لهذا الاقليم لا ترجح هذا الحكم خاصة إذا ما قارّنا مصر بالمناطق الأخرى التي يمر بها الوادي والتي تتوفر لها انهاراً جارية وسهول واسعة ممطرة، أو ثروات معدنية.

لقد أدى اعتماد مصر الرئيسي على وادي النيل إلى تردي الأوضاع الاقتصادية في فترات تاريخية كثيرة إلى درجة انتشار المجاعة في السنوات التي

---

(1) عبدالعزيز صالح، مصر والشرق الأدنى، جا1، ص87. انظر كذلك: عبدالمنعم عبدالحليم سيد، حضارة مصر، ص56.

يقل فيها الفيضان، وهو الأمر الذي سجلته الآثار المصرية[1]، وأشارت إليه المصادر الدينية مثلما ورد في القران الكريم عند عرضه لقصة يوسف عليه السلام[2].

ومما زاد الأمر سوءاً وخاصة منذ عهد الدولة القديمة استغلال تلك الموارد في مشروعات معمارية ضخمة كان معظمها في خدمة السلطة الحاكمة في الدنيا وبعد الممات حتى لقد ظن الفراعنة إن البلاد لم تخلق إلا لخدمتهم واقامة المباني الضخمة لهم ولأبنائهم[3]، ولعل أبرز مثال على ذلك أهرامات الجيزة التي ساهمت ولا شك في استنزاف موارد البلاد الاقتصادية والبشرية رغم قيمتها الفنية والمعمارية العالية في الوقت الحاضر والتي استغرق انشاءها عقود عديدة، واستلزم نفقات ضخمة دون أي عائد مباشر منها وقد حاول بعض الباحثين استخلاص مزايا ايجابية لها باعتبارها قد ساهمت في ايجاد فرص عمل للمواطنين في فترة الفيضان حيث يبقى الموطنون بلا عمل وانه شكل من أشكال الخدمة العامة انتفع به الفراعنة ونفعوا به الوطن[4]، إلا إن ذلك لا يمنع من القول إن بناة الأهرام تسلموا ملك مصر عزيزاً منيعاً وتركوه وقد أشرف على الزوال[5] أو كاد وقد تطرف هؤلاء في الانفاق عليها حتى انهم أوقفوا أراضي واسعة ترصد للانفاق على قبورهم ومزاراتهم[6]، ويكفي إن نشير هنا إلى إن

---

(1) تشير نقوش الملك زرسر (الأسرة الثالثة) إلى حدوث مجاعة كبرى، وقد تدخل الملك لانقاذ البدو الجائعين، كما يقول. انظر: محمد أبو المحاسن عصفور، معالم تاريخ، ص63، وكذلك: نجيب ميخائيل إبراهيم، مصر والشرق الأدنى، جـ1، ص227، 228.

(2) قال تعالى ﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ * ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ﴾ سورة يوسف الآيتان 47، 48.

(3) عبد المنعم عبدالحليم سيد، حضارة مصر، ص80، عبدالعزيز صالح، مصر والشرق الأدنى، ص86.

(4) أحمد بدوي، في موكب الشمس، ، جـ1، ص146، هامش4.

(5) المرجع نفسه، ص76.

(6) أحمد بدوي، في موكب الشمس، جـ1، ص154.

100 ألف عامل ساهموا في انجاز هرم خوفو لمدة عشرين سنة متواصلة[1]، وإن بعثة واحدة لقطع الحجارة من أقصى جنوب مصر كانت تتكون من ثمانية آلاف رجل[2]، ولا شك إن العشرات، بل المئات من هذه البعثات، ومئات أخرى من آلاف العمال كان ضرورياً لانجاز تلك الأعمال الكبرى، والملفت للنظر إن عدوى هذا التقليد قد سرت إلى حكام الأقاليم وقادة الجيش وكبار الموظفين والكهنة، وهو ما تشهد به آثار الوادي مما زاد في تفاقم الضغط على الموارد الاقتصادية للدولة وهو ما نراه واضحاً فيما تبقى من آثار أدبية تعود لتلك الفترة.

ويمكن القول إن مثل هذه المشاريع صارت تقليداً رسمياً ليس في عهد الدولة القديمة وحدها بل حتى فترة متأخرة من تاريخ الدولة المصرية أو على تعبير أحد الباحثين فان أعمال البناء وما يتصل بها من نحت وزخرفة لا تكاد تتوقف ولا تنتهي وكانت جيوش ضخمة من العمال تحشد في كل البلاد في جبهات متعددة لهذا الغرض[3]، وهم لا يدركون إن هذا البناء هو هدم لاقتصاد البلاد.

3 ـ دور مراكز القوى في اضعاف السلطة المركزية:

اذا كانت السلطة المركزية التي يقف على رأسها الفرعون ممثلاً لسلطة مطلقة دعت أحدهم إلى إن يصف نفسه مخاطباً شعبه بأنه ربهم الأعلى[4]، إلا إن هذا (الرب) كان في حاجة إلى عدد كبير من (الملائكة) لممارسة تلك السلطة، وقد مارس هؤلاء دورهم كفراعنة صغار في نطاق نفوذهم فقد كان من الضروري لهذه السلطة من أعوان ينفذون سياستها في طول البلاد

(1) جيمس هنري برستد، العصور القديمة، ص56.

(2) محمد أبو المحاسن عصفور، معالم حضارات الشرق، ص116.

(3) أحمد بدوي، في موكب الشمس، جـ1، ص146.

(4) كان ذلك على لسان فرعون موسى، الذي يبدو وكأنه يرفض أي سلطة أخرى تنافسه حتى ولو كانت تلك السلطة من قبل رب موسى والناس أجمعين، ﴿فَحَشَرَ فَنَادَىٰ * فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ﴾ سورة النازعات، الآيتان 23، 24.

وعرضها، واكتسبوا بذلك نفوذ قوي ومصالح كبرى وكانوا مستعدين إذا ما أدركوا ضعف الفرعون وتراخى سلطته للتدخل في شئونها لاكتساب المزيد من المنافع، وهكذا يتحول هؤلاء من مساند للسلطة إلى عامل اضعاف لها[1]، وهو ما سوف نراه لاحقاً.

4 ـ الهجرة من خارج حدود الدولة:

لقد صار من المسلّم به الاعتراف بأن التكوين الاجتماعي لوادي النيل كان نتيجة للهجرة المستمرة منذ فجر التاريخ إلى الوادي حتى يمكن القول إن الحضارة المصرية هي من خلق القبائل المختلفة التي وفدت عليها من أبوابها المختلفة[2].

لم تكن تلك الهجرات تثير أحداً قبل أن يعرف الوادي سلطة سياسية حاكمة أما بعد ذلك فقد صارت الهجرة في نظر تلك السلطة غزواً خارجياً يحتاج إلى مقاومة، وهو ما أدخل السلطة الحاكمة في صراع مستمر مع تلك القبائل البدوية التي صارت غريبة وأجنبية بحكم الوضع السياسي القائم[3]، وهو ما سوف نستعرضه لاحقاً.

لقد ساهمت الظروف التي ذكرناها سابقاً في انفراط عقد السلطة المركزية ودخول وادي النيل إلى عصر جديد رغم اختلاف تسمياته إلا أنه تميز بتطورات اجتماعية مهمة ساهمت إلى حد كبير في أحداث تغيرات شاملة في مناحي الحياة المختلفة حتى وصف بحق بأنه عصر الثورة الاجتماعية، وما أسفرت عنه من نتائج سياسية واقتصادية واجتماعية وفكرية سنعرف بعض تفاصيلها في المبحث القادم مع التأكيد على إن وصفه من قبل بعض الباحثين بأنه (عصر الانحطاط) لا ينطبق على الواقع إلا إذا فسرنا ذلك بأنه يعني انحطاط دور السلطة المركزية وهو الدور الذي لا يعتبر شرطاً ضرورياً لاستمرار تقدم المجتمع كما يظهر لنا من بعض الأمثلة التاريخية.

---

(1) عبدالمنعم عبدالحليم سيد، حضارة مصر، ص72.

(2) أحمد بدوي، في موكب الشمس، جا، ص92، هامش 1.

(3) مانفرد فيبر، المصريون القدماء، ترجمة عماد الدين غانم، كتاب الصحراء الكبرى، ص187.

المبحث الثاني

أوضاع مصر السياسية
خلال فترة الانحلال الثانية

أ ـ عصر واحد أم عصرين؟:

درج الباحثون في تاريخ وادي النيل على الاشارة إلى عصرين متميزين في تاريخ مصر هما عصر الانحلال الأول، وعصر الانحلال الثاني، ويبدأ أولهما مع سقوط الدولة القديمة بنهاية الأسرة السادسة، ويستمر حتى قيام الأسرة الثانية عشر التي يعرف عهدها بالدولة الوسطي ويبدأ الثاني بسقوط الدولة الوسطى منذ الأسرة الثالثة عشرة، وحتى قيام الدولة الحديثة بتأسيس الأسرة الثامنة عشرة.

ويبدو هذا التقسيم متمشياً مع ما عهدناه من تقسيم للتاريخ المصري إلى أسر حاكمة والذي يعود للمؤرخ المصري مانيثيون، ومن بعده المؤرخين المعاصرين الذين وضعوا كل مجموعة من هذه الأسر في اطار مرحلة تاريخية شكلت ما عرف باسم الدولة القديمة والوسطى والحديثة، وهذا التقسيم هو مزيج من تصور مانيثيون واجتهادات المؤرخين المحدثين. ولقد خضع تقسيم مانيثيون للنقد الشديد من جميع المؤرخين حيث كانت تقديراته في غالبها غير

صحيحة[1]، ورواياته يكتنفها الشك وتحتاج إلى الحذر الشديد عند تناولها[2]، وما وصلنا من تاريخه ليس سوى ظل لظل كما وصفه جان فيركوتير[3] في اشارة إلى ضياع نصه الأصلي واعتماد المؤرخين على ما نقله عنه آخرون من بينهم يوسف اليهودي (جوزيفوس) الذي يشكك بعض الباحثين في نواياه الحقيقية من وراء مؤلفه مما يقلل من مصداقية ما نقله[4] خاصة مع الظروف المعروفة التي دعته لتأليف كتابه (ضد أبيون)[5]، ومما زاد من الشك إن الكثير من المعلومات التي يوردها لم تجد لها ما يؤيدها من علم الآثار.

أما تقسيمات الباحثين المحدثين فهي ليست سوى وسيلة لتسهيل دراسة التاريخ المصري لا غير، ولذلك فانها غير ملزمة بالضرورة لأي باحث إلا بقدر اقتناعه بها خاصة عندما يتعلق الأمر بدراسة الظواهر الاجتماعية كالهجرة الثقافية التي لا يمكن أن نحدد بدقة بداية ونهاية لها وقد لا يظهر أثرها إلا بعد فترة تطول أو تقصر من وقوعها.

لقد سقنا هذه المقدمة لأنَّ هناك من التشابه والتطابق بين عهدي الانحلال الأول والثاني ما يجعلهما بمثابة مرحلة تاريخية واحدة بحيث يكون الفصل

---

(1) جورج بوزنر وآخرون، معجم الحضارة المصرية القديمة، ترجمة: أمين سلامة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1996م، ص 298.

(2) المرجع نفسه، ص298،

(3) جان فاركوتير، مصر القديمة، ترجمة: ماهر جو يجاتي، ط1، دار الفكر للدراسات والنشر، القاهرة، 1993م ص18.

(4) أحمد بدوي، في موكب الشمس، ج2، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1950م، ص294.

(5) عاش يوسف اليهودي في القرن الأول للمسيح، وكان حاقداً على العالم النحوي المصري (أبيون) الذي ألف كتاباً هاجم فيه اليهود، وطعن في أخلاقهم، ورماهم بكل نقيصة، ووصفهم بصفات كريهة مما جعل يوسف، ينقل عن مانيثون وينسب إليه إن الهكسوس هم اليهود، وانهم احتلوا مصر دون مقاومة، وأنهم كانوا أكثر تحضراً. كل ذلك للرفع من شأن قومه ويتفق المؤرخون على إن معظم ما نسبه لمانيثون قد يكون غير صحيح. للمزيد حول ذلك انظر: أحمد بدوي، في موكب الشمس، ج2، ص249، هامش 2، وكذلك أحمد فخري، مصر الفرعونية، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، 1944م، ص63.

بينهما أمر لا مبرر له سوى قيام تلك الأسرة القوية وهي الأسرة الثانية عشرة التي أعادت للوادي وحدته السياسية لفترة زمنية تبدو قصيرة جداً، إذا ما قورنت بفترة هذين العصريين المتشابهين تماماً حيث لم تزد عن (113) سنة[1]، وقد تصل إلى (356) سنة إذا اعتبرنا الأسرة الحادية عشرة قد وضعت الأسس التي قامت عليهما هذه الأسرة[2]. في حين إن العصريين الذين نتحدث عنهما قد استغرقاً أكثر من ثمانمائة سنة على أقل تقدير.

ولعل مما يشجع على ذلك إن هدفنا الأساسي وهو الهجرات البدوية من الشرق والغرب نحو الوادي وأثرها في الدولة المصرية كانت الظاهرة المتميزة في كلا العصرين وقد ساهمت مساهمة كبيرة في التاريخ السياسي والاجتماعي لدولة وادي النيل كما سوف نرى. ولا يعني ذلك اننا سنبتدع تقسيماً جديداً للتاريخ المصري ولكن الهدف هو الربط بين المرحلتين باعتبارهما مكملتين لبعضهما البعض، ولا غنى للباحث عن دراسة احداها لفهم مجريات حوادث الأخرى مما يجعلنا نميل إلى اعتبارهما مرحلة تاريخية وواحدة تكونت من دورين كبيرين أو عصر واحد، شهد أوله بداية الهجرة وآخره نضجها ممثلاً في حكم الهكسوس.

الـدور الأول:

لا شك إن هناك صعوبة كبيرة تعترض الباحث في التاريخ المصري عامة، وهذه المرحلة خاصة، حيث إن العصور المجهولة جهلاً مطبقاً أو شبه المجهولة

(1) انظر في ذلك أحمد فخري، مصر الفرعونية، ص164. بينما يصل سليم حسن بهذه الفترة إلى ما يقرب ألف سنة من 2475 إلى 1580 ق.م وهو تاريخ قيام الدولة الحديثة. انظر: سليم حسن، مصر القديمة، جا، في عصر ما قبل التاريخ إلى نهاية العهد الأهناسي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2001م، ص ش من المقدمة، وكذلك المرجع نفسه، ج4، ص188، حيث يحدد بداية الأسرة السابعة بعام 2475 ق.م وبداية الدولة الحديثة بعام 1570 ق.م.

(2) يرى آلن جاردنر إن هذه الأسرة تتبع عصر الانحلال الأول، انظر: آلن غاردنر، مصر الفراعنة، ص128.

تشكل قرابة ثلثي تاريخ مصر[1]، ومن بين الثلاثين أسرة التي ذكرها مانيثيون فاننا لا نعرف عنها بالقدر الكافي سوى احدى عشرة أسرة فقط وتقف عصور الانتقال والاضطرابات التي لا نعرف عنها شيئاً أو نكاد على رأس القائمة[2]، وخاصة العصر الأخير الذي تبدو مشكلاته أشد تعقيداً بالنسبة للباحث[3]، وهو ما يدفعه أحياناً إلى الحدس والتخمين كثيراً عند دراسة هذه الفترات[4]، ويصف سليم حسن الفترة من الأسرة السادسة وحتى الحادية عشرة بانها من أظلم العصور المصرية وهو مجدب من الناحية التاريخية، ولا تعدو بضعة (جعارين) للملك نفر كارع أو أسطوانة من الأسرة الثامنة[5]، كما إن دراستها من خلال المعلومات الواردة عند مانيثيون تبدو غير مجدية على الاطلاق[6]. ورغم ذلك فاننا إذا أردنا أن نرسم صورة لأوضاع مصر والمناطق المحيطة بها فاننا نستطيع أن نبني الهيكل العام لهذه الفترة من خلال ما وصل الينا من مصادر تاريخية بمختلف انواعها يعود بعضها للفترة نفسها وبعضها الآخر للعصور اللاحقة لها، ويمكن من خلال المقارنة والاستنتاج تبين ملامح تلك الصورة.

بداية الانهيار:

مثلما عجزت الصخور الجرانيتية القاسية عن منع النهر المتدفق من جريانه فأتخذ طريقه عبرها حتى مصبه في البحر المتوسط مكوناً تلك الدلتا الغنية التي هي عماد ثروة مصر، كذلك عجزت الدولة القديمة رغم جبروت ملوكها الظاهر للعيان من مخلفاتها المعمارية الهائلة وحملاتها العسكرية شرقاً وغرباً وجنوباً

---

(1) جان فيركوتير، مصر القديمة، ص45.

(2) المرجع نفسه، ص45.

(3) آلن غاردنر، مصر الفراعنة، ترجمة: نجيب ميخائيل ابراهيم، ط2، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1987م، ص169.

(4) المرجع نفسه، ص172.

(5) سليم حسن، مصر القديمة، ج1، ص406، 407.

(6) ايثين دريتون، مصر، ص316.

عن تطويع القبائل البدوية المتدفقة نحو النهر متحالفة في ذلك مع قطاع عريض من أهل الوادي الفلاحين الذين تحولوا إلى طبقة من العبيد في اقطاعية كبيرة يملكها فرعون واتباعه من حكام الأقاليم وقادة الجند وجيش من الموظفين ونظام كهنوتي يرتبط بذلك النظام، وهكذا ومع نهاية الأسرة السادسة 2323 ـ 2150[1] [2] سقطت الدولة القديمة لتدخل مصر فترة جديدة من تاريخها وهي فترة الانحلال الأولى كما أسماها المؤرخون وسوف نمر سريعاً عليها نظراً لتشابهها الكامل مع فترة الانحلال الثانية كما أوضحنا سابقاً.

الأسرتان السابعة والثامنة 2280 ـ 2025 ق.م[3]:

ذكر المؤرخ مانيثيون إن سبعين ملكاً قد حكموا سبعين يوماً في الأسرة السابعة[4] وهذه العبارة التي حار الباحثون في تفسيرها تفسيراً مقنعاً لا تدل إلا على حقيقة واحدة وهي الانهيار الشامل للنظام السياسي في مصر وكان لسان حال هذا المؤرخ يشير إلى أنه ليس هناك فرق بين وجود حكومة وعدم وجودها، وقد رأى بعض الباحثين إن مانيثيون يقصد بذلك ما يمكن إن يكون هيئة حاكمة مكونة من سبعين شخصاً حمل كل واحد منهم لقب ملك ثم رفض الشعب هذا النظام الذي لم يعهده من قبل[5]، ولكن هذا التفسير لا يبدو مقنعاً وقد دفع ذلك بعض الباحثين إلى انكار وجود هذه الأسرة أصلاً لأننا لا نعرف

---

(1) جيمس هنري برستد، تاريخ مصر منذ أقدم العصور إلى العصر الفارسي، ت: حسن كمال، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1999م، ص556.

(2) إن التاريخ الصحيح لهذا العصر لا يزال مدار بحث المؤرخين، ومن تواريخه المفترضة عام 2240 ق.م عند ادوارماير، و 2230 عند ونلوك سميث، و2194 عند شارف إلى 2160 حسب تقدير بردية تورين. انظر في ذلك عبدالعزيز صالح، حضارة مصر القديمة، جـ1، ص401، هامش 35، وقد رأينا الأخذ بما ورد عند جيمس هنري برستد، المرجع السابق، هامش1.

(3) نشير هنا إلى إن معظم التواريخ تقريبية حيث أنه ليس هناك اتفاق تام بين المؤرخين حول بداية ونهاية الأسر الحاكمة وهذا التاريخ من أحمد فخري، مصر الفرعونية، ص164.

(4) أحمد فخري، مصر الفرعونية، ص164، 165.

(5) المرجع السابق، ص165، وكذلك: عبدالعزيز صالح، حضارة مصر القديمة، جـ1، ص401.

عنها شيئاً[1]، مما يشير إلى اضطراب شامل خلت فيه مصر من أية سلطة رسمية فكان ذلك العدد مجرد مبالغة من مانيثيون للتعبير عن هذه الحالة[2]، ولا يبدو حال الأسرة الثامنة بأفضل من سابقتها[3]، سوى بعض الاشارات على أنها قد قامت في (منف) وإن سلطانها لم يمتد إلى أكثر من حدود مصر الوسطي وهي معلومات ضئيلة تجعل الباحث يرى وكأن التاريخ يمر عليهما وهو أبكم، كما تصفه(مرجريت مري)[4] Margaret A. Murray دون أن ينطق بأي شئ حولها.

ورغم إن مانيثيون يشير إلى سبعة وعشرين ملكاً لهذه الأسرة حكموا ما يزيد عن (146) عاماً إلا إن بعض الباحثين يرى إن هاتين الأسرتين قد لا تزيد فترة حكمهما عن ربع قرن[5]، وإنهما لم تكونا سوى حكومات محلية في منف حاولت أن تحل محل الملكية المنهارة وانتحلت أسماءها[6]، وليس هناك من الأدلة الأثرية التي تعود لهذه الأسرة سوى بعض اللوحات الحجرية التي تذكر أسمي ملكين هما (واج كارع) و(نفر كاوحور) وتتعلق باصدار مراسيم لبعض أعضاء البيت الحاكم في (قفط) مما يشير إلى إن هذه الأسرة لم تزد فترة حكمها كما يرى البعض[7] [8] عن (13) عاماً فقط معتمدة على دعم بعض حكام

---

(1) سليم حسن، مصر القديمة، جـ1، ص408.

(2) عبدالعزيز صالح، حضارة مصر القديمة، جـ1، ص401.

(3) عبدالحليم نورالدين، تاريخ وحضارة مصر القديمة، ، ط3، الخليج العربي للطباعة والنشر، القاهرة، 1999م، ص77.

(4) مرجريت مري، مصر ومجدها الغابر، ترجمة: محرم كمال، الهيئة المصرية العامة للكتاب، سلسلة الألف كتاب الثاني 290، 1998م، ص43.

(5) آلن غاردنر، مصر الفراعنة، ص130.

(6) عبدالحميد زائد، مصر الخالدة، جـ1، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2002م، ص368.

(7) سيد توفيق، معالم تاريخ وحضارة مصر الفرعونية، دار النهضة العربية، القاهرة، 1990م، ص187، 188.

(8) ظهرت عادة اصدار المراسيم في أواخر الأسرة الرابعة ، وازداد عددها في أيام الأسرة السادسة وهي عبارة عن تفويض من الملوك لكبار موظفي الدولة ، وصارت شكلاً من أشكال التنازل عن الاختصاصات لحكام وموظفي الدولة الأقوياء في هذا العصر المضطرب . للمزيد انظر : أحمد فخري ، مصر الفرعونية ، ص167.

الأقاليم، وإن هؤلاء الملوك هم في الحقيقة حكاماً للأقاليم كغيرهم، ووصفوا انفسهم بالملوك على سبيل التفاخر.

الأسرتان التاسعة والعاشرة:

اذا كان من عرفوا بملوك الأسرتين السابعة والثامنة قد اخذوا من منف مقر لهم فان مجموعة جديدة من الحكام كانت تتخذ من مدينة أهناسيا (نن ني سوت) في منطقة الفيوم مركزاً لها بدأت تنافس هاتين الأسرتين[1]، دون أن نعرف أية معلومات عن هذا التنافس سوى ظهور شخصية قوية هو (مرى أب رع) أخيتوي أو (خيتي) الذي يوضع كمؤسس للأسرة التاسعة ويبدو إن مركز هاتين الأسرتين في أهناسيا هو ما جعل أحد الباحثين يرى إن أصولهما (لوبية)[2]، حيث كانت الفيوم[3] من أهم مناطق العبور والاستقرار للهجرات القادمة من الغرب أو الجنوب الغربي، وهو الاستنتاج الذي نجد صداه بطريقة حذرة عند باحث آخر يتسأل فيه عما إذا كان مؤسس هذه الأسرة هو من سلالة أسرة نبيلة أم هو (أجنبي)[4]، ولعل ما يقوى الاحتمال في أصل هذا الملك ما وصفه به مانيثيون بأنه كان ظالماً متجبراً لاقى الشعب على يده كل انواع العنف والشدة، وهي نفس الأوصاف التي نقلت عنه للحكام الذين ليسوا من أهل الوادي كملوك الهكسوس[5].

إن المعلومات عن هذه الأسرة قليلة جداً ولا تعدو بعض النتف من

---

(1) أحمد فخري، مصر الفرعونية، ص168.

(2) سليم حسن، مصر القديمة، جا، ص414.

(3) أشارت دراسة قام بها فريق من العلماء من مركز أبحاث الحمض النووي بجامعة يوتا الأمريكية إلى إن الفيوم كانت نقطة الامتزاج الذي ساهم في صنع الحضارة المصرية والذي بدأ منذ 6600 عام وذلك من خلال دراسة الحمض النووي لمخلفات المقابر في المنطقة، وقد عرض تقريرها في شريط وثائقي تحت عنوان (أسرار الفراعنة : البحث عن الحمض النووي) بقناة النيل الفضائية، في 2 سبتمبر 2002م.

(4) نجيب ميخائيل إبراهيم، مصر والشرق الأدنى القديم، جا، ص227.

(5) أحمد فخري، مصر الفرعونية، ص169.

الأخبار مثل الصراع بين (خيتي الثالث) وبعض أمراء الجنوب[1] في طيبه وانتصاره عليهم بالتحالف مع أمراء أسيوط. أما عن الأسرة العاشرة فقد أشارت (بردية تورين) إلى خمسة[2] من ملوكها كان أولهم (مرى حتحور) الذي عرف من نص مشوه نقش على الحجر كما وصلت لنا بعض المعلومات عن هذه الأسرة من خلال نقوش المقابر التي خلفها أمراء أسيوط الموالين لهذه الأسرة والتي تشير إلى سوء حالة البلاد ودور ملوك هذه الأسرة في معالجة هذا الأمر ومن تلك النصوص «كان كل موظف يدير عمله كالمعتاد بلا مشاجرة ولا مطاحنة بالقوس والنشاب وبطل قتل الطفل جوار أمه وسفك دم الرجل قرب زوجته ووقف فعل السوء»[3]، ويضيف نص آخر «اذا جن الليل مد حنى كل من نام في الطريق لأنه أصبح آمناً كالذي يقطن في داره، ذلك لان خوف المجرمين من جنودي كان خير حام له في وحدته»[4]، وتشير تلك النصوص إلى إن أمراء العهد الأهناسي قد استطاعوا استعادة النظام[5] في دائرة نفوذهم على الأقل قبل أن يصطدموا بقوة جديدة ناشئة في طيبة دخلت صراعاً عنيفاً معهم.

الأسرتان الحادية عشرة والثانية عشرة 2134 ـ 1786 ق.م[6]:

بدأت الحكومة المحلية فى طيبة التي كانت تعترف بسلطة أهناسيا تسحب هذا الاعتراف بعد إن شعرت بقوتها في مواجهة هذه الحكومة ورغم استمرار الصراع بين الطرفين لأكثر من ثمانين عاماً[7]، ودعم الكثير من الحكام المحليين

(1) أحمد حسين، موسوعة تاريخ مصر، جـ1، مؤسسة دار الشعب، ط1، القاهرة، 1983م، ص67.
(2) عبدالحميد زائد، مصر الخالدة، جـ1، ص380.
(3) هنري برستد، تاريخ مصر، ص160.
(4) المرجع نفسه، ص160. انظر كذلك : آلن جاردنر، مصر الفراعنة، ص135.
(5) المرجع نفسه، ص161.
(6) حسب تقدير آلن غاردنر، مصر الفراعنة، ص480-482.
(7) عبدالعزيز صالح، حضارة مصر القديمة وآثارها، جـ1، مكتبة الانجلو المصرية، ط3، 1992م، ص406.

لأهناسيا إلا إن البيت الجديد أفلح في جمع السلطة في يده مكوناً بذلك ما عرف باسم الأسرة الحادية عشرة التي يرى البعض انها كانت فاتحة لعصر جديد في تاريخ مصر وهو العصر الوسيط[1]، وقد حدث ذلك في عهد احد ملوكها وهو (منتوحتب) الثاني الذي بسط سيادته على أجزاء كبيرة من مصر مستكملاً بذلك جهود سلفه منتوحتب الأول وهو ما جعله يعلن أنه سيطر على زعماء الأرضين ـ ويعني بذلك الوجهين القبلي والبحري ـ وأحلّ النظام في الجنوب والشمال وبين أهل الأقواس[2] أي أهل البادية من الأسيويين كما تترجم عادة.

لقد جعل حكام هذه الأسرة من طيبة عاصمة لهم وعملوا على الرفع من شأن الإلٰه أمون[3]، ونسبوا انفسهم له مما جعل بعض الباحثين يرجع أصول هذه الأسرة إلى بلاد النوبة حيث إن (انتف الأول) يشير إلى إن أمه نوبية[4]، كما ظهرت على وجوههم الملامح النوبية.

ويقدر الباحثون عهد هذه الأسرة بحوالي (140) سنة مع احتساب الفترة التي قضاها أمراؤها في الحكم جنباً إلى جنب مع أسرة أهناسيا حيث بدأت بعد منتوحتب الثاني تميل إلى الضعف لتسقط آخر الأمر على يد مؤسس الأسرة الثانية عشرة وهو أمنمحات الأول وانتقال مركز السلطة إلى الشمال[5].

يرى بعض الباحثين إن مؤسس هذه الأسرة ليس سوى ذلك القائد الذي أرسله آخر ملوك الأسرة الحادية عشرة (منتوحتب الرابع) ومعه عشرة آلاف جندي[6] إلى وادي الحمامات لقطع الحجارة اللازمة لتابوته، وتشييد بعض

---

(1) المرجع نفسه، ص421.

(2) J. H. Breasted , Ancient Records of Egypt VOL, I, New york. 1962. part 421.

(3) انظر : هنري برستد، تاريخ مصر الفرعونية، ص162. وكذلك عبدالعزيز صالح، مصر والشرق الأدنى القديم جـ1، ص269.

(4) سليم حسن، مصر القديمة، جـ3، ص44.

(5) أحمد فخري، مصر الفرعونية، ص216.

(6) يرفع آلن غاردنر العدد إلى (20) ألف، انظر :آلن غاردنر، مصر، ص146.

المنشآت المعمارية، إلا إن هذا القائد استغل ما معه من جنود للقفز إلى السلطة خاصة مع ما رأى من الضعف والفوضى في أواخر عهد هذه الأسرة ويذهب أحمد فخري إلى حد تأكيد ذلك[1]، مشيراً إلى أنه لا يمكن تصديق رواية قطع الحجارة بهذا العدد الكبير من الجنود.

إن وصول امنمحات إلى السلطة كان نتيجة طبيعية لعودة الفوضى من جديد، وكثرة المنازعات بين حكام الأقاليم[2]، مما يشير إلى إن جهود حكام الأسرة الحادية عشرة قد عجزت عن الحد منها وهو ما يطعن في الفكرة القائلة بانتهاء عصر الفوضى الأول بقيام هذه الأسرة واذا كان هذا الرجل قد استطاع أن يصل إلى السلطة بتلك الوسيلة (الانقلابية) كما يصورها لنا الباحثون المحدثون، إلا إنه أدرك حاجته إلى سند يبرر به شريعة حكمه خاصة أمام فكرة الدم الملكي التي تمسك بها فراعنة مصر، وهو المواطن النوبي العادي وقد تمثل ذلك السند في (نبؤة نفرتي)[3] الذائعة الصيت والتي تتحدث عن الفوضى والخراب الذي سوف يصيب مصر، ثم ظهور المخلص الذي ينقد البلاد من كل هذه الشرور، حيث تشير صراحة إلى امنمحات في النص الذي يقول[4]: «سيأتي ملك من الجنود اسمه (أميني) وهو ابن امرأة نوبية الأصل وقد ولد في الوجه القبلي، وسيستلم التاج الأبيض، وسيلبس التاج الأحمر فيوحد البلاد بذلك التاج، وسينشر السلام في الأرضين فيحبه أهلها»، وتواصل البردية سرد

(1) المرجع نفسه، ص216.

(2) جيمس هنري برستد، تاريخ مصر، ص165.

(3) وقد عرفت هذه البردية سابقاً باسم (نفر. روهو) وهي موجودة الآن في متحف مدينة (لينجراد بروسيا الاتحادية) حيث نشرها العالم الروسي (جو لينشف) عام 1913م. ورغم أنها تتحدث عن تاريخ ماضي إلا إن معظم الباحثين يؤكدون انها كتبت في عهد امنمحات الأول مؤسس الأسرة الثانية عشرة وقد ترجمت كاملة إلى الانجليزية في: Gardiner, sir Alin New Literary Works from Ancient Egypt, The Journal of Egyptian Archaeology. VOL, I, 1914 P.P 100, 106 ونشير لهذا المرجع مختصراً (J E A).

(4) ان أفضل عرض لمقتطفات من هذه البردية هو ما قدمه سليم حسن، مصر القديمة، جـ3، ص171، 175.

ما سوف يقوم به ذلك الملك مما يشير إلى أنها كتبت بعد إن أنجز امنمحات هذه الأعمال في محاولة منه ليبرهن على حقه في العرش[1].

إن ما جاء في هذا البردية وما وقع بالفعل ليجعل لها حسب رأينا قيمة كبيرة فمحاولتها تبرير شرعية حكم امنمحات الأول انتهت بقتله، (وأسوار الحاكم) التي تحدثت عنها باعتبارها حامية لمصر من الشرق عجزت عن مقاومة نهر الهجرة المتدفق ولهيب ناره التي (ستحرق الليبيين)[2] عجزت عن منعهم رغم انتصار ابنه (سنوسرت) عليهم حسب زعمه ورغم القلاع التي أقيمت في الصحراء الغربية لوقف تقدمهم[3].

رغم إن عهد الأسرة الثانية عشرة يوصف بانه أزهى فترات العصر الوسيط[4] خاصة في عهد مؤسسها إلا أن وقائع الأمر يؤكد عجز هذه الأسرة عن مقاومة تلك العوامل المتعددة التي بدأت تتفاعل داخل مصر وحول حدودها الغربية والشرقية والجنوبية مما يشابه تماماً الواقع الذي كان سائداً في العصر السابق، وهو ما دفع جورج بوزنر إلى القول إن عصر الدولة الوسطى كان في الحقيقة أظلم العصور في تاريخ مصر[5].

الـدور الـثانـي:

يشمل هذا الدور الفترة التاريخية الممتدة من حكم الأسرة الثالثة عشرة، وحتى قيام الدولة الحديثة في عهد الأسرة الثامنة عشر، وحيث إن معظم أحداثه تدور حول هجرة القبائل البدوية الشرقية (الهكسوس) والتي سوف تكون محور

---

(1) جورج بوزنر، معجم الحضارة المصرية القديمة، ص23. وكذلك : عبدالحليم نورالدين، تاريخ وحضارة مصر القديمة، ص89، وكذلك : عبدالحميد زائد، مصر الخالدة، جـ1، ص441.

(2) سليم حسن، مصر القديمة، جـ3، ص174.

(3) محمد بيومي مهران، المغرب القديم، ص109، انظر كذلك : أحمد فخري، مصر الفرعونية، ص218. وجون ولسون، الحضارة المصرية، ص235.

(4) عبدالعزيز صالح، مصر والشرق الأدنى القديم، جـ1، ص182.

(5) جورج بوزنر، معجم الحضارة المصرية القديمة، ص160

المبحث الثالث من هذه الدراسة فاننا سوف نكتفي بعرض موجز للتطورات السياسة في بداية هذا العهد. ولكن الخوض في هذا الموضوع يقتضي وقفة متميزة مع مصادر مهمة لتاريخ هذه الفترة تصنف بأنها من المصادر الأدبية التي ترسم صورة أكثر موضوعية لأحوال مصر في الفترتين معاً، أكثر مما تقدمه لنا الروايات الرسمية وسوف نختار منها عملين متميزين هما، وصايا أيبور الحكيم، وقصة الفلاح الفصيح.

أما عن الأولى: وهي بردية أيبور الحكيم[1]، فانها تشتمل على مجموعة من الحكم والنصائح الاجتماعية والخلقية وقد فقدت مقدمتها إلا إن ما تبقى منها يلقي ضوءً على الأوضاع التي كانت سائدة وقت كتابتها. والمعلوم إن النسخة الموجودة منها تعود إلى الأسرة التاسعة عشرة[2]، إلا إن الرأي السائد بين الباحثين يعيدها إلى عصر الأسرة السادسة وتحديداً في نهاية حكم الملك (ببيي الثاني)[3]، اعتماداً على كون أيبور يوجه حديثه إلى ملك عجوز والى إن بداية الفوضى قد جعلت في عهده وهو ما تصوره البردية ويبدو لي إن هاتين الحجتين ليستا دليلاً حاسماً على نسبتها إلى هذا العهد لان المركز المقدس الذي اكتسبه الملوك الفراعنة وخاصة في عهد الدولة القديمة يجعل من الصعب إن نتصور وقوف أي إنسان أمامهم ليوجه لهم هذا النقد المرير حتى ولو كان ذلك الملك من الملوك الضعاف ولا نظن إن فرعوناً ضعيفاً يمكن أن يعترف

(1) من غير المعروف إلى حد الآن الظروف التي أدت إلى العثور عليهما، وقد أشارت مالكتها الأولى (أنا ستازيا) أنها وجدت في (ممفيس) أي المنطقة المجاورة لأهرام سقارة، وقد انتقلت ملكيتها إلى متحف ليدن بهولندا في عام 1828م، وقد جرت محاولات عديدة لترجمتها كان أشهرها وأدقها ترجمة (آلن غاردنر) عام 1909م تحت عنوان: نصائح حكيم مصري من بردية فرعونية في ليدن في كتابه: The Admonition of an Egyptian Sage Lizig. 1909 أما برستد فقد قام بتحليل نصوصها في كتابه: (The down of Consciene, 1939, pp.193-200) وهناك مقتطفات من نصوصها في معظم المراجع التي تناولت هذه الفترة.

(2) سليم حسن، مصر القديمة، جـ1، ص400. وانظر كذلك : أحمد فخري، مصر الفرعونية، ص161.

(3) المرجع نفسه، ص401.

بضعفه وعجزه ويرضى أن يستمع إلى ذلك النقد اللاذع، كما إن الأوضاع المزرية والصور المختلفة للانهيار الذي أصاب البلاد تنطبق على كل فترات ذلك العهد الطويل الذي عرف بعصر الانحلال الأول والثاني والذي لم يتضح إلا بعد سقوط النظام الملكي كما أنه من الصعب أن نتصور وقوع كل تلك الأحداث التي أشار إليها (أيبور؟) في عهد ملك واحد مهما كان طويلاً. وعليه يمكن القول إن البردية تعود إلى الفترة التي اتضحت فيها بجلاء صور الانحلال في أعين الشعب وتجمعت فيها كل أسبابه، ونعني بذلك فترة الدولة الوسطى خاصة وإن أسلوبها يشير إلى ذلك العصر[1].

ويشير غاردنر إلى ذلك عندما يؤكد إن عمر النص يرتبط ارتباطاً وثيقاً مع الموقف التاريخي الذي كان كاتبها يحمله في ذهنه[2]، والذي يقترب من وصفه بثورة شعبية عارمة.

أما برستد فانه يقترب من هذا الرأي عندما يشير إلى تأكيد البردية على الغزو الآسيوي القادم من شرق الدلتا[3]، مما يحمل في طياته اشارة إلى الهكسوس، وهذا ما يؤكده (غاردنر) عندما يشير إلى وجهة النظر القائلة إن بردية (ليدن) تحتوي على اشارة ضمنية لغزو الهكسوس[4]، تبدو مقنعة ويتفق سليم حسن مع ذلك بقوله: (ويحتمل إن الأسيويين هددوا الحدود الشرقية أيضاً)[5]، وإن كانت نصوصها تحمل ما هو أكثر من التهديد، ومما يدعم ذلك إن أيبور الذي ينتمي إلى طبقة اقطاعية أرستقراطية[6] فيما يبدو كان لا ينظر بعين

(1) مايكلو فسكي، عصور في فوضى، ص80.
(2) Gardiner, (A E S) P.17
(3) برستد، فجر الضمير، ص209.
(4) Gardiner, (A E S) P. 17
(5) سليم حسن، مصر القديمة، جـ3، ص174.
(6) جان فير كوتير، مصر القديمة، ص89. انظر كذلك: عبدالحميد زائد، مصر الخالدة، جـ1، ص365. وكذلك عبدالعزيز صالح، حضارة مصر القديمة، جـ1، ص394.

الرضا إلى سيطرة البدو، معبراً بذلك عن التيار المحافظ الذي يتحسر على امتيازاته السابقة.

نستطيع من خلال الاستعراض السابق القول إن بردية أيبور هي تصوير صادق لأوضاع مصر في فترة الانحلال الأول والثانية وإن كانت من وجهة نظر تقترب من السلطة أكثر من إقترابها من الشعب، وهو ما تفصح عنه مقاطع من نصوصها التي تشير إلى إن كاتبها ربما كان من ذوي المناصب العليا في الدلتا[1]. ومن أهم نصوصها المعبرة[2] [3]:

1 - ما هذا الذي حدثت في مصر؟ إن النيل لا يزال يأتي بفيضانه وليس هناك من يقوم بحرث أرضه.

2 - لماذا حقاً أصبح الفقراء يمتلكون الكنوز؟ إن من كان لا يملك نعلاً أصبح الآن من الأثرياء.

3 - لماذا أصبح الموتى يدفنون في النهر[4]؟ لماذا حقاً عم الحزن الأشراف بينما ساد الفرح والسرور الفقراء؟

4 - انظر كيف سارت نساء الأشراف متسولات، ومن لم يمتلك خرقه ينام عليها، أصبح اليوم صاحب سرير، ومن كان يلهث من العطش[5] بدأ يتعاطى الجعه[6].

5 - من كان يفتقد الرغيف أصبح الآن يملك مخزناً للغلال.

---

(1) عبدالعزيز صالح، حضارة مصر القديمة، جا، ص393.

(2) واجه معظم الباحثين صعوبات كبيرة في ترجمة النصوص المصرية نظراً لطبيعة الكتابة المصرية القديمة، لذلك سوف نعتمد على عدة مراجع في هذه النصوص والتي نرى إنها الأقرب إلى المعنى.

(3) سيد توفيق، مصر الفرعونية، ص185.

(4) وهم الأشراف والملوك الذين كانوا يحنطون ولا يدفنون كبقية أفراد الشعب.

(5) اشارة إلى البدو سكان الصحراء.

(6) وقد كانت الجعه شراب أهل الوادي المفضلة بعكس أهل البوادي.

6 ـ تذكر كيف كانت الأعلام ترفع، وكيف كانت اللوحات تنقش[1].

7 ـ لقد صار بناة الأهرام فلاحين، وغداً الأثرياء يولولون وغداً المحرومون مسرورون[2] وأصبح العوام من أصحاب الرفاهية.

8 ـ ان مصر في طريقها إلى إن تصب الماء لغيرها، وإن الأجانب[3] الذين كانوا يخشونها والذين عرفنا تفاهتهم أصبحوا يقولون لن تستطيع مصر إن تأتي شيئاً.

9 ـ ان الجنود الذين جندناهم لصالحنا صاروا ضمن الآسيويين، وأصبحت خيرات مصر نهباً مشاعاً لكل من نزلها من غير أهلها[4].

10 ـ لقد أصبح الأجانب مصريين في كل مكان، وصاروا يعرفون أخبار البلاد.

11 ـ لقد انتشر البلاء في كل مكان[5] [6]، وكل القصور الملكية نهبت وصار السجن حطاماً والمحنطين في أكفانهم صاروا ملفوظين على سطح الأرض.

12 ـ لقد اختبأ الأغنياء بين آجام الشجر حتى داهمهم الناهبون في مواضعهم وهرب كبار رجال الدولة مثل قطيع من الأغنام.

---

(1) اشارة إلى الحملات العسكرية للملوك الفراعنة، وتخليد انتصاراتهم بنقشها، وكانت في معظمها ضد البدو شرقاً وغرباً وجنوباً.

(2) عبدالعزيز صالح، حضارة مصر القديمة، جا، ص. 393

(3) وهي الترجمة الشائعة للكلمة المصرية التي تعني القاطنين خارج حدود الوادي بصفة عامة.

(4) وهي اشارة واضحة لهجرات البدو وتحالف الجنود معهم، وكان هؤلاء في معظمهم من أهل البادية الغربية، أو بلاد النوبة، وهي دليل على تحالف هذه الفئات ضد الحكومة الفرعونية التي شنت الحملات المتواصلة عليهم.

(5) وهي احدى الأوصاف التي أطلقها المصريون على البدو مثلما وصفهم بذلك مانيثيون في تاريخه عند حديثه عن الهكسوس، كما سوف نرى.

(6) مايكلو فسكي، عصور في فوضى، ص ص58-64.

13 ـ لقد أتت إلى مصر قبيلة أجنبية فأصبح بدو الصحاري مصريين في كل مكان[1].

14 ـ وقالت كل مدينة دعونا نطرد العتاة من بيننا[2]، وهذه كل بلد أجنبية تجرأت علينا[3] [4]، ولكن ما الذي نستطيع أن نفعله؟

إن نظرة مدققة لهذه النصوص تمكننا من رسم صورة واضحة للمشهد الذي كانت عليه أرض الوادي في ذلك الوقت، ومن بين عناصر هذه الصورة:

أ ـ تفكك النظام الملكي وثورة الشعب عليه وعلى الممثلين له من موظفين وحكام أقاليم.

ب ـ تدفق سيل المهاجرين من أهل البادية الشرقية والغربية والنوبة وتحالفهم مع الجنود الذين ينتمي معظمهم اليهم.

جـ ـ مهاجمة مراكز السلطة ونهب محتوياتها، وخاصة مخازن الغلال التي كانت تحتكرها هي وكهنة المعابد، وتستولي عليها من خلال الضرائب الباهظة أو الحملات العسكرية.

د ـ الانتشار الواسع لأهل البادية في كل أقاليم الوادي حتى صار أهله أقلية أمام تلك الجموع.

هـ ـ هرب الطبقة الحاكمة والموالين لها من الأغنياء.

و ـ تحالف المهاجرين مع أهل البلاد على هدف واحد وهو اسقاط العتاة وطردهم.

---

(1) ج. دافيس، عبدالحميد زائد، علاقات مصر بسائر أجزاء أفريقيا، تاريخ أفريقيا العام، مجلد 2، حضارات أفريقيا القديمة، جين أفريك، 1985م، ص86.

(2) Gardiner, (A E S) PÛP. 7-8.

(3) I bid. P.P. 12-13

(4) ونلاحظ هنا التشابه الكبير بين وصف ايبور لهجرة البدو والوصف الذي جاء عند مانيثيون في روايته عن غزو الهكسوس (أصابتنا ضربة من الله)، جاءنا غزاة من الشرق من أصل مجهول واستولوا على البلاد بسهولة، انظر: أحمد فخري، مصر الفرعونية، ص253.

ز - مهاجمة المقابر الملكية التي كانت رمزاً من رموز التسلط والاستعباد والترف واستخراج محتوياتها من الذهب والمتاع الذي استأثر به الفراعنة في حياتهم، وبعد مماتهم. ويعلق عبدالعزيز صالح على هذا الوضع بأن عوامل سياسية وإقتصادية وإجتماعية قد تعاونت على اشعال هذه الثورة[1]، رغم بعض العيوب التي ربما تكون قد رافقتها نتيجة استغلال بعض الغوغاء وأهل السوء لهذا الوضع[2]، وهكذا فقد تجمعت عيوب النظام القديم مع زحف المهاجرين واضطراب الثائرين ليشعل هذه الثورة التي بالغ (ايبور) في وصفها انطلاقاً من موقعه الطبقي الذي ينتمي إليه[3].

على النقيض من هذا المصير المحزن الذي آلت إليه الطبقة الحاكمة تأتي قصة الفلاح الفصيح لتعبر لنا عن الصورة الأخرى للوضع الذي كان ثورة على العرش والحكام والآلهة[4]، ومن يمثلها مما أدى إلى انهيار ذلك النظام الأرستقراطي[5]، وهي تعبير عن الشعور بالظلم والفقر والشقاء والدعوة للعدل[6]، ذلك الظلم الذي صوره لنا أحد النصوص الذي يتحدث عن حياة الفلاحين بقوله[7]: ألا تذكر حالة الفلاح الذي يقف أمام جامع الضريبة الذي أتاه ليجمع ضريبة الحصاد يهبط الكاتب إلى شاطئ النهر والحجاب يحملون الدفوف ورجال الشرطة يحملون العصي، ويقولون: سلم الحبوب مع أنه لا يوجد شيء منها ويضرب الفلاح في كل أنحاء جسمه ويوثق ويرمي في بئر ويغطس ويوثق أمام زوجته بينما أولاده في القيود. ورغم إن هذه الصورة قد

(1) عبدالعزيز صالح، حضارة مصر القديمة، جا1، ص. 494
(2) المرجع نفسه، ص496.
(3) عبدالعزيز صالح، حضارة مصر القديمة، جا1، ص497.
(4) أحمد فخري، مصر الفراعنة، ص151.
(5) غاردنر، مصر الفراعنة، ص131
(6) برستد، العصور القديمة، ص79
(7) عبدالحميد زائد، مصر الخالدة، جا1، ص341.

يكون مبالغاً فيها إلا أنَّها تعطينا فكرة عما كان يعانيه أهل الوادي من الفلاحين. وهو ما تشير إليه قصة الفلاَّح الفصيح وهو نفس الفلاَّح الذي انتقم وثار عندما وجد إن الظلم قد فاق حده[1].

الفلاَّح الفصيح[2]: إن مجمل هذه القصة[3]، إنَّ فلاَّحاً من وادي النطرون يدعى (خوان انوب) كان متوجهاً إلى مدينة أهناسيا ومعه حميره محملة بالغلال التي يريد بيعها في سوق المدينة للانفاق منها على أهله وقد كانت طريقه تمر وسط ضيعة لأحد كبار الموظفين فقام المشرف على الضيعة برسم خطة للاستيلاء على حمير الفلاح وبضاعته حيث طرح ثوبه على الطريق مما أرغم الفلاح على تفاديه بالخروج من الطريق لكن حميره أكلت قليلاً من الزرع على جانب الطريق فاتخذ ذلك المشرف هذه الحادثة سبباً للاستيلاء على حميره وما تحمله من بضاعة. وقد توسل ذلك الفلاح كثيراً لرد بضاعته إلا إن توسلاته ذهبت أدراج الرياح وهو ما دفعه إلى أن يكتب للملك لعله يعيد له حقه.. فكتب تسع شكايات متواصلة وهي التي تؤلف هذه البردية ويعلق برستد على ذلك بقوله إن تلك كانت هي المعاملة السائدة التي تقابل بها شكاوى الفقراء[4]، ومن المؤسف إن هذا الباحث القدير يعمم هذا الحكم على الشرق كله عندما يقول: «ان هذا المشهد يمثل لنا باختصار طابعاً طبعت به عصور كاملة من التاريخ الاجتماعي للشرق»[5]، وكان الغرب قد خلا من كل صور الظلم.!

---

(1) أحمد فخري، مصر الفراعنة، ص163.

(2) كتبت هذه البردية ووقعت أحداثها في أواخر أيام الأسرة العاشرة، وانتشرت كثيراً في عهد الدولة الوسطى، وقد قدم لها سليم حسن ترجمة كاملة، انظر: سليم حسن، مصر القديمة، ج2، ص ص436-448 وأصل البردية محفوظ بمتحف برلين.

(3) انظر برستد، فجر الضمير، ص ص197-207. وكذلك أحمد فخري، مصر الفرعونية، ص180. وكذلك عبدالحليم نورالدين، تاريخ حضارة مصر، ص82. وكذلك: جورج بوزنر، معجم الحضارة المصرية، ص259.

(4) برستد، فجر الضمير، ص199.

(5) المرجع نفسه، ص199.

مقتطفات من شكاوي الفلاّح:

يقول الفلاّح في شكواه الثانية: «تأمل إن العدل يفلت من تحت يدك ـ مشيراً إلى الملك ـ وذلك لأنه أقصى من مكانه فالحكام يشاغبون... والقضاة يتخاطفون ما اغتصبه... وذلك الذي يجب عليه إن يحكم بالقانون يأمر بالسرقة»[1]، ويقول في شكواه الثالثة: تأمل إنك صقر يعيش على أصغر الطيور[2]... والأمان قد انتزع من كل مساكن البلاد قاطبة[3]، ويقول في شكواه الخامسة لقد نصبت لتسمع الشكاوي وتضرب على يد اللصوص...)، ولكن ما تفعله هو إنك تنحاز إلى اللص، والإنسان يضع أمله فيك، ولكنك صرت معتدياً[4].

إن ما عبر عنه ذلك الفلاّح كان حال الكثيرين من أمثاله الذين يعملون ليل نهار في أرض ليست ملكاً لهم ولا يحصلون إلا على ما يقيم أودهم[5]، بعد إن يأخذ منهم جباة الضرائب معظم ما حصدوه وهم مسلحون بالهراوات، والجنود مسلحون بجريد النخيل يضربونه حتى ولو كان لا يملك ما يعطيه لهم[6].

والواقع إن هذا الحال لم يكن خاصاً بالفلاّحين وحدهم بل شمل قطاعاً عريضاً من عامة الشعب كما تصوره النصوص المصرية فالحدّاد تصير أصابعه كالتمساح أمام الفرن والنحاتون يعملون نهاراً وليلاً والصباغ تنضح من أصابعه رائحة نتنه وجفناه يكسرها التعب والاسكا في شديد البؤس، والجندي لا تلبث بطنه إن تتهدل وتتشقق ويُدمي رأسه ويحمل زاده على منكبيه كالحمار[7]...!

---

(1) سليم حسن، مصر القديمة، ج2، ص ص440-441.

(2) وهو تشبيه بليغ للعلاقة بين الملك والرعية.

(3) المرجع السابق، ص444.

(4) المرجع نفسه، ص446.

(5) جورج بوزنر، معجم الحضارة المصرية، ص258.

(6) المرجع السابق، ص259.

(7) لبيب عبد الساتر، الحضارات، ص17.

إن نظرة واقعية لهذين العملين الأدبيين رغم ما بين صاحبيهما من اختلاف في مركزهما الاجتماعي والاقتصادي تقدم لنا تصوراً كاملاً لذلك العصر المظلم ممثلاً في عناصر أساسية ثلاثة هي:

أ - طبقة حاكمة مسيطرة استأثرت بكل شئ.

ب - طبقة من الفلاّحين والحرفيين سخرت بالكامل لخدمة السلطة الحاكمة.

جـ - فئة من أهل البادية الذين أرهقتهم حملات الفراعنة المستمرة التي حصدت أرواحهم ونهبت ممتلكاتهم ليتفاخر بها أولئك الفراعنة على حوائط قصورهم وقبورهم وتدفع لارضاء طبقة من الحكام والموظفين والكهنة المتحالفين معهم فكان من الطبيعي إن تحدث تلك الثورة الاجتماعية الشاملة.

الملامح السياسية للفترة الثانية:

الأسرة الثالثة عشرة والرابعة عشرة: 1778 ـ 1680 ق.م[1]:

أشرنا سابقاً إلى إن هدفنا من هذه الدراسة ليس التاريخ للدولة المصرية ولكن معرفة وتوضيح علاقاتها المتميزة بذلك المجتمع البدوي الذي كان يحيط بها ويتفاعل معها وخاصة غربي الوادي من الذين عرفوا اصطلاحاً باسم (الليبيين) لذلك فقد جاء استعراضنا للأسرات المصرية الحاكمة في هذين العهدين مختصراً قدر الامكان وبما يكفي لخدمة هذا الهدف.

إن تاريخ هاتين الأسرتين يكتسي أهمية بالغة من كونهما كما نرى تمثلان مرحلة مهمة في تاريخ هذه الدولة وفي علاقتها السياسية والاجتماعية بمحيطها ففي خلالهما أشتد تدفق المهاجرين البدو حتى تمكنوا من تأسيس حكمهم لأول مرة في تاريخ الوادي وهو الأمر الذي سوف يتكرر بعد عدة قرون مع بداية الألف الأولى ق.م فيما عرف بالحكم الليبي.

(1) هذا التاريخ عن: أحمد فخري، مصر الفرعونية، ص242.

رغم الازدهار الذي شهدته مصر في عهد الأسرة الثانية عشرة إلا أن عوامل الاضطراب كانت أقوى من أن تقاوم فتهاوت هذه الأسرة في عهد آخر ملوكها وهي الملكة (سبك نفرو)[1]، رغم استعانة حكامها بكل الوسائل للحفاظ عليها بما في ذلك سياسة (السلام المسلح) كما وصفها[2] أحد الباحثين والتي تتمثل في محاولة وقف سيل الهجرة المتدفق باقامة القلاع الحصينة لتحمي مداخل الوادي الشرقية والغربية والجنوبية وكذلك توطيد علاقاتها بهذه المناطق كما يظهر لنا من قصة الأمير المصري (سنوهيت)[3]، واستقباله الحار من طرف أحد أمراء الصحراء الشرقية، وكما يظهر أيضاً من كثرة الأسماء الشامية للأفراد والمعبودات حتى بين المصريين انفسهم[4]، وكذلك تدفق المواطنين المصريين على مدن الشام تجاراً أو مغامرين وزوار كما نراه في مدن جزر ومجدو وجبيل ورأس الشمرة وقطنه وغيرها[5].

إن تاريخ هاتين الأسرتين صورة صادقة للتخبط والفوضى ويظهر ذلك واضحاً من خلال تقديرماينتيون لملوكهما في فترة حكمهم فهو يرى إن الأسرة الثالثة عشرة تشمل (60) ملكاً حكموا لأكثر من (453) عاماً وشملت الرابعة

---

(1) أحمد فخري، مصر الفرعونية، ص242

(2) عبدالعزيز صالح، مصر والشرق الأدنى، جـ1، ص193، ومنها أسوار الوالي في الصحراء الشرقية، وأسوار امنمحات المبجل في النوبة، وقلاع الصحراء الغربية، للمزيد انظر جون ويلسون، الحضارة المصرية، ص235 وكذلك -Breasted (B A R). Vol I. Op. Cit, Par, 472
473

(3) وقد عرضها عرضاً شاملاً، سليم حسن، مصر القديمة، جـ3، ص187 وما بعدها، وتشير هذه القصة إلى عمق العلاقة بين أهل الوادي، وأهل الصحراء الشرقية والشام، حتى إن سنوهيت صاهرهم وصار زعيم قبيلة من قبائلهم، وقد ركز بعض الباحثين على مشاعر الغربة التي أبداها سنوهيت في قصته لاتخاذها ذريعة للقول بالتمايز بين أهل المنطقتين وهو استنتاج نراه غير موفق فالشعور بالغربة حالة طبيعية يشعر بها أي إنسان ينتقل من بيئة إلى أخرى أو يهجر وطنه، وهو الشعور الذي نراه إلى حد الآن، رغم تضاءل الفروق بين الحاضرة والبادية، انظر كذلك: أدولف. ارمان، هرمان رانكه : مصر والحياة المصرية، ص409 وما بعدها.

(4) عبدالعزيز صالح، مصر والشرق الأدنى، ص195.

(5) المرجع نفسه، ص196.

عشرة (76) ملكاً حكموا (184) عاماً[1]، وهو تقدير يرفضه معظم الباحثين الآن وقد يعذر مانيثيون في ذلك لأن هذا العصر كان أكثر عصور مصر غموضاً من حيث مدته وأحداثه[2]، ويبدوا إن مانيثيون قد جمع عدد حكام ملوك معاصرين لبعضهم بعضاً مما أوقعه في ذلك الخطأ ليس فيما يتعلق بتاريخ هاتين الأسرتين فقط، ولكن بعصر الفوضى الثانية كله، الذي يقدر له أكثر من (1950) عام وهو سبعة أضعاف ما تم الاتفاق عليه بين المؤرخين المحدثين[3]، ومن بين (217) ملكاً يوردهم مانيثيون، فإن علم الآثار لا يشير إلا إلى ستين ملكاً فقط[4]، لذلك فان الستة قرون تقريباً التي يضعه مانيثيون لهاتين الأسرتين لا تصل في الواقع إلى قرن من الزمان.

أما عن الأسرة الثالثة عشرة فقد تصل في حكمها إلى فترة تقل قليلاً عن خمسين عاماً[5]، وقد حكمت في (منف)، وأول ملك ينسب إليها هو (نجم رع خوفو) الذي يبدوا أنه قد اقترن بآخر ملكة للأسرة السابعة (سوبك نفرو)[6]، ومنهم أيضاً (سخم كارع)، ومن ملوكها من تظهر أسمائهم أنهم لم يكونوا من أهل الوادي مثل (نحسي) الذي يشير اسمه إلى انه من النوبة، و(خنجر) الذي يدل اسمه على أنه من الشام مما يشير إلى تكاثر بدو آسيا في مصر، ووصولهم إلى السلطة[7]، مما يؤكد ذلك إن (نحسي) المذكور سابقاً لقب نفسه بـ (حبيب ست رب أواريس) وهو ما قد يدل على تمركز الهكسوس في عهده في الدلتا الشرقية، وأنه لم يكن سوى حاكماً محلياً تحت سلطتهم[8].

---

(1) سيد توفيق، معالم تاريخ، ص251.

(2) جان فيركوتير، مصر القديمة، ص97.

(3) آلن غاردنر، مصر الفراعنة، ص170.

(4) المرجع السابق، ص170.

(5) أحمد فخري، مصر الفرعونية، ص245.

(6) سليم حسن، مصر القديمة، جـ4، ص47.

(7) أحمد حسين، موسوعة تاريخ مصر، جـ1، ص79.

(8) سليم حسن، مصر القديمة، جـ4، ص48.

ولعل خير دليل على الاضطراب والعجز لدى ملوك هذه الأسرة تلك المخلفات الأثرية التي عرفت (بنصوص اللعنة) وتتمثل في كتابة أسماء الأعداء على أواني من الفخار أو قطع صغيرة من الطين، وتغطيتها بتعاويذ سحرية لسحق الأعداء ما يشير إلى إن ملوك هذه الأسرة قد فقدوا الوسائل الحقيقية لمواجهة خصومهم فلجأوا إلى تلك الوسيلة التي لم تأتي بنتيجة بطبيعة الحال[1].

الأسرة الرابعة عشرة:

وهي التي يرى مانيثيون إنها اشتملت على حكم (76) ملكاً لمدة (184) عاماً، إلا أن المخلفات الأثرية لا تشير إلى ذلك حيث لم يعثر على أي منها يعود لهؤلاء مما يشير إلى أنها ليست سوى حكومة محلية تحت حكم الهكسوس أيضاً[2]، ومما يرجح ذلك إن ما ورد من أسماء في بردية نورين لملوكها يشتمل على أسماء (آسيوية) صريحة[3]، بل إن نصوص الكرنك لا تشير إلى أي ملك من ملوكها وهو ما دفع سليم حسن إلى القول أنهم ليسوا سوى أمراء تحت حكم الهكسوس[4].

الأسرات: الخامسة عشرة والسادسة عشرة والسابعة عشرة:

بما إن هذه الأسرات تمثل فترة حكم من عرفوا بالهكسوس فإننا لن نستعرضها الآن حيث ستكون موضوع المبحث الثالث من هذا الفصل.

يحق لنا بعد هذا الاستعراض إن نسأل عن الواقع السياسي لمصر في هذه الفترة المضطربة والذي يمكن أن نلخصه فيما يلي: -

---

(1) لكن هذه النصوص تقدم خدمة جليلة للباحث، حيث تشير إلى الأقوام التي دخلت الوادي في ذلك العصر بأسمائها ومدنها التي جاءت منها. للمزيد انظر: رمضان عبده علي، تاريخ مصر القديم، ج2، ص13، 14، وفيه تفصيل كبير لهذا الموضوع، وكذلك عبدالحميد زائد، مصر الخالدة، ج1، ص574، 575.

(2) عبدالحميد زائد، مصر الخالدة، ج1، ص574.

(3) المرجع نفسه، ص574.

(4) سليم حسن، مصر القديمة، ج4، ص48.

أولاً: الانهيار الكامل للسلطة المركزية القوية كما رأيناها في عهد الدولة القديمة رغم بعض المحاولات لاستعادة مجدها الذي فقدته مثلما حصل في عهد الأسرة الثانية عشرة ولكن قوى التغيير كانت أقوى من تلك المحاولات.

ثانياً: ان القوى السياسية المختلفة التي كانت تدعم نفوذ تلك السلطة قد ورثت عنها نفوذها حيث استقل حكام المقاطعات بمقاطعاتهم وكونوا منها امارات صغيرة منفصلة عن بعضها البعض(1)، وكثيراً ما دخل هؤلاء في منازعات وصراع داخلي على مد نفوذهم(2) وقد تفاقم هذا الأمر عندما صارت مناصبهم وراثية(3)، وكان ذلك منذ أواخر عهد الدولة القديمة(4)، وهكذا تحول هؤلاء إلى سادة صغار وانتحل موظفوها الألقاب التي يمنحها الفرعون لموظفيه بل انهم استقبلوا من يحمل الجزية من الخارج مثلما يظهر في مقابر بني حسن(5)، وهكذا فقد تحولت مصر في عهدهم إلى ما يشبه امارات أوروبا في العصور الوسطى(6)، بعد إن استطاع هؤلاء اسقاط بيتهم الفرعوني الذي كانوا يستظلون بظله، وتحولوا هم انفسهم إلى فراعنة صغار لهم قصورهم واداراتهم الحكومية وجيوشهم بل إن بعضهم قام بعمليات حربية فيما عرف بالأراضي الأجنبية(7) وقد وصل الأمر إلى درجة بيع ذلك المنصب مثلما فعل حاكم اقليم الكاب عندما تنازل عن منصبه لأحد أقربائه مقابل (60) دبن من الذهب(8).

ثالثاً: تدفق الهجرات البدوية: طالما تفاخر فراعنة مصر الأقوياء بحملاتهم المتكررة على أهل البادية الشرقية والغربية وبلاد النوبة وسجلوا أعداد

---

(1) احمد فخري، مصر الفرعونية، ص166.
(2) المرجع نفسه، ص166.
(3) بوزنر، معجم الحضارة المصرية، ص87.
(4) سليم حسن، مصر القديمة، جا، ص. 36.
(5) غاردنر، مصر الفراعنة، ص149.
(6) برستد، تاريخ مصر الفرعونية، ص166.
(7) المرجع نفسه، ص167.
(8) أحمد فخري، مصر الفرعونية، ص247، والدبن وحده وزن مصرية يساوي 91 جم تقريباً.

من قتلوهم أو عادوا بهم أسرى بعائلاتهم ومواشيهم في عصر الدولة القديمة وبعد استعادة أمجادهم السابقة في العصور اللاحقة فكان من الطبيعي إن يستغل هؤلاء ضعف هذه السلطة ليتدفقوا على حدود الوادي خاصة وأنهم بطبيعة حياتهم لا يعترفون بالحدود التي تصنعها الدول، وكما وصفهم (خيتي الأول) بقوله (هذا هو شأن البرابرة فالعدو اللعين موطنه وعر وماؤه آسن حزون بكثرة غاباته سيئة طرقاته، ولذلك لم يستقر في مكان واحد واستمر يرتحل دائماً ويشاغب منذ عهد (حور) فهو لا يَغلِب ولا يُغلَب)[1]، إن هذه الهجرات لم تتخذ بالطبع شكل الغزو العسكري بل كانت جماعات تطلب العيش لتستقر[2]، ويظهر منها أمراء يحكمون مثلما نرى في حالة الأمير (سبني) وهو ليبي الأصل الذي تولى وظيفة حاكم مقاطعة في عهد الدولة الوسطى[3]، وهكذا فقد صارت منطقة الدلتا هدفاً للمغيرين عليها من الصحراء الشرقية[4] حيث تعكس أسماء الملوك في هذه الفترة وخاصة الأسرة الثالثة عشرة وجود أعداد كبيرة منهم في الشمال ومصر السفلى بصفة عامة[5]، وإن كانت هذه الهجرات قد بدأت في وقت مبكر حيث سيطرت هجرة واسعة على الوجه البحري، وجزء من الوجه القبلي منذ أيام الأسرتين السابعة والثامنة[6]، كما زحف قوم من الجنوب وهم التمحو في نهاية الأسرة الثامنة، وهم الذين أسسوا فيما يبدو الأسرتين التاسعة والعاشرة في أهناسيا، وهكذا فقد تمركز (الآسيويين) كما يسميهم الباحثون المحدثون في شرق الدلتا وتغلغل الليبيون في مصر الوسطى وتحرك أهل النوبة

---

(1) عبدالعزيز صالح، مصر والشرق الأدنى القديم، ص164.
(2) احمد فخري، مصر الفرعونية، ص247.
(3) زينب محمود عبدالعال، الأفريقيون في الآثار المصرية، أطروحة دكتوراة غير منشورة، جامعة القاهرة، مركز البحوث والدراسات الأفريقية، 1990م، ص546.
(4) جـ. دافيس، علاقات مصر، ص86.
(5) المرجع نفسه، ص98.
(6) سليم حسن، مصر القديمة، جـ1، ص ص407 ـ 414.

والتمحو إلى الشمال زاحفين على جنوب مصر[1]، وصار لهؤلاء نفوذ كبير وامتلكوا مقدرات الوادي رغم وجود أمراء يحكمون في مقاطعاتهم[2]. وكل هذا عجل من اضمحلال السلطة المركزية وسقوطها[3].

رابعاً: الثورة الاجتماعية:

لقد تضافرت كل العوامل السابقة لتقود مصر إلى ثورة اجتماعية شاملة عبرت عنها بصورة صادقة بردية ايبور والأعمال الأدبية الأخرى التي تعود لذلك العصر والتي تعبر عن الظلم وتدعوا إلى ظهور نظام[4] عادل يعيد للبلاد مجدها وهو ما أشرنا إليه سابقاً.

هـل كان عصر انهيار حقاً؟

إن استعراضنا السابق لهذا العصر يقود إلى مسمياته الكثيرة التي عرف بها ومنها (عصور الاضمحلال) أو عصور الفوضى أو عصور الانحلال وهي أوصاف قد تشير إلى كل ما هو سيئ فهل كان ذلك العصر كذلك؟

تبدو الاجابة على هذا السؤال أكثر مما يحتملها هذا البحث ولكن حسبنا إن نشير إلى حقيقتين أولاهما: ـ

إن هذه الأوصاف تبدو صادقة عندما تعبر عن زوال ذلك النظام المركزي القاسي ليحل محله نظام أكثر مرونة حتى ولو كان ثمنه فقدان مصر لوحدتها السياسية.

أما الأخرى فهي إن ازدهاراً كبيراً قد شهدته البلاد في هذا العصر تمثل في نواحي مختلفة فصلهما باحث المصريات الشهير (جيمس هنري برستد)[5]، ويمكن إن نلخصها في النقاط الآتية:

---

(1) محمد مصطفي بازمة، تاريخ ليبيا، جا1، ص64.
(2) جان فير كوتير، مصر القديمة، ص87.
(3) مرجريت مرى، مصر ومجدها الغاير، ص43.
(4) برستد، العصور القديمة، ص79.
(5) برستد، تاريخ مصر، ص169 - 199.

1 - محاولة حكام ذلك العصر التقرب من رعاياهم وكسب ودهم وتأييدهم وزوال مظاهر القداسة المفرطة للحكام.

2 - ظهور ما يمكن أن نسميه بالطبقة الوسطى ومعظمها من الموظفين والصناع والعمال وذوي الأملاك الصغيرة.

3 - الازدهار الكبير للفنون بمختلف أشكالها.

4 - الاهتمام بالمشاريع العمرانية مثل استصلاح اقليم الفيوم[1] حيث اعتبر الحكام المشروعات العامة أكثر نفعاً، بعد إن كانت امكانيات الدولة تسخر لخدمة مشاريع ملكية لا طائل من ورائها.

5 - الاهتمام الشديد بالآداب مثل أدب الحكمة والقصص والتي استعرضنا بعضها سابقاً.

---

(1) وكان ذلك في عهد امنمحات الثالث من الأسرة الثانية عشرة، 1844 - 1797 ق. م.

المبحث الثالث

الهجرة الهكسوسية

سنتعرض في هذا المبحث لثلاث قضايا أساسية تتعلق بما عرف في الدراسات المصرية باسم الهكسوس، وأولى هذه القضايا عن أصلهم أمَّا ثانيتهم فعن وصولهم إلى مصر، وهل كانوا مهاجرين أم غزاة؟ وأما الثالثة فهي تدور عن حكمهم وأثارهم السياسية والاجتماعية والحضارية في بلاد الوادي.

أولاً: أصل الهكسوس:

أ ـ حقائق تاريخية أم وجهات نظر؟

يقول الفيلسوف البريطاني المعاصر (برتراندرسل) نقلاً عن الشاعر القوريناني الأصل (كاليماخوس) (Callimaco) **(أن الكتاب الكبيرشر كبير)**[1]، وهو لا يعني بذلك الكتاب الكبير من حيث حجمه أو عدد صفحاته ولكنه يقصد

---

(1) برتراندراسل، حكمة الغرب، ت: فؤاد زكريا، سلسلة عالم المعرفة، 62، الكويت، فبراير، 1983م، ص15 أما عنه فهو من أشهر فلاسفة بريطانيا المعاصرين، ولد عام 1872م وتوفي في 1970م أما كاليماخوس، فهو من أشهر الشخصيات الأدبية التي ظهرت في عصر ازدهار الإسكندرية وهو ينتمي لأب من قورينا وكان جده قائداً عسكرياً اسمه (ياتوس) وقد عاش في عهد بطليموس الثاني فيلادلفوس ولا تعرف سنة ولادته أما وفاته فقد كانت بين 230 – 240 ق.م. انظر: غوليالم ناردوتشي، استيطان برقة قديماً وحديثاً، ص163-164.

ذلك الكتاب الذي يضعه واحد من الأعلام المبرزين في مجاله فهؤلاء بما يحضون به من تقدير لعلمهم يفرضون على غيرهم الأخذ بما يطرحونه من وجهات نظر وكأنها حقائق مسلم بها لا لشيء إلا لكونها صادرة عنهم. ولأنهم كغيرهم من البشر عرضة للخطأ فان تلك الأخطاء ينقلها الخلف عن السلف حتى تصير حقيقة غير قابلة للنقاش وإن لم يقصد واضعوها إلى ذلك.

لقد سخّر العشرات من العلماء الكبار وقتهم وجهدهم في دراسة الحضارات القديمة التي شهدها الوطن العربي ولا يسع أي باحث إلا الاعجاب بذلك الجهد العظيم والصبر الدؤوب، في استخراج كنوز وثروات هذه الأرض من المخلفات الأثرية ودراستها واستنطاقها في محاولة لكتابة تاريخ متكامل لهذه المنطقة وقد وضع هؤلاء نظرياتهم وتصوراتهم الخاصة بهم وخاصة في بعض القضايا المبهمة التي لا يسعف الدليل الأثري على اصدار حكم قاطع فيها، لكن بعض من جاء بعدهم اكتفوا بنقلها وترديدها كحقائق لا تقبل الجدل لانها وردت على لسان هؤلاء الثقات، ومن أمثلة ذلك:

1 ـ الحديث عن الأصول الأجنبية للهكسوس واعتبارهم عنصر غريب من خارج المنطقة دون أي دليل حاسم.

2 ـ الحديث عن الحكم الليبي لمصر بأنه حكم المرتزقة الأجانب، وترديد هذا الوصف رغم الاعتراف بالعلاقات الوثيقة بين الطرفين.

3 ـ استخدام البعض مصطلح (تمصير) النوبة، بينما تشير المعطيات التاريخية إلى أن النوبة وسكانها كانت جزءاً من نسيج مجتمع الوادي منذ أقدم العصور وغير ذلك من الأمثلة.

ب ـ تغريبه بني هكسوس:

رغم إن مقولة (التاريخ يعيد نفسه) ليست حقيقة مسلّم بها لدى فلاسفة التاريخ إلا أن بعض الأحداث التاريخية تغري الباحث بالمقارنة بينها وذلك للتشابه الواضح في هيكلها العام وفي تفاصيلها وفيما كتب عنها، ويعنينا هنا

الشق الثالث أي كتابات المؤرخين بصفة خاصة، ففي منتصف القرن الحادي عشر الميلادي تدفقت على المغرب العربي هجرة بدوية قادمة من أعماق الجزيرة العربية وهم بني هلال وبني سليم، بعد إن اكتوت بنار القوى السياسية الكبرى المتحكمة في مصائر المنطقة ونعني بذلك الخلافة العباسية في بغداد، والفاطمية في القاهرة مما لا مجال لتفصيله هنا[1]، ومما يعنينا في هذا الحدث أنه قد تحول في الذاكرة الشعبية إلى قصة أسطورية عن الشجاعة والفروسية والمغامرات الخيالية، ولكن ذلك لم يشفع لهؤلاء عند مؤرخي المنطقة، ومن أشهرهم العلامة ابن خلدون الذي رماهم بكل نقيصة، وأطلق عليهم من الأوصاف ما يجعلهم في مرتبة القبائل الوحشية المتبربرة فهو يقول على سبيل المثال لقد «عم ضررهم وأحرق البلاد والدولة شردهم»[2]، وانهم «كانوا كالجراد المنتشر لا يمرون على شيء إلا أتوا عليه»[3]، وهكذا حسب رأيه دخلوا المغرب الذي كان عماراً متصلاً فتركوه قاعاً صفصفاً، ولكنه لا يقدم لنا ـ وهو الذي دعا في مقدمته إلى النقد الدقيق للرواية التاريخية ـ أية حادثة تاريخية موثقة عن مدينة دمروها أو حاضرة اقتحموها، مما يلفت النظر هنا إن هذا المؤرخ كتب عنهم بعد قرون من مجيئهم، ومما يلفت النظر أيضاً انه كان من المقربين من السلطة الحاكمة، ومما يلفت النظر ثالثاً انه كان من أهل الحضر، ومما يلفت للنظر رابعاً إن مؤرخاً آخر أهتم بتاريخ المنطقة يذكر وكأنه يرد عليه إن المعز بن باديس ـ وهو الخصم الذي التقوا به في المغرب ـ قد أباد معظم

(1) بني هلال وبني سليم قبائل بدوية فقيرة أغرتها حركة (القرامطة) بدعواتها الاشتراكية فتحالفت معهم ودخلت صراعاً مريراً ضد الدولة العباسية والفاطمية وعندما هزمت هذه الحركة قام العزيز بالله الفاطمي باحضار هؤلاء إلى مصر وأسكنهم الصعيد ثم أغراهم بالذهاب إلى المغرب لتصفية حساباته مع المعز بن باديس الذي خلع طاعته له. انظر في ذلك: عبدالعزيز سالم، المغرب الكبير، ج2، دار النهضة العربية، بيروت، 1981م، ص667. وكذلك: أحمد مختار العبادي، في التاريخ العباسي والفاطمي، دار النهضة العربية، بيروت، 1971م، ص315 وما بعدها.

(2) ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر، ج6، منشورات دار الكتاب اللبناني 1958م، ص30.

(3) المصدر نفسه، ص31.

سكان المنطقة من زناته ويعني بذلك منطقة برقة فدخلها هؤلاء ووجدها خالية[1]، وعندما وصل هؤلاء إلى عقر داره في تونس الحالية أراد استمالتهم والتحالف معهم ضد بني عمه! ومما يعنينا هنا أيضاً إن هذا الجراد المنتشر بمئات الآلاف لم يزد جيشهم عن ثلاثة آلاف فارس كما يشير إلى ذلك شاعرهم علي بن رزق الرياحي عند وصفه لمعركتهم الحاسمة مع المعز بن باديس[2].

من هذه الأحداث ظهرت في الموروث الشعبي لأهل المغرب تغريبه بني هلال المشهورة، وقبل أكثر من ألفين وستمائة سنة من هذا الحدث كانت قبائل بدوية منتشرة في صحاري الشام وتقع بين قوتين اقليميتين كبيرتين هما دولة آشور في العراق ودولة الفراعنة في وادي النيل فانتهزت ضعف هذه الأخيرة وتدفقت على الوادي، وبعد أكثر من ألف سنة جاء المؤرخ المصري (مانيثون) ليصف ما حدث كما نسب اليه[3]في عبارات لا يبتعد مضمونها[4]، عن وصف ابن خلدون حين يقول: في عهد الملك توتيمايوس ولا أدري السبب في ذلك أصابتنا ضربة من الإله ودون أن نتوقع ذلك جاءنا غزاة من الشرق من أصل وضيع ساروا تملؤهم الثقة في النصر ضد بلادنا وتمكنوا بقوتهم من الاستيلاء عليها بسهولة دون ضربة واحدة وبعد إن تغلبوا على حكام البلاد حرقوا مدننا دون رأفة وهدموا معابد الآلهة من أساسها وعاملوا جميع الأهالي بعداء قاسي فذبحوا البعض وأخذوا نساء وأطفال البعض الآخر ليكونوا عبيداً لهم. . . وبنوا حصناً في أواريس تركوا فيه حامية عدد جنودها (240) ألف رجل مسلح[5]،

---

(1) ابن عذاري، أبو العباس أحمد، البيان المغرب في أخبار المغرب، جا1، دار صادر، بيروت، 1950م، ص420.

(2) عبدالعزيز سالم، المغرب الكبير، جت2، دار النهضة العربية، بيروت، 1981م، ص669

(3) من الواجب أن نشير إلى أن النسخة الأصلية لكتابه مفقودة، وإن ما وصلنا منه شذرات نقلت عنه عن طريق يوسف اليهودي الذي ألف كتاباً يرد فيه على كاتب آخر اسمه (أبيون) انتقد اليهود فأورد يوسف نصوصاً نسبها لمانيثون لدعم حججه في الدفاع عن اليهود.

(4) سليم حسن، مصر القديمة، جـ4، ص57، وكذلك : أحمد بدوي، في موكب الشمس، جـ2، ص294، هامش2.

(5) Flavious Josephus, Against Apion I (Trans. to English by; J Thackery London, 1926, p.p 74-75

ويمكننا أن نلاحظ عناصر مشتركة في وصف المؤرخين فنحن أمام غزوة بدوية قادمة من الشرق وهم من أصل وضيع كما يقول مانيثيون ولا يبعد ذلك عن وصف ابن خلدون لأهل البادية بأنهم متوحشون ليس لهم وطن[1]، وهم ينزلون من أهل الحضر منزلة الوحش غير المقدور عليه[2]، وهم غضب من الإله ووباء عند مانيثيون والجراد المنتشر عند ابن خلدون، ولم يكن الجراد إلا وباء عند أهل الحضر يأكل الأخضر واليابس، وهم قد دمروا المدن وأحرقوها عند مانيثيون كما فعل بعد ذلك بدو ابن خلدون الذين جعلوا من حجارة المباني (أثافي) لقدورهم، ويخربون السقف ليجعلوا خشبه وقود لنارهم وصارت بذلك طبيعة وجودهم منافية للبناء الذي هو أصل العمران[3].

جـ ـ الدولة والتاريخ:

عندما نشأت الدولة ظهرت معها مؤسساتها الضرورية ومن أهمها الجيش الذي يحميها ويدافع عنها أو يحقق أهدافها ويسحق أعدائها وهكذا تفننت الدول في اجادة صنعة الكتابة التي هي ضرورة أساسية من ضرورات المدينة المرتبطة بالحضر وهكذا استطاعت الدول أن تقتل أعدائها في ساحات المعارك بالسيوف والخناجر، ولكنها تقتلهم تاريخياً بما تسطره عن طريق كتَّابها على الحجارة أو على الورق ويستمر فعل ذلك السلاح ما دام هناك من يستطيع القراءة على وجه الأرض ومهما حاول المؤرخ ـ وهو حضري في معظم الأحيان إن لم يكن كلها ـ أن يكون محايداً، إلا أنه لن يستطيع أن يكون إلا ابن بيئته ومحيطه الذي يعيش فيه في أحسن الأحوال أما أولئك الأعداء وخاصة عندما يكونون بدواً لا يمتلكون سلاح الكلمة المكتوبة فانهم يكتفون برواية الأحداث مشافهه وهي رواية لا ينظر إليها الكثير من الباحثين الذين لا يرون الدقة العلمية إلا بالاعتماد على ما هو مكتوب[4]، وهو ما يجعلنا لا نرى من أحداث التاريخ إلا وجه

---

(1) ابن خلدون، المقدمة، ص145.

(2) المصدر نفسه، ص121.

(3) المصدر نفسه، ص149.

(4) لقد بدأت الدراسات التاريخية الحديثة تهتم بالرواية الشفهية، والتأكيد على قيمتها العلمية =

واحد دون إن يحدثنا عن صرخات البدو المنعزلة وهم يذبحون فرادى وجماعات[1].

إن التقارب المدهش في هاتين الروايتين والحدثين ربما كان الدافع لباحث شهير مثل جيمس هنري برستد إلى الربط بين هجرة الهكسوس والهجرات الأخرى التي حدثت بعد ذلك بقوله لقد تكررت هذه الحادثة عند الفتح العربي[2]. فمن هم هؤلاء الهكسوس يا ترى؟ يمكن أن نجمل الآراء حول أصل هؤلاء فيما يلي: -

أولاً: أنهم من شعوب الهند الأوروبية التي زحفت من وسط آسيا لتشمل بعض الأسماء المعروفة في التاريخ مثل الحوريين والكاشيين والميثاينين الذين غزوا بلاد الرافدين ثم سوريا حتى وصلوا إلى مصر[3]، ومن ثم فهم ليسوا شعباً واحداً يجمعه اطار حضاري معين ولكنهم مجموعة من القبائل المتفرقة جمع بينهم هدف واحد هو الاستيلاء على مزيد من الأراضي[4]، وعندما وصلت الشام تأثرت بالحضارة السامية ثم بدأت تسربها إلى مصر[5]، ويبالغ البعض في هذه الهجرة فيجعلها قد شملت شرق أوروبا والأناضول والشام[6]، وعرفت بأسماء محلية مختلفة فهم الكاشيين في بلاد ما بين النهرين وهم الحيثيين في آسيا الصغرى، والحوريين في الشام، والآخيين عند الأغريق، وهم

= في دراسة التاريخ، ولعل خير مثال على ذلك اهتمام مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية بالرواية الشفهية في كتابة تاريخ حركة الجهاد الليبي. انظر حول ذلك: الهاشمي بلخير، عامل الدقة في الرواية الشفهية، مجلة البحوث التاريخية، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، السنة السادسة، العدد الأول، يناير 1984م، ص ص61 أ 70.

(1) فراس السواح، مغامرة العقل الأولى، دراسة للأسطورة في سوريا وبلاد الرافدين، دار الكلمة للنشر، ط3، بيروت، 1982م، ص210.

(2) جيمس هنري برستد، تاريخ مصر، ص210.

(3) مايكلوفسكي، عصور في فوضى، ص87.

(4) عبدالحكيم نور الدين، تاريخ وحضارة مصر، ص128.

(5) سيد توفيق، مصر الفرعونية، ص253.

(6) رمضان عبده علي، تاريخ مصر القديم، ج2، دار نهضة الشرق، القاهرة، 2001م، ص11.

(حقاخاسوت) أو الهكسوس عند المصريين[1]، ويؤيد أنصار هذا الرأي حججهم ببعض الأدلة ومنها ترافق دخول الهكسوس إلى مصر بتلك التحركات القبلية وببعض الأسماء التي حملها ملوكهم والتي يرون إنها غريبة عن المنطقة مثل (خيان) وكذلك بادخال الحصان والعربة إلى مصر في عهدهم، وبعض أسلحتهم مثل القوس المركب، وكذلك طريقة بناء معسكراتهم المستطيلة الشكل وأخيراً وصف مانيثيون لهم في روايته بأنهم قوم غرباء من جنس مجهول.

إن أشهر المهتمين بتاريخ مصر والمنطقة لا يميلون إلى هذا الرأي خاصة وإن الأدلة التاريخية المتوافرة حالياً لا تدعمه،وهو ما جعل أحدهم يقول إن القول بشعب غريب غزا سوريا وفلسطين ثم مصر ليس هناك ما يؤكده وإن تحركات الشعوب الهندوأوروبية حدثت قبل هذا العهد بعدة قرون وكان تأثيرها على مصر محدوداً جداً[2] وقد فند سليم حسن الحجج التي طرحها القائلون بأصلهم الهندأوروبي مشيراً إلى أنه لم تكتشف أية تغيرات في طرق الدفن أو مواصفات الجثث التي قد توحي بعنصر غريب[3] كما إن القول بالإعتماد على الفخار الذي ينسب إلى الحورانيين في مصر ليس سوى مبالغة وتعسف في الاستنتاج حيث أنه لم يثبت بعد أنه ينتمي لهؤلاء الحورانيين[4]، أما الأسماء التي يشك في أنها غير سامية مثل (خيان) فيمكن نسبتها بسهولة إلى (حيان) العربية والقبطية[5]، ومن حيث الاعتماد على الحصان والعربة فهو دليل مردود لأنهما عُرفا في بلاد النهرين قبل ظهور الهند أوروبيين بزمن طويل، وإن الهكسوس عرفوها في نفس الوقت مع المصريين في أواخر حكمهم لمصر[6]،

(1) رمضان عبده علي، تاريخ مصر القديم، ج2، دار نهضة الشرق، القاهرة، 2001م، ص11.
(2) غاردنر، مصر الفراعنة، ص179.
(3) سليم حسن، مصر القديمة، ج10، ص221.
(4) المرجع نفسه، ص224
(5) المرجع نفسه، ص224.
(6) المرجع نفسه، ص226

وفيما يتعلق بحصونهم الغربية الشكل فلا يوجد أي دليل في مصر عليها، وما وجد منها ليس سوى بقايا معبدين قديمين لا يعودان لعصرهم[1]، ويصل الباحث من ذلك إلى نتيجة مفادها أنهم ساميون بدو استطاع رؤوسائهم كسب الصراع السياسي لصالحهم، وتحولوا إلى قادة للحكومة في وادي النيل وقد حملوا مؤثرات آسيوية بحكم موقع سكناهم بين مصر والمناطق الآسيوية[2] وفيما يتعلق ببعض أسلحتهم مثل القوس المركب فقد عرف في منطقة ما بين النهرين في العهد الأكادي منذ القرن الثاني والعشرين ق.م[3].

ثانياً: أنهم خليط من الهند أوروبيين والسامين[4]، أو حسب تعبير البعض حشداً من الناس لا تسمية لهم قذفتهم منطقة شرقي البحر المتوسط نحو مصر اتصلوا بالهند أوروبيين واختلطوا بهم، وقد حاول البعض الاستدلال على ذلك بعدد قليل من الهياكل العظمية التي تنسب لما يعرف بالنموذج الألبي[5]، إضافة إلى الأدلة السابقة التي رد عليها سليم حسن.

ثالثاً: إن الهكسوس هم اليهود وقد جاء بهذا الرأي يوسف اليهودي الذي تنسب إليه رواية مانيثيون عن الهكسوس والتي يشكك معظم المؤرخين في مصداقيتها خاصة مع معرفتهم للملابسات التي دفعت يوسف اليهودي (Flavius Josephus)[6] لتأليف كتابه ونقل نصوص ماينثيون لدعم وجهة نظره والواقع إن

---

(1) المرجع نفسه، ص227.

(2) سليم حسن، مصر القديمة، ج10، ص228.

(3) فيليب حتي، فلسطين وسوريا ولبنان، ص ص157 ـ 158.

(4) أحمد فخري، مصر الفرعونية، ص255.

(5) Robert. M. Enbeg, The Hyksos Reconsidered, (Chicago 1939), p. 41.

(6) وهو مواطن يهودي عاش في القرن الأول لميلاد المسيح ومعاصراً للعالم النحوي وهو الاسكندري (أبيون) الذي كره ممارسات اليهود فألف كتاباً وصفهم فيه بصفات كريهه منكرة ورماهم بكل نقيضة وطعن في أصلهم وأخلاقهم وهو الأمر الذي دفع يوسف هذا لتأليف كتابه المسمي (ضد أبيون) محاولاً فيه الدفاع عن اليهود وذلك بأن جعل اليهود هم الهكسوس، وانهم قد انتصروا على المصريين وهزموهم واحتلوا بلادهم، وقد لجأ إلى ما كتبه =

سير الحوادث التاريخية في مصر والمناطق الأخرى المجاورة لها تؤكد إن هذا الرأي لا أساس له من الصحة ولذلك فان المؤرخين لا يأخذون به خصوصاً وإن أقدم أثر يحتمل ورود ذكر لليهود فيه رغم ما يحيطه من غموض إنما يعود إلى عهد متأخر جداً عن عهد الهكسوس حيث ينسب إلى الفرعون (مرنبتاح) (1222 ـ 1211 ق.م) وهو من ملوك الأسرة التاسعة عشرة اعتماداً على ما يعرف بلوح اسرائيل وهو اللوح الذي يشير إلى انتصارات وحروب ذلك الفرعون على القبائل والمدن المجاورة حيث يشير الباحثون إلى ورود كلمة (اسرائيل) في احدى نصوصه رغم الاختلاف في قراءة الكلمة مما لا مجال لتفصيله هنا[1]، وهي المرة الأولى والأخيرة التي ترد فيها هذه الكلمة في المصادر المصرية إذا ما صحت هذه القراءة[2].

رابعــاً: إن الرأي المقبول الآن لدى معظم الباحثين يرى إن الهكسوس ليسوا سوى قبائل بدوية (آسيوية) تدفقت إلى وادي النيل في ذلك العهد مثلها في ذلك مثل الهجرات السامية السابقة واللاحقة وإن ما يشاع عنها ليس سوى

= (مانيثيون) للتدليل على صدق فكرته، وحيث إن المؤلف الأصلي لمانيثيون قد ضاع فقد اعتمد المؤرخون على رواية يوسف هذه رغم تحفظ الكثيرين عليها، انظر في ذلك : أحمد بدوي، في موكب الشمس، ج2، ص294 هامش2، وكذلك : سليم حسن، مصر القديمة، ج4، ص57، 58.

(1) Preasted (A.R.E): III, par 602-617

(2) يبدو إن تهافت هذا الرأي، وعدم قبول المؤرخين له قد دفع أحد أحفاد يوسف اليهودي المعاصرين إلى أن يأتي بنظرية جديدة يشير فيها إلى أن اليهود وإن لم يكونوا هم الهكسوس إلا أنهم هم الذين حرروا مصر من حكم الهكسوس البغيض وتستند نظريته إلى الادعاء بأن خروج اليهود من مصر قد وقع في نفس الوقت مع دخول الهكسوس إلى مصر ثم قام هؤلاء اليهود بمقاتله الهكسوس وهزيمتهم وإخراجهم من مصر ومحاصرتهم في شاروهين وإن أحمس لم يكن سوى تابعاً للجيش اليهودي الذي حرر مصر وهزم الهكسوس والذين هم في رأيه قبيلة العماليق العربية التي رماها بكل الصفاة المرذولة وفي سبيل ذلك افترض هذا الباحث إن هناك ستة قرون مكررة من التاريخ المصري يجب حذفها لتوافق نظريته مع ما جاء في قصص التوراة الملفقة. للمزيد حول فكرة هذا اليهودي المتطرف انظر : كتابه أيمانويل مايكلوفسكي، عصور في فوضى، صص99 - 131.

ضرب من المبالغة أو هي نتيجة طبيعية للصراع بين البادية والحضر والواقع إن هناك من الأدلة ما يجعل هذا الرأي أكثر رجحاناً إلى درجة يمكن معها إن نقطع بذلك وأن رواية ماينثيون نفسها تضع أمامنا براهين كثيرة على ذلك ومنها: ـ

أ - إن هذه الحركة لم تكن غزواً مسلحاً بل كانت موجة هجرة متواصلة مما يفسر عدم وجود أية مقاومة لها من طرف أهل الوادي حتى ولو كانت يسيرة حيث تشير تلك الرواية إلى أنهم تسلطوا على البلاد دون نشوب واقعة حربية[1]، ولا نظن إن هناك دولة يمكن أن تخضع للغزو وبهذه السهولة مهما كان ضعفها.

ب - قوله: أي مانيثيون «ويقول البعض أنهم عرب»، والمعروف إن كلمة (عرب) لم تكن تعني في ذلك الوقت ما نفهمه منها الآن بل تعني أهل البادية بصفة عامة وقد كان أقدم ظهور لها في النصوص الآشورية منذ أيام الملك (شلم نصر الثاني) (727 ـ 720 ق.م) تقريباً، وكانت تعني لديهم الامارات والمشائخ البدوية[2] ومما يقوي ذلك إن الأغريق كانوا يستخدمون هذه التسمية في وصف سكان البلاد الواقعة شرقي النيل[3]، ومانيثيون كما هو معروف قد عاش في عصر الحكم الأغريقي لمصر وقد ورد هذا المعنى في التراث اليهودي أيضاً للدلالة على البداوة[4] والبدو من سكان صحارى الجزيرة العربية والشام والعراق وحتى حدود وادي النيل الشرقية أي صحراء سينا.

ج - يشير ماينثيون إلى إن ملوك الأسرة السابعة عشرة كانوا أخوة كهنه من

(1) سليم حسن، مصر القديمة، جـ4، ص ص58 ـ 59، انظر أيضاً: Josephus, OP. cit, P.82

(2) جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، جـ1، دار العلم للملايين، مكتبة النهضة، بغداد، ط2، 1976م، ص16.

(3) المرجع نفسه، ص21

(4) The Jewish Encyclopedia, Newyork, 1902, P. 41.

فينيقيا[1] والمعروف إن الفينيقيين هم فرع من الكنعانيين وهم بدورهم هجرة بدوية قادمة من الجزيرة العربية استوطنت منطقة الشام ومصطلح اخوة في هذه العبارة هو تعبير مصري عن أمراء الشام الموالين لمصر كما يظهر من رسائل (تل العمارنه) في عهد (الملك اختانون) 1370 ـ 1349 ق.م، وقد أشار إلى ذلك أحد الباحثين بقوله إن العنصر الأساسي للهكسوس كان كنعانياً أمورياً[2] مثلما يظهر في أسمائهم وأبنيتهم.

من الأدلة الأخرى على ذلك غير ما ورد عند مانيثيون إن دراسة هذه الفترة من تاريخ مصر لا تشير إلى وجود أية مؤثرات ثقافية أو حضارية مختلفة عما ألفته مصر وهو أمر يمكن أن يحدث لو إن هؤلاء كانوا عنصراً غريباً غازياً سيفرض ولا شك انماطه الثقافية والحضارية، أما ما يشير إليه البعض[3]، من وجود مؤثرات آسيوية فهي ظاهرة طبيعية بحكم العلاقة الوثيقة بين مصر ومناطق الشام وهي كانت موجودة قبل عهد الهكسوس بوقت طويل ومن المحتمل إن المصريين أنفسهم قد نقلوها إلى بلادهم ويمكن القول في هذا المجال إن كل شيء قد سار في طريقه الطبيعي أثناء فترة حكمهم[4] كما إن غياب هذا الأثر الثقافي قد يشير إلى أن هؤلاء كانوا قوماً أميون فلم يتركوا شيئاً مكتوباً[5] وتلك صفة أساسية في البدو وظلت كذلك حتى ظهور الإسلام[6].

أما الدليل القوي على ذلك فهي التسميات التي عرف بها الهكسوس ومن أهمها:

---

(1) رمضان عبد علي، تاريخ مصر، ص30.

(2) فيليب حتي، فلسطين وسوريا ولبنان، ص157. انظر كذلك: عبدالعزيز صالح، مصر الشرق الأدنى، ص206

(3) سليم حسن، مصر القديمة، ج4، ص55.

(4) أحمد فخري، مصر الفرعونية، ص257.

(5) مرجريت مري، مصر ومجدها الغابر، ص52.

(6) ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾ سورة الجمعة: الآية 2

أ - التسمية الشائعة عن طريق رواية مانيثيون وهي هكسوس والتي يفسرها بقوله: لقد حمل جنسهم بوجه عام اسم الهكسوس، والذي يعني ملوك الرعاة حيث تعني (هيك) في اللغة المقدسة ملك، و(سو س) من اللغة الدارجة وتعني راع أو رعاة واجتماع الشقين يكون كلمة هكسوس[1]، والواقع إن كون التسمية ذاتها تتعلق بالحكام مثل أي لقب سياسي آخر كالفراعنة أو الخلفاء تعني إن هؤلاء القوم لم يحملوا اسماً معيناً ليكون علماً عليهم، ومن غير المعقول إن تتعرض دولة لغزو من قوم لا اسم لهم، مما يدل على إن الأمر لم يكن سوى وصول حكام جدد إلى السلطة من نفس شريحة المجتمع، وهذه التسمية ليست تعبيراً عن شعب بل صفة لمجموعة من الحكام[2] مثلها في ذلك مثل الألقاب المختلفة التي حملها فراعنة مصر الآخرين، هذا عن تفسير مانيثيون للكلمة، أما (يوسف اليهودي) الذي نقل عنه فقد رأى أنها تعني (الأسرى الرعاة) وذلك لتأييد وجهة نظره في كون الهكسوس هم اليهود[3]، ولكن التفسير الذي اتفق عليه معظم الباحثين فإن التسمية ليست سوى الكلمة المصرية التي تعني مترادفات عدة، منها حكام البراري[4]، أو حكام البلاد الأجنبية أو رؤساء البلاد الأجنبية الجبلية[5] أو الحكام البدو،[6] ولعل أول ما يتبادر إلى الذهن هنا إن المعاني المختلفة للكلمة تعني معرفة المصريين الوثيقة لهؤلاء ولبلدهم ووصفها بأنها بدوية جبلية[7]، وحيث إن هذا اللقب قد عرف عند المصريين في

(1) Josephus, OP. Cit, P82

(2) W. G. Waddell, Manetho, Leop Classical Library Cambridg, 1941, p111

(3) عبدالعزيز صالح، مصر والشرق الأدنى، ص206.

(4) أحمد فخري، مصر الفرعونية، ص255.

(5) غاردنر، مصر الفرعونية، ص178.

(6) سليم حسن، مصر القديمة، ج4، ص61.

(7) لابد من الاشارة هنا إلى الفهم الخاطئ لمصطلح البلاد الأجنبية كما يفهمه بعض الباحثين فهو لا يعني عند أهل الوادي ما نفهمه منه نحن الآن ولكنه يعني فقط تلك المناطق التي تقع =

وقت مبكر يعود إلى الأسرة الثانية عشرة ويرد في قصة (سنوهي) وكذلك على رسوم مقابر بني حسن بل إنه أطلق حتى على زعماء النوبة منذ عهد الدولة القديمة ولا يخرج معناه عن كونه وصف للقبائل البدوية شرقي مصر ومشائخهم وكذلك شيوخ القبائل في معظم أنحاء فلسطين وسوريا وهذا الأمر يشير بجلاء إلى أن الهكسوس ليسوا سوى أمراء بدو فلسطين وسوريا أو الشام بصفة عامة.

ومن المفيد هنا أن نشير إلى رأي حديث في هذه التسمية للباحث علي فهمي خشيم الذي يرى إن المقطع الثاني من الاسم يعني الخيل في اللغات العروبية القديمة ومن بينها اللغة المصرية التي تعرف فيها الخيل باسم (سوسيم)[1]، ولذلك وحسب رأي الباحث فإن معنى الكلمة هو (ملوك الخيل)[2]، ويؤكد استنتاجه هذا بما هو شائع عن الهكسوس بأنهم أول من أدخل الحصان إلى مصر وأنهم اشتهروا به، والواقع إن هذا التفسير اللغوي يبدو مقبولاً إذا كان الهكسوس هم الذين أدخلوا الحصان إلى مصر وهو أمر ليس ثابتاً كما سوف نرى لاحقاً.

= خارج حدود المنطقة المزروعة من وادي النيل ولا يشير إلى أي انتماء معين فقد كانت كلمة الصحراء أو البلاد الأجنبية في اللغة المصرية واحدة، دشرت: صحراء بلد أجنبي وهست: صحراء جبال، بلد غريب، انظر: مانفريد فيبر، المصريون القدماء، الصحراء الكبرى، ص187. كما إن الصحراء الجبلية التي تشغل الجزء الأكبر من مصر الحالية هي العالم الخارجي، أو الأراضي الأجنبية لدى أهل الوادي. انظر: بوزنر، معجم الحضارة المصرية، ص203، واذا أردنا إن نعرف من أين تبدأ هذه المناطق الأجنبية الجبلية فان هيرودوت يوضح لنا ذلك عندما يقول: (وعلى جانب مصر من جهة ليبيا تمتد سلسلة أخرى من الجبال الصخرية مغطاة بالرمال توجد بها الأهرام والمسافة بين الجبال العربية والجبال التي تسمي الجبال الليبية (مئتي استاد) أي حوالي ثماني كيلو مترات. انظر: محمد صقر خفاجة، هيرودوت يتحدث عن مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1987م، ص79، فقرة 8.

(1) جورج بوزنر، معجم الحضارة المصرية، مادة الحصان، ص136.

(2) علي فهمي خشيم، آلهة مصر العربية، جـ1، ص88. ويرى الباحث إن التواصل اللغوي والحضاري قد جعل هذه الكلمة تعيش إلى حد الآن في اللهجة الليبية التي توجد بها هذه الكلمة مع تحريف بسيط (صص) كفعل أمر بالتوقف للخيل.

ب ـ من الثابت إن هؤلاء (الحكام الرعاة) كما أسماهم مانيثيون قد عرفوا في المصادر المصرية وهي أوثق المصادر بطبيعة الحال باسم (العامو) ويرى عبدالعزيز صالح إن هذه الكلمة ليست سوى مرادف لكلمة هكسوس السابقة، وكلمة (حر يوشع) المصرية التي تترجم بالذين هم فوق رمالهم، أي سكان الأراضي الرملية (الصحراء) وهي في تعريفه تدل على البداوة والقبلية بوجه عام[1].

أما (غاردنر) فيقول (علينا أن نضع في اعتبارنا إن المصريين عرفوهم ـ أي الهكسوس ـ باسم العامو، وإن ترجمتنا لهذا المصطلح بـ (الآسيويين) ليس دقيقاً[2] وهو مصيب في ذلك ولا شك حيث إنه لم يدر في خلد المصريين في ذلك الوقت تقسيم الناس حسب انتمائهم إلى قارات كما نعرفها الآن، خاصة وإن تلك المناطق (الآسيوية الآن) هي امتداد طبيعي لمصر عبر صحراء سينا، ومما يدل على صحة رأى (غاردنر) إن هذا المصطلح (عامو) قد أطلق على بدو المناطق الغربية في واحة سيوة وما جاورها[3]، وكذلك على جميع سكان الصحراء الشرقية المحصورة بين شاطئ النيل الشرقي والبحر الأحمر[4]، وكلتا المنطقتين جزء من مصر، وتقع في قارة أفريقيا حسب تقسيمنا المعاصر، ومن المرادفات الأخرى لهذا المصطلح (السيثينو) أي رعاة الشاه، وهو تعبير قديم يعود إلى الأسرة السادسة، وقد استمر حتى العصر البطلمي.

إن هذه المعاني الكثيرة والمتقاربة للكلمة واشارتها الواضحة لأهل البادية عموماً وبادية الشام وما يتصل بها خصوصاً تدفعنا إلى التساؤل: من هم هؤلاء

---

(1) عبدالعزيز صالح، مصر والشرق الأدنى، ص206.
(2) آلن غاردنر، مصر الفراعنة، ص179.
(3) علي فهمي خشيم، التواصل دون انقطاع، ص130.
(4) سليم حسن، مصر القديمة، جا، ص391، ويظهر ذلك في نقش (بيبي نخث) الذي أرسل من قبل (بيبي الثاني) لاحضار جثة ضابط كان مكلفاً بصناعة سفينة على البحر الأحمر حيث هوجم من قبل بدو الصحراء (العامو) كما يصفهم النقش.

العامو؟ وأية تسمية عرفوا بها لدى غير المصريين؟ إن الاجابة عن هذين السؤالين قد تحدد من هم الهكسوس؟.

لقد اجتهد بعض الباحثين في تفسير الكلمة فقال بعضهم إنها قد تكون بمعنى (العامة) أي عامة الناس تمييزاً لهم عن المصريين الذين هم طائفة مميزة عن غيرهم من الناس[1]، أو إنها بمعنى (الأميين) أي الذين لا يحسنون القراءة والكتابة مثل أهل الحضر من سكان الوادي[2]، ورأي آخر أنهم ليسوا سوى القبيلة العربية (البائدة) العماليق خاصة وإن الجذر (عا) في المصرية يفيد الارتفاع والضخامة ومنه لقب فرعون (فر ـ عا) ويعني أصلاً البيت العالي أو البيت الكبير ويستشهد صاحب هذا الرأي بما ورد لدى بعض المؤرخين المسلمين مثل المسعودي الذي يشير إلى إن العماليق غزو سوريا ومصر وامتلكوا البلاد وكذلك روايته عن مقدم ملك العماليق (الوليدين دوماً) من سوريا وغزوه لمصر قهرها وكذلك رواية أبي الفداء الذي يشير إلى إن العماليق صاروا حكاماً لمصر وفراعنة عليهما[3]، إلا أن هذه الروايات التاريخية ليس هناك ما يؤكدها من علم الآثار والوثائق المعاصرة مما يدعونا إلى التحفظ عليهما ولعل ما دفع الباحث إلى هذا الافتراض هو اعتماده على التوراة التي تشير إلى صراع بني اسرائيل مع العماليق في الشام ووصفها لهم بالقسوة والوحشية وهو ما يحاول أن يقرنه بالرواية المصرية (المشكوك فيها) عن قسوة الهكسوس وهمجيتهم[4].

إن الإجابة على التساؤل الذي طرحناه سابقاً يستدعي إلقاء نظرة سريعة على بلاد الشام في فترة قدوم الهكسوس وقبلها بقليل، وهنا فإننا قد نعثر على ما نراه إجابة صحيحة على تساؤلنا.

---

(1) علي فهمي خشيم، آلهة مصر، جا1، ص.
(2) مايكلوفسكي، عصور في فوضى، ص99 وما بعدها.
(3) المرجع نفسه، وكذلك الصفحات.
(4) المرجع نفسه، والصفحات كذلك.

العموريون هم الهكسوس : منذ أقدم العصور المعروفة لدينا تدفقت على منطقتي الشام وبلاد الرافدين هجرات بدوية ضخمة قادمة من جزيرة العرب حيث استوطنت هذه المناطق وأسست الدول والحضارات المعروفة لدينا ويسجل لنا تاريخ الشام إن منتصف الألف الثالث ق. م قد شهد واحدة من أكبر هذه الهجرات السامية التي انتشرت في معظم انحاء المنطقة وهؤلاء هم الذين عرفوا باسم العموريين والذين صاروا يمثلون أغلب سكان بلاد الشام(1)، وقد عرف جزء من هؤلاء باسم الكنعانيين، ونجح هؤلاء المهاجرين في تأسيس عدد من (المدن الدول) في منطقة الشام(2)، وقد ظهر أول أثر تاريخي لوجودهم في المنطقة في عهد سرجون الأكادي 2250 ق.م(3)، ويري الباحثون إن تسمية هؤلاء أتت من وصف السومريين لهم بهذه الصفة التي تعني (الغربيين)(4) لانهم استقروا إلى الغرب منهم وإن كنا نرى غير ذلك كما سوف نوضحه فيما بعد. فهل كان الهكسوس هم العموريون؟ وما هي الأدلة على ذلك؟ نظن إن الهكسوس هم العموريون فعلاً والأدلة على ذلك كثيرة ومنها:

أ - إن قدوم العموريون إلى منطقة الشام يترافق مع ظهورهم على الآثار المصرية كالتي تعود للملك ساحورع من ملوك الأسرة الخامسة والتي يصف فيها انتصاره على البدو في آسيا وتبدو صور هؤلاء مشابهة تماماً لصور البدو الذين يظهرون بعد ذلك في عهد سنوسرت الثاني على مناظر مقبرة (خنوم حتب) والتي تظهر وفداً بدوياً يقوده زعيمه (ابشاي)، والذي يوصف بلقب (حقا خاسوت)(5) وهذه المناظر مشابهة تماماً للصفات المعروفة عن العموريين.

---

(1) محمد أبو المحاسن عصفور، معالم تاريخ، ص276.

(2) المرجع نفسه، والصفحة كذلك.

(3) فيليب حتي، تاريخ سوريا وفلسطين ولبنان، ص70 _ 82.

(4) المرجع نفسه، والصفحة كذلك.

(5) أحمد بدوي، في موكب الشمس، ج2، ص296، وكذلك : عبدالحميد زائد، مصر الخالدة، ج1، ص478 وكذلك آلن غاردنر، مصر الفراعنة، ص117.

ب - إن العموريين قد قدسوا الحمار، واعتمدوا عليه في حياتهم وقدموا منه ذبائحهم[1].

وهو ما يتفق مع الهكسوس الذين عبدوا الإله (ست) وكان الحمار من صوره المألوفة كما وجدت بقايا هذا الحيوان مدفونة في مقابرهم بالشام[2]، مما يدل على اهتمامهم به وتقديسهم له.

ج - ان بعض الأسلحة التي يقال إن الهكسوس قد جلبوها إلى مصر مثل القوس المركب يظهر على الرسوم التي تصورهم على الآثار المصرية والتي أشرنا إليها سابقاً، والتي تتطابق مع أوصاف العموريين وكذلك المركبات المجرورة بواسطة الحصان[3] والتي تؤكد محفوظات مدينة ماري العمورية[4] انهم عرفوها واستخدموها.

د - إن العموريين كانوا في معظمهم بدواً لا يمتلكون كتابة خاصة بهم، وكان الهكسوس كذلك[5]، وإن استعاروا فيما بعد الخط البابلي الذي كتبوا(أي العموريين) به وثائقهم[6].

هـ - إن المصريين قد أطلقوا على بعض مناطق الشام، وخاصة الشرقية والغربية اسم (أمور)[7]، وهي لا تختلف عن (أمو) التي وصف بها الهكسوس، ويبدو ذلك متوافقاً مع نفس التسمية التي أطلقها عليهم

---

(1) فيليب حتي، تاريخ سوريا وفلسطين ولبنان، ص71

(2) أحمد بدوي، في موكب الشمس، ج2، ص312.

(3) فيليب حتي، تاريخ سوريا، ص73

(4) (ماري) وهي واحدة من أهم المدن العمورية وتعرف الآن باسم (تل الحرير) قلب بلدة أبو كمال (غربي نهر الفرات) وقد كشفت أعمال التنقيب الأثري فيها عن ثروة ضخمة تتمثل في أكثر من (20,000) لوح مسماري كتبت بالخط الأكادي وهي تمثل محفوظات آخر ملوك الأموريين (زمري ليم)، 1730 - 1700 ق.م الذي قضي على دولته الملك حمورابي. للمزيد انظر: فيليب حتي، تاريخ سوريا وفلسطين ولبنان، ص72.

(5) مرجريت مري، مصر ومجدها الغابر، ص52

(6) محمد أبو المحاسن عصفور، معالم تاريخ، ص278.

(7) فيليب حتي، سوريا وفلسطين ولبنان، ص138.

السومريون والتي قلنا سابقاً إن المؤرخين فسروها بمعنى (الغربيين) ولكننا نرى إن معناها الحقيقي يعود إلى اللهجة العمورية نفسها والتي تعني فيها هذه الكلمة (قبيلة)[1] أي إنهم القبليون في نظر السومريين سكان المدن الحضر، وذلك أقرب إلى الصواب كما نرى.

و - أما الدليل المهم الآخر على ما نقوله فإنه يتضح من تسلسل الأحداث في منطقة الشام وبلاد الرافدين فقد وصل إلى السلطة في بابل الملك حامورابي الذي استطاع تكوين دولة كبرى له شملت جزء كبير من الشام حين هزم العموريين في عهد ملكهم (زمري ليم) وتترافق[2]، تلك الأحداث (1730 ـ 1700 ق.م) مع أوثق التواريخ المعتمدة لدخول الهكسوس لمصر، ومن خلال ذلك يمكننا أن نتصور إن هؤلاء البدو العموريون (الهكسوس) الذين كانوا يتسربون إلى مصر منذ عهد الدولة الوسطى أو ما قبلها قد أجبروا أمام هزيمتهم على يد حمورابي إلى الهجرة الواسعة غرباً باتجاه الوادي مستغلين ضعف الدولة المصرية، فاكتسحوا الدلتا الشرقية وتحالفوا مع من سبقهم من المهاجرين ليبدأوا حكم الهكسوس لمصر، والواقع إن هذا التصور يعود بنا مرة أخرى إلى ما بدءنا به من مقارنة بين الهكسوس وبني هلال فكلتا الهجرتين كانتا نتيجة لتصارع القوى السياسية الاقليمية الكبرى ودورها في الحركات السكانية الواسعة التي تنجم عنها والتي انتجت لنا (تغريبه) بني هلال في الذاكرة الشعبية، وتغريبه (الهكسوس) لدى المؤرخين. ولابد هنا من الاشارة إلى ملاحظتين نراهما ضرورتين لاستكمال اللوحة التي رسمناها وهما: ـ

أولاً: إذا افترضنا إن (العامو) المصرية تعني العموريين فما هو تفسيرنا لاطلاق المصريين هذه التسمية على غيرهم من غير العموريين كما ذكرنا سابقاً

---

(1) فيليب حتي، سوريا وفلسطين ولبنان، ص74.

(2) المرجع نفسه، ص72.

أما المعنى الثاني فانه يتعلق بظاهرة مميزة في العقيدة الأمورية حيث كان هؤلاء بصفة عامة والكنعانيون ـ وهم فرع منهم ـ بصفة خاصة يبنون معابدهم على التلال المرتفعة ويصعدون إليها لتقديم ذبائحهم حتى عرفت تلك المعابد بالأماكن المرتفعة[1] فاستعار المصريون هذه الصفة لوصف أهلها بها.

الهكسوس يحكمون الوادي:

أ ـ هكسوس أم عموريون؟

رغم ترجيحنا الكبير لأن يكون الهكسوس هم العموريون إلا انه من الصعب في دراسة متواضعة كهذه الجزم بصحة هذا الرأي الذي نظن انه يحتاج إلى أمرين أساسيين للتأكيد القاطع حوله وأول هذين الأمرين الدراسة الدقيقة والوافية للهجرات التي حلت ببلاد الشام وخاصة الهجرة العمورية. أما الأمر الآخر فهو التأكيد على أهمية الدراسة الشاملة وليست الجزئية للدول والحضارات التي قامت في منطقتنا العربية فقد أثبتت الدراسات الجزئية المنفصلة لكل كيان على حده انها تقود في الكثير من الأحيان إلى أحكام تاريخية خاطئة وتصورات غير صحيحة وكان تلك الكيانات مجرد جزر حضارية منفصلة عن بعضها البعض لا ترتبط إلا بعلاقة (التأثير والتأثر) المتبادل مثلما هي علاقتها بالعالم الخارجي الآخر لهذا فاننا سنستخدم نفس المصطلح السابق رغم تحفظنا الشديد عليه إلى إن يتحقق هذين الأمرين الذين أشرنا اليهما أعلاه.

= مفهومه (الجغرافي) ليصير تعبيراً عن الانتقال من البادية إلى الحاضرة أو العكس مثلما ورد على لسان موسى عليه السلام (المصري المولد والنشأة والثقافة) عندما خاطب بني اسرائيل المتعنتين في صحراء سيناء والذين طلبوا منه أن يدعو ربه ليعطيهم ماتخرج الأرض من فومها وعدسها وبقلها وما ألفوه في الوادي قبل خروجهم إلى الصحراء فقال الله تعالى لهم على لسان موسى في سورة البقرة، الآية 61 ﴿ٱهْبِطُوا۟ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ﴾ أي عودوا من الصحراء المرتفعة إلى الوادي (مصر) المنخفض لتحصلوا على ماتريدون.

(1) فيليب حتي، تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين، ص132.

ب ـ زمن دخولهم وفترة حكمهم:

كان أهل مصر في ثورة واضطراب[1]، هكذا وصف المؤرخ المصري مانيثيون أحوال مصر عند دخول الهكسوس، وهكذا اضطرب واختلف المؤرخون في تحديد زمن دخول الهكسوس ومدة حكمهم خاصة وإن مانيثيون الذي اعتمدوا عليه كثيراً لا يقدم صورة واضحة للأمر فهو يشير إلى أن مدة حكمهم وصلت إلى (511) سنة[2]، ولكن بعض المؤرخين المعاصرين يرفضون هذا التقدير معتمدين في ذلك على الأسس الفلكية والمتمثلة في ظهور (نجم سوثيتس) أو الشعري اليمانية والذي يشير إلى إن نهاية الأسرة الثانية عشرة كانت في عام 1780 ق.م تقريباً، فإن ذلك يعني بأن فترة حكمهم مع حكم الأسرتين الثالثة عشرة والرابعة عشرة لا تزيد عن مئتي عام، وحيث إن هناك ما يشير إلى حكم أكثر من ستين ملكاً في الأسرة الثالثة عشرة[3]، وعدد آخر من ملوك الأسرة الرابعة عشرة، ومع افتراض إن هاتين الأسرتين كانتا متعاصرتين فان التقدير المعقول لحكم الهكسوس لا يزيد حسب رأي (أدوارد ماير) عن المئة سنة[4]، لكن باحثين آخرين وعلى رأسهم (فلاندرز بتري)[5] يرفضون هذه المدة المتواضعة بحجة إن المتغيرات الثقافية والفنية الضخمة التي تظهر واضحة بين عصري الدولة الوسطى والحديثة تحتاج إلى زمن طويل لحدوثها وعلى هذا الأساس يقدر (بترى) فترة حكمهم شاملة الأسرة الثالثة عشرة بحوالي (660) عاماً.

وقد أشير إلى هذين التقديرين باسم (الزمن القصير) و(الزمن الطويل)[6] لحكم الهكسوس، وإن كانا يتفقان في تحديد نهاية حكمهم بعام (1580 ق.م) تقريباً.

---

(1) أحمد حسين، موسوعة تاريخ مصر، جا، ص87.
(2) Josephus, I. OP. Cit, P84
(3) سليم حسن، مصر القديمة، ج4، ص3. انظر كذلك: سيد توفيق، معالم تاريخ، ص253.
(4) مايكلوفسكي، عصور في فوضى، ص105.
(5) المرجع نفسه وكذلك الصفحة.
(6) المرجع نفسه، ص106.

إن هذا التباين في التقدير هو الذي أوحى لأحد الباحثين بحل وسط قدر فيه فترة حكمهم بين (400 ـ 500) عام[1]، وهذا التفاوت في التقدير لا يعود إلى عجز المؤرخين بقدر ما يعود إلى تصورهم الخاطئ لهذا الموضوع من أساسه حيث تعاملوا معه باعتباره غزواً لابد أن يكون قد وقع في وقت معين يمكن تحديده لكن ما طرحناه سابقاً من حيث كون وجودهم في الوادي كان عبارة عن هجرة تدريجية تزداد حيناً وتخف أحياناً أخرى يجعل هذه المسألة غير مهمة على الاطلاق لأنه من المستحيل أن نجزم بسنة معينة لبداية هجرة ما، إلا إذا كانت هذه الهجرة وليدة حدث مفاجئ يرغم مجتمع معين على ترك وطنه بسرعة.

لوحة الأربعمائة سنة: ـ رغم بداهة الفكرة التي طرحناها سابقاً إلا أن المؤرخين المتمسكين بفكرة الغزو أجهدوا انفسهم في تحديد سنة هذا الغزو حتى وصلوا إلى حل رأوه مناسباً وهو اعتبار عام 1730ق.م تقريباً هو العام الذي دخل فيه الهكسوس إلى مصر اعتماداً على لوحة تعود لعهد رمسيس الثاني وتجسد الاحتفال بمرور (400) سنة على تأسيس معبد الإله (ست)[2] في (أواريس)، وحيث إن هذا الإله هو معبود الهكسوس وأواريس هي عاصمة الهكسوس في الدلتا الشرقية فقد توصلوا إلى احتمال قيام حكمهم في العام الذي ذكرناه سابقاً لكن هذا الافتراض يصطدم بحقيقة مؤكدة وهي وجود هؤلاء كقوة ثقافية واجتماعية مؤثرة منذ منتصف الأسرة الثانية عشرة[3] على أقل تقدير وعليه نقترح إن دخول الهكسوس إلى مصر قد مر بمرحلتين أساسيتين هما: ـ

مرحلة التسرب التدريجي البطيء: والذي بدأ مع الأسرة الثانية عشرة

(1) H. R. Hall, Egyptian Chronalgy, Cambrge. Ancient History, I, 1923, P.169

(2) سليم حسن، مصر القديمة، جـ4، ص54، وكذلك: أحمد فخري، مصر الفرعونية، ص258، وكذلك: سيد توفيق، معالم تاريخ مصر، ص255، وكذلك: ايشسن دريتون، فانديين مصر، ص323.

(3) سليم حسن، مصر القديمة، جـ4، ص54. ويقول سليم حسن: إن ذلك يعود إلى عهد الملك سنوسرت 1906–1887 ق.م.

والتي شهد عهدها تحسناً كبيراً في علاقات مصر مع منطقة الشام ونشط التبادل التجاري والثقافي بين المنطقتين ثم ازدادت هذه الهجرة مع ضعف السلطة المصرية في عهد الأسرتين الثالثة عشرة والرابعة عشرة.

مرحلة الهجرة الكثيفة: وقد بدأت قريباً من التاريخ السابق، والذي يرتبط بغزو (حمورابي) للمدن العمورية في الشام، والذي نرى أنه قد ساهم في هجرة كثيفة للقبائل البدوية باتجاه وادي النيل وعندما شعروا بثقلهم الكبير في الوادي، وتحديداً في الدلتا الشرقية ظهر من بينهم ذلك القائد الذي ورد لدى (مانيثيون) باسم «ساليتس» والذي استطاع أن يفرض نفوذه على شمال مصر كلها مكوناً الأسرة الخامسة عشرة الهكسوسية.

إن هذا التصور يحل الاشكالية التي وقع فيها المؤرخون فالحد الأقصى لحكمهم يصبح مقبولاً عندما نتصوره يتمثل في الحكومات المحلية الوطنية والهكسوسية والتي تشمل الأسرات: الثالثة عشرة والرابعة عشرة والسادسة عشر والسابعة عشرة. أما الحد الأدنى فإنه يشمل الأسرة الخامسة عشرة والتي استطاع فيها ملوكها الستة إعادة توحيد البلاد تحت حكم الهكسوس والقضاء على الحكومات المحلية والمعلوم إن مدة حكم هؤلاء تقدر بحوالي (108) سنوات[1]، وهو ما يوافق قول غاردنر: أنه لم يكن للهكسوس سوى الملوك الستة الذين ذكرهم مانيثيون أما وصفه لهم بأنهم أول الحكام فهو وصف مضلل لأنهم كانوا أول الحكام وآخرهم أيضاً[2].

الهكسوس في ميزان التاريخ: مالهم وما عليهم:

إن أسوأ القضايا هي تلك التي يكون فيها الخصم حكماً كما أشار إلى ذلك شاعرنا الكبير (المتنبئ)، ورغم إن العقيدة المصرية القديمة حملت تقديراً كبيراً للحق والعدالة ووضعت لها (آلهة) خاصة هي (ماعت) بريشتها المشهودة

---

(1) سليم حسن، مصر القديمة، ج10، ص230.

(2) غاردنر، مصر الفراعنة، ص182.

إلا أن هذه الريشة يبدو أنها قد مالت عن الهكسوس مما دفعهم إلى (انياب) ذلك الوحش الأسطوري (الملتهمه) التي تفترس المذنبين والمجرمين فأوسعتهم نهشاً. كما إن الهكسوس لم يسلموا أيضاً من (أحفاد) ابن خلدون رغم تأكيده الكبير على ضرورة نقد وتمحيص الروايات التاريخية مما جعل هؤلاء يرسمون صورة مرعبة للهكسوس حتى ظهروا وكانهم قبائل وحشية متحجرة وحتى أولئك القلة الذين انصفوا الهكسوس[1] فانهم لم يتحرجوا من وصفهم بالغزاة المحتلين. فماذا قال هؤلاء؟ وهل كان ذلك حقاً؟.

أعتمد الذين هاجموا الهكسوس على ثلاثة مصادر رئيسة وهي: -

أ - رواية مانيثيون.

ب - قصص الملوك المصريين الذين (طردوا الهكسوس).

ج - الأثر الذي ينسب للملكة حتشبسوة.

أ - رواية مانيثيون.

يقول مانيثيون[2] في مجال التعريف بهم أنهم كانوا صاعقة غضب من الإله ويبدوا هذا التعبير مفهوماً باعتباره كان رجل دين يلجأ إلى تفسير هذه الأحداث باعتبارها غضب من الإله[3]، ولكن مجرد وصفه بأنه غضب يشير إلى عدم رضاه عن هذا الحدث ثم يضيف إنهم من أصل وضيع من الشرق وهو تعبير عن الاحتقار الذي ينظر به إليهم وأنهم قد أحرقوا المدن بوحشية، وأزالوا معابد الآلهة من أساسها[4]، وربما كان ذلك صحيحاً ولكن المؤرخ المنصف يعرف تماماً إن أية مواجهة بين قوتين متخاصمتين سينجم عنه ولا شك قدر من التدمير وقد تفاخر الفراعنة أنفسهم بما فعلوه كما نراه على

---

(1) وعلى رأسهم الباحث الكبير سليم حسن.

(2) وسنعتمد هنا على ترجمة سليم حسن، مصر القديمة، ج4، ص ص58 - 60.

(3) سليم حسن، مصر القديمة، ج4، ص58.

(4) المرجع نفسه، وكذلك الصفحة.

آثارهم منذ أقدم العصور (لوح نارمر على سبيل المثال) أما تدمير المعابد فإن ما فعله (اخناتون) أثناء دعوته الدينية، وما فعله خصومه بعد ذلك وهو مسجل وموثق تاريخياً فإنه ينهض دليل على تفشي تلك الظاهرة عند الفراعنة أنفسهم كما لا يفوتنا أن نشير إلى اعتراف (مانيثيون) الصريح بما قدمه الهكسوس للإله (ست) واهتمامهم بمعابده مثلما جاء في (بردية ساليبه): حيث تقول (وأسس للإله ست معبداً جميلاً ثابتاً)[1]، أما عن أسر الأطفال والنساء وقتل الرجال فنظن إنه لا يخلوا أثر من آثار الفراعنة منقوشاً كان أو مصوراً من مناظر مشابهة لذلك في حين أننا لا نجد أثراً واحداً يعود للهكسوس تظهر عليه مثل هذه الشواهد.

ب ـ من المثير إن موقف الملوك المصريين (الوطنيين) المعاصرين لحكم الهكسوس يبدوا أقل حدة من المصادر الأخرى فان كاموس على سبيل المثال، وهو ثاني ملوك الأسرة السابعة عشرة التي حاربت الهكسوس يصف خصمه الهكسوس بـ (الآسيوي ـ أي البدوي ـ الوضيع)[2]، وهو وصف أقل حدّةَ مما ورد عند مانيثيون بعد خمسة عشر قرناً، ويكتفي أحد قادته وهو (أحمس بن أبانا) بوصفهم بالعدو[3].

ج ـ ينسب للملكة حتشبسوة نقش على معبد (نخبت) ببني حسن تتحدث فيه عن أعمالها وقد جاءت ترجمته مختلفة جزئياً بين باحث وآخر حيث يترجمه برستد: اني أصلحت الخراب وأتممت ما كان ناقصاً قبل مجيء (الآسيويين) إلى أواريس في منطقة البلاد الشمالية، وكان بينهم وقتئذ من (البرابرة) من

(1) بردية ساليبه 1 عن برستد، تاريخ مصر، ص211، وهذه البردية عبارة عن تمرين مدرسي كتبه أحد الطلاب في القرن الثالث عشر ق.م وتصور الصراع بين الهكسوس والملك (سقنن رع) وقد اتخذها البعض مصدراً تاريخياً للصراع بين المصريين والهكسوس. انظر في ذلك : رمضان عبد علي، تاريخ مصر القديمة، ص35.

(2) غاردنر، مصرالفراعنة، ص190.

(3) المرجع نفسه، ص191.

صرفوا همهم في تخريب المباني جهلاً منهم بوجود المعبود رع[1]، أما غاردنر فيترجمه: كان الآسيويون في أفاريس في الشمال، وكانت من بينهم حشود تقوم بهدم ما سبق تشييده كانوا يحكمون بغير مشورة رع ولم يحدث إن تم التصرف طبقاً للأمر الإلٰهي حتى عصر جلالتي)[2].

ويعلق غاردنر على هذا النص بقوله إن الدعوى مبالغ فيها من غير شك وهي بعيدة عن الانصاف[3]، ورغم ذلك يبدو هذا النقد من الملكة معقولاً لأنه يشير إلى العامل الديني كشكل من أشكال الصراع بين الطرفيين من جهة، ولأنه يشير إلى أن بعض هؤلاء، وليسوا كلهم المسئولين عن هذا الدمار وإن كانت شواهد التاريخ تؤكد احترام وتقديس الهكسوس للإلٰه رع حتى إن بعض ملوكهم جعلوه صفة لهم.

أما عن موقف المؤرخين المعاصرين فيأتي على رأسهم الباحث اليهودي المتعصب (ايمانويل فلايكوفسكي) (Immanuel Velikovsky)[4] الذي يخالف

---

(1) برستد، تاريخ مصر، ص278.

(2) غاردنر، مصر الفراعنة، ص211.

(3) غاردنر، مصر الفراعنة، ص211. انظر كذلك الترجمة الكاملة لنصوص الملكة حتشبسوة في سليم حسن، مصر القديمة، ج4، ص348-350.

(4) وهو عالم طبيعي يهودي روسي، ولد بروسيا عام 1895م، درس في موسكو ثم هاجر إلى الولايات المتحدة واشترك مع (البرت اينشتاين) في اصدار مجلة عبرية ومات عام 1980م وقد اكتشف هذا الباحث الرفض القاطع من جانب الباحثين لروايات اليهود التاريخية الورادة في التوراة، وعدم وجود أية شواهد تاريخية تؤكدها خاصة في تاريخ مصر والرافدين والشام، وهو ما دفعه إلى محاولة اثباتها باخراج نظرية جديدة وخيالية في تفسير التاريخ تعتمد على ركيزتين أساسيتين هما : القول بحدوث كوارث كونية أثرت في تشكيل الحوادث التاريخية وافتراض خطأ جميع الباحثين التاريخيين السابقين في تسلسل الأحداث التاريخية مما جعلهم يضيفون ستة قرون إلى التاريخ الحقيقي للحوادث التاريخية وحسب هذا التصور فان الحوادث الغربية التي رافقت خروج اليهود من مصر إنما هي نتيجة ارتطام مذنب بالأرض، وإن أي حدث وقع عام 2000ق.م مثلاً فأنه يكون قد وقع عام 1400ق.م، وحسب هذا التصور فإن خروج اليهود ترافق مع دخول الهكسوس الذين اصطدموا بهم في صحراء سيناء، وحيث إن التوراة تورد صراع اليهود مع العماليق بعد خروجهم فإن العماليق هم الهكسوس ويقارن بين وصف مانيثيون لقسوة الهكسوس، ووصف التورات المزعوم لوحشية (العماليق) ليؤكد ذلك بل أنه يرى إن من أخرج الهكسوس (العماليق) من مصر هم اليهود وإن أحمس كان ضابطاً صغيراً تحت قيادتهم =

ابن عمومته يوسف اليهودي في كون اليهود هم الهكسوس حتى لا تلحق بهم أوصاف مانيثيون بل يجعلهم العماليق العرب المتوحشين ويسهب كثيراً في الحديث عن جرائمهم البشعة، ومجازرهم الشنيعة في مصر والشام وخاصة ضد اليهود الذين انتصروا عليهم وحرروا انفسهم وكذلك المصريين من هذا العدو الوحشي المتبربر[1].

وبنفس القدر من التجريح هاجم بعض الباحثين العرب الهكسوس فيقول أحدهم: إن الوثائق التي تتحدث عن طردهم كانت دروساً تلقى على الطلبة لتعريفهم بأبطالهم وأجدادهم الذين كانوا مجاهدين ضحوا بانفسهم في سبيل القضاء على المستعمر، وإن اهتمام هؤلاء ويعني الهكسوس بالمعابد ليس سوى مناورة سياسية وإن اتخاذهم أسماء مصرية ليس سوى وسيلة للمغالطة والتقرب من المصريين[2]، ويضيف: لم يكن لهؤلاء ثقافة ممتازة، وانهم قد استعاروا من المصريين حضارتهم، وحتى الآثار التي تركوها فلابد أن يكون فنانون (مصريون) هم الذين انجزوها[3]، ولم يكونوا كالمهاجرين السابقين الذين اعترفوا بالجميل لمصر وكان اعتناقهم للديانة المصرية شكل من أشكال الدعاية السياسية الاستعمارية لإرضاء ضعاف النفوس مثلما يفعل الاستعمار في العصر الحديث[4]، ولكل[5] ذلك ثار ضدهم الشعب المصري في حرب شعبية شارك فيها جميع القادرين على حمل السلاح حتى النساء[6].

ويقول باحث آخر: حاول هؤلاء ـ أي الهكسوس بث الفتنة بين

= وأن اليهود هم الذين حاصروا وهزموا الهكسوس في شاروهين، وبذلك صار العماليق محتلين واليهود محررين لمصر. للمزيد حول ذلك انظر: مؤلفه: عصور في فوضى، مقدمة المترجم ص17. وعن أهم مؤلفاته انظر: علي فهمي خشيم، بحثاً عن فرعون العربي ص307.

(1) مايكلوفسكي، عصور في فوضى، ص ص87 - 122.

(2) عبدالحميد زائد، مصر الخالدة، جا، ص578، 579.

(3) المرجع السابق، ص579.

(4) المرجع نفسه، ص630.

(5) ولا نظن إن هذه المصطلحات الحديثة لتصدق في وصف أحداث ذلك العصر.

(6) المرجع نفسه، ج2، ص9.

المصريين كما يفعل المستعمر في هذا الوقت[1] [2]، وكان المصريون على حق عندما وصفوهم بالطاعون والوباء وكراهيتهم لهم لأنهم اجتاحوا أرضهم واغتصبوا ملكهم ونهبوا أرزاقهم وآذوهم في دينهم ودنياهم وأذلوهم في أوطانهم فهل كان الهكسوس هكذا حقاً؟.

لم يعدم الهكسوس من يدافع عنهم اعتماداً على الحقائق التاريخية التي تظهر إن الصورة التي رسمها المصريون لهم كآسيويين متوحشين مثار شك كبير[3]، وأنهم يكفيهم تطوير ونشر الخط الهيراطيقي في عهدهم[4] [5] وإن مؤرخاً شهيراً مثل هيرودوت لم يشر على الاطلاق اليهم وإلى القصص التي تروي عنهم[6] [7]، مما يجعل ما روي عنهم شكل من أشكال الدعاية الملكية[8] التي برع فيها الفراعنة، وبالتالي فإنه لا يمكن تصديق إن جحافل قوية من الغزاة الآسيويين انحدروا كالاعصار فاحتلوا البلاد وانزلوا بأهلها كل لون من ألوان القسوة[9]، بل إن التدمير الذي قام به كامس كما يعترف به أضخم مما فعله المهاجرون الهكسوس[10].

---

(1) أحمد بدوي، في موكب الشمس، ج2، ص291.
(2) ويعني بذلك الاستعمار البريطاني الذي يحتل مصر آنذاك.
(3) جورج بوزنر، معجم الحضارة المصرية، ص348.
(4) المرجع نفسه، ص349.
(5) وهي المرحلة الثالثة من مراحل تطور الكتابة المصرية وتعرف بالكتابة الشعبية حيث تم اختصار
وتبسيط الرموز الكتابية مما ساهم في انتشار ظاهرة الكتابة بين عدد واسع من المواطنين بعد إن
كانت مقتصرة على طائفة محدودة من الكهنة والموظفين
(6) أحمد بدوي، مقدمة لكتاب : هيرودوت يتحدث عن مصر، ص34.
(7) يبدوا هذا الأمر مثيراً جداً فكيف يغفل هيرودوت عن حدث كبير كهذا في تاريخ مصر؟ ويحاول
أحمد بدوي أن يعلل ذلك بحجتين هما إن الكهان حاولوا تضليل هيرودوت وعدم البوح
بأسرارهم أو أنه اتصل بأقلهم معرفة فأعطوه صورة ناقصة مشوهة. إلا أن كلا التعليلين لا يبدوان
مقنعين، والمسألة برمتها ملفتة للنظر. للمزيد انظر محمد صقر خفاجة، هيرودوت يتحدث عن
مصر، ص34.
(8) جان فيركوتير، مصر، ص101.
(9) غاردنر، مصر الفراعنة، ص193.
(10) المرجع نفسه، ص193.

وعن رواية مانيثيون التي اعتمد عليها البعض في تشويه سمعة الهكسوس يقول برستد: إن هذه الرواية ليست سوى حكاية مسلية لاكتها الألسن، وليست من حقائق التاريخ في شيء، ولا تصلح لتعتبر مرجعاً علمياً تبني عليه معارفنا التاريخية إنها تحوي الكثير من الخرافة والغلو[1]. وهو يشترك في هذا الرأي مع غاردنر الذي يصف الرواية بأنها تقليد ثابت للكتابة التاريخية المصرية وهي المرحلة الأخيرة لعملية التزييف[2]. ويقول إن النص الذي ينسب لكاموسي لا يدل على جهوده في محاربة الهكسوس بقدر دليله على عدم خجله من جراء قسوته ضد مواطنيه[3].

ويعلق سليم حسن على حكم الهكسوس بقوله: إن ما وصف به المصريون الهكسوس إنما هي صفات يطلقها المغلوب على الغالب حيث لم يكن هؤلاء همجاً أو متوحشين كما تحدثنا التقاليد التاريخية بل كانوا مثقفين ذوي حضارة وعرفان نهلت مصر من موردهم واستنارت بمدنيتهم[4]، حيث ظهر تأثيرهم الثقافي منذ منتصف الأسرة الثانية عشرة[5]، ويضيف: إن المخلفات الأثرية تدل على أنهم قوم على جانب عظيم من المدنية بل كانوا أكثر تقدماً في بعض الميادين من أهل الوادي أنفسهم[6]، وكانوا حلقة الوصل بين وادي النيل وحضارة الشام وبلاد الرافدين[7]، ورغم كونهم من أهل البادية فان هناك ما يشير إلى رعايتهم للعلوم والفنون حيث إن أقدم مؤلف علمي مصري وصل الينا يعود لعصرهم وهو بردية (أدوين سميث) الطبية و(بردية رند) الحسابية[8].

---

(1) جيمس برستد، تاريخ مصر، ص210.
(2) غاردنر، مصر الفراعنة، ص193.
(3) المرجع نفسه، ص190.
(4) سليم حسن، مصر القديمة، ج4، ص، ز - ح من المقدمة.
(5) المرجع نفسه، ج4، ص54.
(6) المرجع نفسه، ج4، ص164.
(7) المرجع نفسه، ج10، ص228.
(8) فيليب حتي، تاريخ سوريا وفلسطين ولبنان، ص160. انظر كذلك: سليم حسن، مصر القديمة، ج2، ص358، 367 حول هاتين البرديتين. وكذلك: برستد، تاريخ مصر، ص215.

حرب التحرير المزعومة وطرد الهكسوس من مصر:

إن مراجعة دقيقة للوثائق التاريخية المتعلقة بهذه الفترة المتأخرة من حكم الهكسوس تطرح سؤالين مهمين هما: هل كانت هناك حقاً حرب تحرير بين المصريين والهكسوس؟ وهل أسفرت هذه الحرب عن طرد الهكسوس من مصر عن بكرة أبيهم؟ أو كل هكسوسي وهكسوسية كما علق أحد الباحثين[1].

اعتمد الباحثون حول هذا الموضوع على ثلاثة مصادر أساسية وهي (بردية ساليبه I) ولوح كارنافون، ورواية أحد ضباط أحمس وهو أحمس بن أبانا وكذلك على ما ورد لدى مانيثيون كما نقله عنه يوسف اليهودي وسوف نعرض لهذه المصادر باختصار وتقييم الباحثين لها.

أولاً: بردية ساليبه I:[2]

وهي عبارة عن تمرين مدرسي كتبه أحد التلاميذ يصور قصة صراع بين أحد أمراء طيبة وهو سقنن رع ورئيس الهكسوس أبو فيس حيث أرسل الأخير رسولاً إلى أمير طيبه يطلب منه أن يخلصه من أصوات أفراس النهر في البحيرة القريبة من قصره أي قصر سقنن رع لأنها تقلق راحة ابي فيس وحيث إن سقنن رع عجز عن تلبية هذا الطلب فقد اندلعت الحرب بين الطرفين كما يستخلص المؤرخين من هذه القصة وقد دعم هؤلاء استنتاجاتهم بالعثور على مومياء سقنن رع ويظهر عليها أثر جروح مما دعاهم إلى القول إنه قد قتل أثناء القتال ضد الهكسوس، وإنه بذلك أول ملك مصري يحمل راية القتال ضدهم لإخراجهم من مصر ولكن هذه الورقة خضعت لنقد كبير من جانب المؤرخين نجمله فيما يلي:

---

(1) علي فهمي خشيم، آلهة مصر العربية، جا، ص92.

(2) رمضان عبد علي، تاريخ مصر القديم، ص35، وهذه البردية واحدة من ضمن أربع برديات تحمل نفس الاسم، وتوجد حالياً بالمتحف البريطاني وأهم ترجمة لها وردت عند: وسنرمز له Gann & Gardiner (J.E.A.) The Journal of Egyptian Archeology, Vol. V.1918. P. 40

إنها ليست سوى تمرين مدرسي لأحد الطلاب كتبت في عهد متأخر جداً عن عصر الحدث الذي ترويه حيث تعود إلى الأسرة التاسعة عشرة أي بعد عدة قرون من عهد (سقننن رع)[1]، مما يضعف كثيراً من قيمتها التاريخية.

الإختلاف بين المؤرخين في ترجمة نص الوثيقة فبينما يرى البعض إن أبو فيس طلب من (سقننن رع) اسكات أفراس النهر[2] يرى آخرون أنه قد طلب منه أن يترك أفراس النهر تعيش في هدوء[3]، وتبدو الترجمة الأولى غير معقولة لأن أفراس النهر كانت صورة من صور الإله ست الذي قدسه الهكسوس[4].

ج - إن سقنن رع كما ورد في القصة قد أكرم رسول أبوفيس ووعده بان يستجيب لطلب أبو فيس، ويعلق دريتون على القصة بكونها شكل من أشكال الدعابة الفكرية التي كانت تدور بين ملوك الشرق على شكل الغاز يرسلونها لبعضهم البعض ويطلبون حلها لابراز ذكائهم وفطنتهم[5].

د- إن بقية القصة مفقودة تماماً ، ولذلك فلا أحد يعرف إجابة (سقننن رع) على طلب أبو فيس مما يجعل أي استنتاج مجرد رجم بالغيب ورغم ذلك قال بعض الباحثين إن سقننن رع بدأ حربه مع أبوفيس معتمدين في ذلك على مومياته التي تدل على إنه مات مقتولاً واستنتجوا من ذلك موته في الحرب ضد الهكسوس وهو ما يرفضه الكثير من الباحثين الذين يعتقدون إنه ربما مات اغتيالاً أو في حرب أهلية خاصة وإن إصاباته ترجحّ قتله وهو نائم[6].

هـ- يعلق الباحثان غاردنر وبرستد على هذه البردية بقولهما إنها تبدو خيالية[7]، وإنها قصة وهمية ومن إضافات ومبالغات ذلك العصر الذي كتبت فيه

---

(1) أحمد فخري، مصر الفرعونية، ص262.
(2) دريتون، فانديه، مصر، ص330.
(3) عبدالحميد زائد، مصر الخالدة، جا، ص626.
(4) بوزنر، معجم الحضارة المصرية، ص186.
(5) دريتون، فاندية مصر، ص330.
(6) جان فير كوتير، مصر، ص103، انظر كذلك: Gunn - Gardiner (J. E. A) op. cit, p. 43
(7) غاردنر، مصر الفراعنة، ص185.

القصة[1]. خاصة وإن هناك ما يؤكد إن أبوفيس قد زوج إحدى بناته وهي (حرّت) من أحد أمراء طيبة[2]. كما كانت الأسرة السابعة عشرة الطيبية أسرة متواضعة تحت سلطة أمراء الهكسوس[3].

ثانياً: لوح كارنافون[4]: - ويعود إلى الأمير كاموس ابن سقنن رع وفيه يتحدث إلى مجلسه عن عدم رضاه على كونه أميراً صغيراً، مثل أمير الهكسوس في الشمال والنوبة في الجنوب، ورغبته في محاربة هؤلاء ليصير له ملك مصر كلها، ثم يتحدث عن انتصاراته على (الآسيويين) في الشمال[5]، ثم عودته إلى طيبة، ويعلق سليم حسن على ما ورد في هذا اللوح بقوله: انه لا يعبر عن رغبته في محاربة الهكسوس بقدر ما يعبر عن رغبته في حكم مصر منفرداً مثلما يفعل الملوك السابقين[6] أي إن الصراع إن وجد فهو ليس صراعاً بين محتل ومحتل، بل بين أمراء متنافسين، ويشير باحث آخر إلى أن هذا اللوح لا يشير إلى حروب كامس بقدر اشارته إلى نواياه وأحلامه[7]، حيث إن مقبرته لا تدل على ملك قوي يمكنه أن يفعل ذلك بل إن ثنايا النقش تشير إلى العلاقات الودية بين الهكسوس والمواطنين وتعاونهم لما فيه مصلحة الطرفين[8]، والحديث عن الحرب لا يشير إلى الهكسوس مما قد يوحي بأنه كان يحارب آخرين

---

(1) برستد، تاريخ مصر، ص218.

(2) عبدالحميد زائد، مصر الخالدة، جا، ص626.

(3) رمضان عبده على : تاريخ مصر القديم، ج2، ص53.

(4) وهو لوح عثر عليه الأثري اللورد كارنافون في طيبة عام 1912م.

(5) Gardiner, Ancient Egyptian Onomastica, Oxford, 1947. p83 ونشير إلى هذا المرجع مختصر (Gandiner, Onom) ومما يجدر ذكره هنا إن مصطلح (Onomastica) يعود إلى كلمة يونانية تعني ترتيب الأشياء حسب أنواعها على هيئة قوائم بأسمائها دون اتباع التسلسل الأبجدي، وقد تناول (غاردنر) كل كلمة وردت في هذه القوائم بالتحليل والدراسة في ثلاثة مجلدات تحت عنوان السالف الذكر. للمزيد حول ذلك انظر : المرجع نفسه par. I, P.P. 4-5

(6) سليم حسن، مصر القديمة، ج10، ص238.

(7) رمضان عبده على، تاريخ مصر القديم، ج2، ص46.

(8) غاردنر، مصر الفراعنة، ص193.

غيرهم[1]، أي إن الحرب ـ إن وجدت ـ فقد كانت بين ملوك المقاطعات وعلى الأخص طيبة والوجه القبلي[2]، وكل ذلك جعل (دريتون) يشكك في النص برمته واصفاً إياه بأنه مجرد رواية منمّقة مثل بردية (ساليبه)[3].

ثالثاً: نقش أحمس بن ابانا: ـ رغم حرص ملوك مصر الشديد على تسجيل حروبهم وانتصاراتهم بل والمبالغة في ذلك إلا إن الملك أحمس الذي يوصف بأنه الحلقة الثالثة في سلسلة الملوك الذين حاربوا الهكسوس، وتم في عهده تحرير مصر منهم لم يترك أي أثر يشير فيه إلى حربه لهم، ورغم اكتشاف مقبرته فان كل ما وجد عليها ليس سوى تمجيد لأمه، ودورها في قيادة البلاد، وحكمتها وحب الشعب لها.

أما النص الذي اعتمد عليه المؤرخون في نسبة الانتصار الأخير لأحمس فيعود لأحد ضباطه وهو (أحمس بن ابانا) والذي نقشه على قبره مشيراً فيه إلى قصة حياته، ودوره في المعارك التي خاضها أحمس ضد أعدائه[4] من الهكسوس وغيرهم واستيلائه على عاصمتهم (أواريس) ثم تتبعهم حتى مدينة (شاروهين) في الشام، والتي تحصنوا فيها بعد طردهم من مصر، ومن ثم فتحها بعد حصار دام ثلاث سنوات[5] وتشتت شملهم وينتهي بذلك حكمهم لمصر.

ويستكمل هذه الصورة المؤرخ مانيثيون الذي يشير إلى احتلال (أواريس) والمفاوضات مع الهكسوس حين يقول: بعد إن هزم الأعداء تحصنوا في أواريس فحاصرهم الملك واستسلموا بشرط السماح لهم بالرحيل إلى حيث شاءوا دون أن يتعرضوا لأية مضايقة فغادر منهم (240) الف وعبروا الصحراء

(1) عبدالحميد زائد، مصر الخالدة، جـ1، ص626.
(2) برستد، تاريخ مصر، ص218.
(3) دريتون، فانديه، مصر، ص331.
(4) سليم حسن، مصر القديمة، جـ4، ص ص143-145.
(5) Breasted. (A. R. E) II, Par. 1016

إلى سوريا حيث بنوا هناك مدينة كبيرة أسموها أورشليم[1]، وهي المدينة التي ذكرتها المصادر المصرية باسم شاروهين.

هل طرد الهكسوس من مصر؟ إن الإجابة عن هذا السؤال تقتضي منا الاشارة إلى الحقائق الآتية:

أ - إن هؤلاء قد بدوا يتسربون إلى الوادي منذ فترة مبكرة جداً أي منذ منتصف الدولة الوسطى كما مر بنا سابقاً.

ب - أنهم قد انتشروا انتشاراً واسعاً في مصر وخاصة في الدلتا، وجزءها الشرقي على وجه الخصوص.

ج - إنهم قد صاروا ذو قوة وشأن حتى حكم قادتهم مصر منفردين طوال عهد الأسرة الخامسة عشرة على الأقل.

د - إن أعدادهم كانت كبيرة حتى إن احدى مدنهم وهي أواريس كانت تضم (240) ألف جندي دون النساء والأطفال طبعاً مع عشرات الحاميات الأخرى التي أشارت إليها المصادر التاريخية.

هـ - إن قصة طردهم كما رواها مانيثيون تشير إلى خروج 240 ألف جندي هم جنود حامية أواريس مع اعطائهم الحرية في الذهاب إلى حيث يشاوون، ولكنه لا يشير الى أعدادهم الأخرى التي انتشرت في مناطق مصر الأخرى فأين ذهب هؤلاء؟ لا شك إن الاجابة المنطقية على ذلك انهم انصهروا في الحياة المصرية[2]، وصاروا من مواطني الوادي أسوة بغيرهم من السكان واستوعبتهم أرض النيل كما استوعبت الهجرات السابقة وربما كان منهم فراعنة مصر في المستقبل كما سوف نرى لاحقاً[3] ومما يؤكد ذلك إن أحمس قد واجه ثورتين داخليتين بعد

---

(1) Josephus, Against Apion, Op. Cit, P. 88-90 وهذه العبارة خير دليل على وجود هذه المدينة قبل ظهور اليهود كقوة سياسية في المنطقة وهو ما يدحض ادعائهم بانها مدينة يهودية.

(2) أحمد حسين، موسوعة مصر، جا، ص88.

(3) مرجريت مرى، مصر ومجدها الغابر، ص66.

عودته من فتح مدينة شاروهين يعتقد إن بقايا الهكسوس وأنصارهم هم الذين أشعلوهما أو شاركوا فيهما[1].

---

(1) احمد فخري، مصر الفرعونية، ص272. انظر كذلك : سليم حسن، مصر القديمة، جـ4، ص200، وكذلك: مرجريت مرى، مصر ومجدها الغابر، ص55.

المبحث الرابع

أثر الهجرات الليبية والهكسوسية

بينما كان وادي النيل يستقبل أفواج الهجرة الشرقية التي عرفناها تحت اسم الهكسوس، والذين نرجح أنهم العموريين كما مر بنا سابقاً كانت في نفس الوقت تستقبل هجرات غربية وجنوبية قام بها من عرفوا باسم الليبيين، وذلك في فترة ما عرف بعصري الانحلال الأول والثاني، والذي أشرنا أيضاً إلى أنهما في الحقيقة متطابقان تماماً حتى رأينا إنهما عصراً واحداً متصلاً من مرحلتين فصل بينهما فترة قصيرة من الازدهار السياسي للحكم المركزي ممثلاً في الأسرة الثانية عشرة الأهناسية وقبل أن نخوض في هذا الموضوع ينبغي الإشارة إلى بعض الملاحظات الهامة التي نراها ضرورية لاعطاء صورة صادقة له ومنها:

أ - ضآلة المعلومات التاريخية المتعلقة بهذه الفترة - كماً وكيفاً - حتى وصفه البعض بأنه أشد عصور التاريخ المصري ظلاماً من حيث مادته التاريخية المتوفرة[1].

ب - إن هذا الواقع هو الذي دفع بعض الباحثين وعلى رأسهم عالم المصريات الشهير (آلن غاردنر) إلى التعبير صراحة عن حاجة الباحث

(1) جان فير كوتير مصر، ص45.

في هذا الشان إلى قدر كبير من الحدس والتخمين[1]، وهو ما قد يبدوا مناقضاً لصرامة البحث العلمي وشروطه، وإن كنا سنلجأ إليه أسوة به.

ج - ضرورة التخلص من وهم بعض المصطلحات والمفردات غير الدقيقة لاعتبارات متعددة، والتي قد تغري باستنتاجات غير صحيحة أو بعيدة عن سياق العصر ومنطق الأحداث ومنها على سبيل المثال مصطلح (الليبيين) الذي يرد للتعبير عن بعض القبائل غرب وجنوب الوادي في هذه الفترة والذي يصفه الباحث المذكور سالفاً بأن هذه التسمية في الواقع تسمية غير صحيحة ولا تتمشى مع تسلسل الأحداث التاريخية[2]، لأن القبيلة المشهورة المعروفة بهذا الاسم (ليبو) سمع عنها لأول مرة في عصر (مرنبتاح) 1225ق.م[3]، ويمكننا أن نفهم مقدار اللبس في استعمال هذا المصطلح لو افترضنا مثلاً إن باحث في التاريخ الإسلامي يشير إلى قبائل بني هلال وبني سليم باسم (السعوديين) لأن المنطقة التي هاجروا منها صارت تعرف الآن أي بعد أكثر من ألف سنة من هجرتهم باسم العربية السعودية، وكذلك مصطلح (نحسي) وهي التسمية المصرية لأهل النوبة والتي يفسرها البعض بمعنى (السود) واقترانها بالزنوج في حين أنها لا تشير إلا إلى السمرة التي تطبع أهل تلك المنطقة نتيجة لطبيعتها المناخية ولا تشير إلى أية صلة لهم بالزنوج[4]، وقد دفع ذلك بعض الباحثين إلى ارجاع التسمية المصرية (نحسي) إلى العربية (نحاس) والتي تجمع بين الحمره والسمرة، وهو اللون الحقيقي لهؤلاء[5].

---

(1) آلن غاردنر، مصر الفراعنة، ص172.

(2) Gardiner, A. H., Egyptian of the pharaohs, Oxford, 1961. P.35 ونشير إليه مختصر (E. P)

(3) Gardiner, (Onom) OP. Cit, P.121

(4) Arkell, J. A, Ahistary of the Sudan to 1821. AD, university of London, 1961, P.22 ونرمز له بالرمز بـ (H. S.).

(5) علي فهمي خشيم، آلهة مصر، جا، ص60.

لقد أدركنا سابقاً ما يمكن إن تجره تلك المسميات مثل وصف الهكسوس بأهل البلاد الأجنبية مما جعل الباحثين يطلقون عليهم صفة (الغزاة المحتلين).

1 ـ تدفق الهجرات من الغرب والجنوب نحو وادي النيل:

يقول جواد علي في موسوعته تاريخ العرب قبل الإسلام في اطار حديثه عن العلاقة بين البدو والحضر: لقد لاقت القبائل البدوية مقاومة وعنتاً شديدين من الحكومات التي حكمت العراق والشام ووادي النيل فقد وقفت تلك الحكومات منذ الدهر الأول لها بالمرصاد ولم تسمح لها بالتوغل في أراضيها التي تحكمها حكماً فعلياً. . . ، وربما نصبوا منهم حرساً يمنع القادمين الجدد من البادية. . . . ، وجعلت معهم أحياناً حاميات وقادة من تلك الحكومات. . . وربما حفرت لهم الآبار وأرسلت من يفض النزاعات بينهم ويحافظ على الأمن[1]، ورغم ذلك فإن البدو كانوا يقتنصون كل فرصة ضعف في تكوين هذه الدول لتحقيق حلمهم بالوصول إلى منابع الماء ومواطن الكلأ لذلك فقد كان من الطبيعي إن تتدفق الهجرات البدوية نحو الوادي مع ظهور علامات الضعف في السلطة المركزية في مصر، والتي يجمع المؤرخون على إنها قد بدأت تظهر منذ نهاية الأسرة السادسة.

لقد صورت لنا بردية ايبور ذلك بتعبيراتها المباشرة في اطار وصفها لأحوال مصر في تلك الفترة ومن ذلك قولها: أتت إلى مصر قبائل (أجنبية)[2] فأصبح بدو الصحاري مصريين في كل مكان[3]، وتقول أيضاً: اقتحمت البلاد قبائل غريبة[4] من وراء الحدود[5]، ويمكننا مع قليل من الاجتهاد أن نبين حجم تلك الجموع البشرية التي تدفقت إلى الوادي فعلى سبيل المثال يقدر

---

(1) جواد علي، المفصل، جـ1، ص55.

(2) أي من خارج الوادي.

(3) عبدالحميد زائد، جان ديفس، علاقات مصر، ص86.

(4) أي انها غريبة على سكان الوادي بالطبع.

(5) مايكلوفسكي عصور في فوضى، ص64.

بعض الباحثين عدد الهكسوس بحوالي ربع مليون إنسان في اواريس فقط[1]، فإذا أضفنا اليهم من هاجر من الجنوب والغرب والذي يبدو أنه كان كبيراً بحكم تأثيرهم السياسي في هذه الفترة، واذا صدقنا بعض التقديرات التي ترى إنّ عدد سكان الوادي لم يزد في ذلك الوقت عن (مليون) نسمة[2] لأدركنا إن وصف ايبور كان صادقاً تماماً، وإنّ سكان الوادي صاروا قطرة في بحر زاخر بالمهاجرين البدو، وتزيد البردية توضيح هذا الأمر عندما تقرر إن قبائل التحسي والتمحو واللجا والماجوى، والذين كانوا من قبل جنود فرعون بدأوا ينهبون البلاد، وحيث كان التمحو هم من يعرفون بالليبيين الجنوبيين فإن هذا يعني أنهم كانوا مع غيرهم من هذه القبائل يؤلفون جزء مهم من جيش السلطة الفرعونية إلا أن ضعف السلطة جعلهم يتمردون عليها ومما يؤكد ذلك ما قام به (أوني) في عهد ببيي الثاني عندما اعتمد على هؤلاء في حملته لمحاربة البدو الشرقيين[3]. واذا كان التمحو قد عرفوا منذ أقدم العصور لدى أهل الوادي، إلا أن حدثاً جديداً قد طرأ على الموقف في الجنوب والذي يتمثل في تلك الهجرة الكثيفة التي انطلقت باتجاه الشمال مكتسحة بلاد النوبة وسارت بمحاذاة النيل من الجهة الغربية ووصلت حتى الشلاّل الأول وهم الذين أطلق عليهم الباحثين قوم المجموعة ج (C. GROUP) وهي التسمية التي تشير إلى عدم العثور على اسم محدد لهم مما جعل الباحثين ينقسمون حول أصولهم إلى فريقين أثنين فبينما يعتقد البعض بأصولهم الأفريقية وإنهم قادمون من الحبشة كما يرى (يانكر)[4]، إلا أن الرأي الآخر يشير إلى أنهم لا يمكن أن يكونوا سوى التمحو أو بعض القبائل التي تنتمي إليهم ويستندون في ذلك إلى عدة حجج تبدو مقنعة، ومنها إنهم لم يكونوا زنوجاً[5]، وإن فخارهم يشابه

(1) علي فهمي خشيم، آلهة مصر العربية، ص93.

(2) رمضان عبد علي، تاريخ مصر القديم، ج2، ص19.

(3) Arkell, (H. S) op. cit. P45.

(4) محمد بيومي مهران، المغرب القديم، ص107.

(5) فوزي فهيم جاد الله، مسائل في مصادر التاريخ الليبي، ص65.

فخار (وادي هوى)[1] رغم إن هذا الفخار أكثر دقة من فخار وادي هوى، وهو ما يمكن تفسيره بتطور صناعتهم مع اقترابهم من الوادي وتأثرهم بصناعته[2]، ويؤكد أوريك بتيس هذا الرأي[3] مشيراً إلى أنهم ليسوا سوى التمحو معللاً ذلك بطريقة الدفن، وأشكال المقابر وكيس العورة، والشعر المرجل والريشة، وكذلك تقديس الموتى وكلها ظواهر تشير إلى هذا الأصل ويدعم آركل هذا الرأي[4]، من خلال حفرياته الأثرية في المنطقة، ولعل ما اكتشف في جرمة بالجنوب الليبي ما يشير إلى صحة هذا الرأي خاصة وإن الآراء تتفق على إنتشار التمحو على مساحة واسعة من الصحراء تمتد من فزان وحتى النوبة والجنوب الغربي من مصر ويشير آركل إلى أن انتشار هذه المجموعة في الفترة الممتدة منذ نهاية الأسرة السادسة وحتى نهاية الأسرة الثانية عشرة، والتي تترافق مع دورة الجفاف الذي أصاب الصحراء الكبرى قد يدعم فكرة كونهم هم التمحو[5] ويبدو للباحث إن عدم وجود تسمية لهم في المصادر المصرية قد تزيد التأكيد على كونهم من التمحو لأنه من المستبعد أن تسكت هذه المصادر عن الإشارة إلى قوم غرباء يدخلون الوادي دون أن تسميهم، ويقترب (دريتون) من هذا الرأي عند ما يشير إلى أن قوم المجموعة (ج) قد استغلوا ظروف الفوضى والصراع على السلطة مع نهاية الأسرة السادسة[6]، وهو ما يشير إلى أنهم كانوا على دراية بالأوضاع الداخلية في مصر ولعل ما يعزز هذا الرأي أيضاً التشابه الكبير بين التمحو ومن عرفوا في وقت متأخر باسم

---

(1) يقع هذا الوادي على بعد (400 كم) جنوب غرب الشلال الثالث، ويرتبط بطريق رئيسي عبر سليمه وحتى منطقة العوينات ثم إلى مدينة جرمة القديمة في الصحراء الليبية. انظر : محمد سليمان أيوب، جرمة، ص199.

(2) سليم حسن، مصر القديمة، ج7، ص67.

(3) Oric, Batis, The Eastern Libyans, London, 1970, PP. 246-252 ونشير إليه (E.L)

(4) Arkell, (H. S) op. p.49

(5) Arkell (H. S) OP. CIT. p51.

(6) دريتون، فانديه، مصر، ص241.

(الكوشيين)، حيث وجدت مخلفات كثيرة في مقابر هؤلاء ترجع لأصول (تمحية) إن صح هذا التعبير، إضافة إلى أن كل النصوص التي تركها أهل كوش لا تشير إلى التمحو رغم تواجدهم في نطاق جغرافي واحد مما يدل على إنهم هم التمحو[1]، والمعروف إن الكوشيين هم الذين تنسب اليهم الأسرة الخامسة والعشرين، والتي تتفق معظم الآراء على وصفها بالأسرة الليبية.

إذا رجحنا إن قوم المجموعة (ج) هم التمحو خاصة وإن الباحث الكبير سليم حسن يشير إلى أن آثارهم تدل على علاقات وثيقة جداً بمصر منذ أقدم العصور وإن عددهم كان كبيراً جداً فاننا نستطيع أن ندرك الأثر السياسي والاجتماعي الواسع الذي أحدثته هجرتهم نحو الوادي وإنتشارهم الواسع الذي يشير إليه (غاردنر) من شمال غرب الدلتا وحتى طرابلس إلى بلاد النوبة[2] عند حديثه عن التمحو والذين يقول عنهم أنهم يشبهون أهل الوادي جنساً وثقافة وإن وصفوا بالأجانب[3]، وهذا التصور الذي يضعه (غاردنر) قد يجد تأييده في عدم تمييز المصادر المصرية بين التمحو والتحنو نتيجة لاختلاط الفريقين مع تقدم التمحو شمالاً نحو الدلتا[4]، ويظهر ذلك عند الحديث عن حملة سنوسرت الأول ضد بدو الصحراء الغربية، وكما ورد في قصة سنوحى[5]، واذا صح هذا الافتراض وهو معقول تماماً على ضوء ما قدمناه سابقاً فانه يعني إن الجزء الغربي من الوادي من البحر شمالاً وحتى النوبة جنوباً صار (ليبيا) حسب المفهوم المعاصر ويبدو إن هذا الزحف قد وصل إلى قمته عند الأسرة الثامنة

---

(1) محمد سليمان أيوب، جرمة، ص33.

(2) Gardiner, (Onom) OP. Cit, P.115-116. انظر أيضاً : سليم حسن، مصر القديمة، جـ7، ص63.

(3) Gardiner, (E. P) OP. Cit, P.33

(4) سليم حسن، مصر القديمة، جـ1، ص414. انظر أيضاً نجيب ميخائيل إبراهيم، مصر والشرق الأدني القديم، جـ1، ص227.

(5) سليم حسن، مصر القديمة، جـ3، ص188.

مما دفع بعض الباحثين (بترى) كما يقول سليم حسن إلى القول إن غزواً من الجنوب قد حدث في نهاية الأسرة الثامنة[1]، وإن هؤلاء (الغزاة) هم مؤسسوا الأسرتين الحادية عشرة والثانية عشرة كما يظهر أسمائهم.

أما من ناحية الغرب والذي تركزت فيه معظم القبائل الليبية التي ورد ذكرها في المصادر المصرية فإن أفضل ما يمكن أن نبدأ به ذلك التعليق الذي يورده سليم حسن عند استعراضه لتاريخ العلاقة بين الطرفين حين يقول لم تكن ليبيا (لوبيا) التي تظهر علاقاتها بمصر في ظاهرها مثل العلاقة بالدول الأخرى حيث تسود المنازعات الحربية أو استخدام الجنود (اللوبيين) كمرتزقة، ولكن العلاقات الداخلية الأصلية التي كانت تربط أحد البلدين بالآخر منذ عهد ما قبل التاريخ كانت تتعدى تلك العلاقات السياسية الظاهرة ذلك لأن المصري نفسه لم يكن يميز ذلك الشريط الضيق من الأرض الزراعية الذي كان يربط بلاده بجارتها (لوبيا) قط، وكذلك كان الحال في أعين (اللوبيين) فلم يكن في استطاعة (لوبي) أن يميز الحد الفاصل بين بلاده وبين مصر[2]، ومن هذا المنطلق يمكننا بسهولة الاستنتاج بأن تراخي قبضة السلطة المركزية قد فتح الباب واسعاً أمام تدفق تلك القبائل التي ورد ذكرها منذ البدايات الأولى لنشأة الدولة المصرية كطرف رئيسي كانت تتصارع معه، ويمكننا أيضاً الاستنتاج بأن المنطقة التي كانت أكثر ملائمة لاتجاه تلك الهجرات وهي منخفض الفيوم ومصر الوسطى خاصة وإن ذلك المنخفض كان بحكم موقعه محطة رئيسية في طريق المهاجرين من الصحراء باتجاه الوادي وكانت طبيعته وامكانياته تغري بالاقامة فيه من حيث:

أ ـ وفرة مياهه وجودة أراضيه.

ب ـ بعده عن المنطقة الزراعية على شاطئ النيل حيث يتركز نفوذ الدولة المصرية.

---

(1) سليم حسن، مصر القديمة، جـ1، ص413.

(2) سليم حسن، مصر القديمة، جـ7، ص16 – 17.

ج ـ قلة عدد سكانه مقارنة بالأراضي الأخرى القريبة من الوادي.

د ـ المعرفة الجيدة لأهل المنطقة الصحراوية بهذا المكان منذ عهود قديمة.

حيث كان كما ذكرنا نقطة أساسية في طريقهم نحو الوادي ويؤكد ذلك الباحث (بترى) (W. M. F. Petrie) عندما يقول إن هجرة جاءت من الغرب عن طريق الفيوم في العهد الأول ـ أي عصر الانتقال الأول ـ واستقرت في الوادي[1]، اضافة إلى نقطة أخرى كانت تحتل نفس الأهمية وهي واحة (الفرافرة) التي كانت مركزاً أساسياً لطرق القوافل والمهاجرين بين وادي النيل والأقاليم الليبية[2]، ويبدو إن هؤلاء المهاجرين كانوا من الكثرة والقوة بحيث تمكنوا من أن يكونوا سادة الأسرة التاسعة والعاشرة كما يرى سليم حسن[3]، عندما يؤكد أن اللوبيين سيطروا على مصر الوسطى وأسسوا الأسرتين سالفتي الذكر وهو نفس الاستنتاج الذي يصل إليه باحثون آخرون بتأكيدهم على الأصول (الأجنبية) لملوك هاتين الأسرتين[4] أو الإشارة الواضحة اليهم باعتبارهم (ليبيين)[5] وقد يدعم هذا الرأي اتخاذ هاتين الأسرتين الإله (حرشف) إلهاً رسمياً لهم وهو بحسب كونه (إلهاً ليبياً)[6]، بل إن الموقف العدائي الذي يظهر لدى المؤرخ مانيثيون، ووصفه لمؤسس تلك الأسرة[7] بالقوة والبطش والجنون، قد يؤكد ذلك مثلما فعل مع ملوك الهكسوس.

لعل في وصف أحد ملوك الأسرة العاشرة وهو (خيتي الرابع) للبدو ما

---

(1) W. M. F. Petrie, History of Egypt, I, London, 1924, P.126

(2) محمد بيومي مهران، المغرب القديم، ص109.

(3) سليم حسن، مصر القديمة، جا، ص414.

(4) أحمد بدوي، في موكب الشمس، ج2، ص17، انظر ما سبق بخصوص معنى مصطلح (أجنبي).

(5) أحمد فخري، مصر الفرعونية، ص170.

(6) عن هذا الإله وعلاقته بالليبيين انظر : علي فهمي خشيم، بحثاً عن فرعون العربي، ص ص331-338.

(7) أحمد فخري، مصر الفرعونية، ص169.

يشير إلى انتمائه لهم[1] أو حسب تعبير غاردنر انه كانت له علاقة ما بهم[2] كما إن معظم أسماء هاتين الأسرتين تبدو غير مصرية[3] والملاحظ في هذا الشان إن معظم الباحثين الآن يرفضون تقسيم مانيثيون ويعتبرون الأسرتين أسرة واحدة كما ورد في بردية (تورين) حيث لا يوجد أي أساس يمكن الركون إليه في تقسيم هذا العهد إلى أسرتين[4].

إن ما ذكرناه آنفاً يمكن أن ينطبق كذلك على الأسرتين الحادية عشرة والثانية عشرة. أما عن الأسرة الحادية عشرة فقد كانت كما هو معروف معاصرة للأسرة العاشرة تقريباً حيث قامت جنوبها في (طيبة) وظلت في الحكم حوالي (90) عاماً وقد خاضت صراعاً مع هذه الأسرة العاشرة وهو الصراع الذي يوصف بأنه صراع بين أهناسيا وطيبة وهما مركز الأسرتين، وكان ذلك الصراع إيذاناً بشعور طيبة بقدرتها على منافسة أهناسيا بعد أن ظلت زمناً خاضعة لها[5] ومما يلفت للنظر في هذا الصراع ما كتبه (أخيتوي الرابع) في وصيته السابقة الذكر والتي يشير فيها إلى حملته على الجنوب أي (طيبة) وندمه الشديد على ما قام به، بل وتعبيره عن احساسه بالذنب تجاه تلك الحرب ووصيته لابنه بأن يحسن معاملة الجنوبيين، وهي ظاهرة لا نجد لها مثيلاً في تاريخ الفراعنة الآخرين مما قد يدعم فرضية الأصل الواحد لهاتين الأسرتين خاصة وإن مؤسس الأسرة الحادية عشرة الذي اتفق عليه المؤرخين في ترتيبهم الحديث

---

(1) وقد ورد ذلك في بردية تعرف بنصائح أو وصايا إلى (مرى كارع) وهو ابن أخيتوي الرابع، وقد وجد هذا النص مكتوباً على أربع برديات توجد واحدة منهن في متحف الارميتاج بمدينة (لينينغراد) والأخرى (بموسكو) وثالثة في (كوبنهاغن). انظر : سيد توفيق معالم تاريخ مصر الفرعونية، ص193.

(2) غاردنر، مصر الفرعونية، ص137.

(3) من ذلك على سبيل المثال اسم أول ملوك الأسرة العاشرة (مرى) والذي يذكرنا بالقائد الليبي (مرى بن دد) في وقت لاحق.

(4) سيد توفيق، معالم تاريخ مصر، ص189.

(5) أحمد فخري، مصر الفرعونية، ص187.

وهو(منتوحتب الثاني)[1] كان من أم نوبية كما يقال أي من نفس المنطقة التي غزاها قوم المجموعة (ج) كما ذكرنا سابقاً أثناء اندفاعهم ناحية الشمال ورغم قلة المعلومات عن هذه الأسرة نتيجة للتدمير الكبير الذي أصاب آثارها[2]، إلا إن بعض ما تبقي منها يمكن أن يلقى بعض الضوء ومن ذلك على سبيل المثال إن (منتوحتب الثاني) هو الذي حسم الصراع مع أهناسيا واستطاع توحيد البلاد كلها حتى اعتبر هو المؤسس الحقيقي لهذه الأسرة[3]، ومن الآثار الأخرى المتبقية مقابر الأميرات اللاتي كن يؤلفن الحريم الملكي، ومنهن (سادة) و(عاشيت) و(مايت)، ومن هذه المقابر استخلص بعض الباحثين معلومات بسيطة منها على سبيل المثال مناظر الأبقار التي وجدت في قبر (الأميرة كاويت) وهي تشبه تماماً الأبقار الأفريقية[4] والتي تظهر على رسوم الصحراء الكبرى والتي يمكن أن يكون قوم المجموعة (ج) التمحو قد نقلوها معهم أثناء هجرتهم شمالاً، ومن ذلك أيضاً مناظر مقبرة الأميرة (كمسيت) والذي يصفه سليم حسن بأنه من أهم هذه المقابر حيث تبين الرسوم عدد كبير من اتباع الأميرة نساءً ورجالاً وهم يظهرون باللون الأصفر والذي يفسره هذا الباحث بأنه إشارة إلى (اللوبيين) حتى إنه يقول أن ذلك يقود إلى القول إن المنطقة كانت مكونة من المصريين واللوبيين[5] الذين يصفهم بأنهم (عنصر أجنبي) غزا البلاد، ومن

---

(1) هناك خلاف كبير بين المؤرخين حول الملوك الذين تبدأ بهم هذه الأسرة حيث كان الرأي السائد إنها تبدأ بالملك (انتف الأول) وعدد آخر من الملوك يحملون نفس اللقب لكن الباحثين يعتقدون إن هؤلاء ليسوا سوى أمراء كانوا تحت حكم ملوك الأسرة العاشرة وإن الأسرة الحادية عشرة تبدأ بمنتوحتب الثاني كما يوجد خلاف كبير حول ترتيب ملوك هذه الأسرة. انظر : سليم حسن، مصر القديمة، ج3، ص4-7. وكذلك أحمد فخري، مصر الفرعونية، ص187 وما بعدها. وكذلك سيد توفيق، معالم تاريخ، ص195 وما بعدها.

(2) سليم حسن، مصر القديمة، ج3، ص37. هامش (1).

(3) سيد توفيق، معالم تاريخ مصر، ص198.

(4) سليم حسن، مصر القديمة، ج3، ص42.

(5) المرجع نفسه، ص44.

الآثار الأخرى أيضاً لوحة هرم أحد ملوك الأسرة الذين حملوا اسم (انتف) والذي صور ومعه كلابه الخمسة، وكلها من أصل (لوبي)، ويعلق سليم حسن على ذلك بقوله إن هذه الكلاب لم ترسم عبثاً[1]، كما يلاحظ كثرة عدد الجنود اللوبيين والنوبيين، والذين يظهرون في المقابر[2] على هيئة عائلات كاملة مما يستبعد معه أن يكون هؤلاء (مرتزقة) كما تسميهم بعض المصادر خاصة إن معظم فرق الجيش والشرطة، وخاصة المكلفة بحراسة العاصمة كانت منهم[3] ومنها أيضاً تلك الصورة التي تظهر منتوحتب وهو يقرب إليه زعيماً ليبياً هو(حرواش) كما هو منقوش على جدران معبده[4].

إن الملفت للنظر في تاريخ هذه الأسرة خلوه من أية حملات عسكرية ضد المناطق الجنوبية أو الغربية رغم إنتشار الآثار التي تدل على نفوذهم في هذه المناطق ورغم وصف الباحثين لوجودها بأنها دليل على حملاتهم على تلك المناطق، إلا أنه ليس هناك ما يسند هذا الاستنتاج، ومنها على سبيل المثال ما ينسب لأحد قادة الأسرة عن قيامه باجبار سكان (واوات) على دفع الجزية[5]، وكذلك حديث قائد آخر عن حملة قام بها (منتوحتب الثاني) في المناطق الجنوبية[6]، والتي يؤكد فيها استقرار الأمور هناك، أما الأثر الثالث فهو الذي يسجل حدثاً يبدو غير تقليدي وهي زيارة (منتوحتب الثاني) لتلك المنطقة هو وعائلته[7]، أما من الناحية الغربية فلا نجد سوى أثراً واحداً ربما يشير إلى موقعة حربية بين منتوحتب وقبيلة التحنو[8]، وإن كنا نستطيع أن نفهم هذا الحادث

(1) المرجع نفسه، ص24. انظر أيضاً : علي فهمي خشيم، آلهة مصر، جـ1، ص205. حيث يقدم تحليلاً وافياً لأسماء هذه الكلاب الليبية الأصل والتسمية.

(2) سليم حسن، مصر القديمة، جـ3، ص52.

(3) عبدالمنعم عبدالحليم، حضارة مصر القديمة، ص84.

(4) سليم حسن، مصر القديمة، جـ3، ص36.

(5) Arkell. (H. S) OP. Cit. p.56 See olso. Breasted (A. R.E) Ipar: 472

(6) Gardiner, (Onom) OP. Cit, p.121

(7) Arkell (H. S) OP. Cit. p.58

(8) Breasted (A. R.E) OP. Cit, I, par: 423

على ضوء صراع هذه الأسرة مع الأسرة العاشرة التي يرجح المؤرخون انها تعود إلى اللوبيين الغربيين كما مر بنا سابقاً.

أما الأسرة الثانية عشرة فقد كانت لدى المؤرخين حداً فاصلاً بين عهدين باعتبارها نهاية لعهد الفوضى الأول وإن كنا نرجح إن العهد الثاني يعتبر امتداداً للأول بحكم التطابق الكامل بين العهدين كما وضحناه في المبحث السابق وإن عهد الأسرة الثانية عشرة لم يكن سوى محاولة صغيرة للخروج من ذلك العهد بما شمله من فوضى وعدم استقرار وزوال للسلطة الموحدة.

لقد كانت هذه الأسرة امتداداً طبيعياً لحكم الأسرة السابقة لها، ولعل ما رجحه المؤرخون حول حادثة وصول مؤسسها للحكم وهو (امنمحات الأول) خير دليل على ذلك حيث كان أحد قادة (منتوحتب الثالث) الذي أرسله في بعثة إلى الصحراء ولكنه عاد مع جنوده ليستولي على السلطة ويؤسس هذه الأسرة ثم يعمل على تبرير مشروعه هذا عن طريق نبؤته المشهورة (نبؤة نفر روهو)(1)، ومن المناسب في هذا المقام إن نشير إلى بعض العلامات التي تخدم بحثنا هذا أو المتعلقة بهذه الأسرة ومنها إن مؤسسها كان نوبي الأصل أيضاً(2)، لكن مدلول هذه الصفة بات يحمل معاني أخرى حيث الاختلاط الكبير بين أهل النوبة الأقدمين، والمجموعة(ج) التمحو حتى صارت العلامات المميزة لهؤلاء هي السائدة في المنطقة وما جاورها شمالاً(3).

لذلك فان القول بأصل (امنمحات النوبي) يصير مرادفاً لقولنا بانه ليبي -

---

(1) كتبت هذه البردية وفق أرجح الآراء في عهد امنمحات الأول مؤسس الأسرة وإن كان كاتبها يعيدها إلى عهد (سنفرو) من الدولة القديمة، ومن أهم ترجماتها انظر:
Gardener, New Literary Works From Ancient Egypt, (J. E.A) VI, 1914 P. P 100-106

(2) زينب محمود عبدالعال، الأفريقيون في الآثار المصرية، ص546.

(3) زينب محمود عبدالعال، الأفريقيون في الآثار المصرية، ص564، وتضيف الباحثة إلى ذلك قولها: يمكن القول إن أهل النوبة والقبائل الليبية صاروا يمثلون مجموعة واحدة من خلال التشابه في الأزياء والزينة، مثل أقراط الأذن عن الرجال، وقلائد الصدور وتزيين الرسخ والعضد، والوشم، والريش. المرجع نفسه، وكذلك الصفحة.

خاصة وإن المهاجرين الجدد كانوا أكثر عدداً وقوة من السكان الأوائل للنوبة ـ ومن العلامات الأخرى إن نبؤة (نفر روهو) تشير إلى عزم امنمحات على محاربة أعدائه ومن ضمنهم التحنو، ولكنه يكتفي بذلك الأسلوب الذي وصف بأنه (السلام المسلح)، والمتمثل في اقامة القلاع والحصون ذات الوظيفة الدفاعية في غرب الوادي وشرقية وكذلك في الجنوب[1]، ويبدو إن امنمحات قد أحس بفشل هذه السياسة فأرسل ابنه (سنوسرت) لمحاربة الليبيين وهي الحرب المشئومة حيث تعرض أثنائها للاغتيال في قصره ومن غير المستبعد أن يكون المعارضين لسياسته في القصر هم وراء ذلك العمل.

ازدهار حضارة الوادي في عهد الأسرة الثانية عشرة:

من العلامات البارزة في عهد هذه الأسرة ذلك الازدهار الكبير للحضارة المصرية إلى درجة جعلت البعض يرى أنها فاقت جميع المراحل السابقة واللاحقة[2] أي عصري الانحلال الأول والثاني، ويبدو هذا الأمر غريباً إذا ما عرفنا انها قد قامت بعد عهد من الانحلال والتفكك السياسي، ورغم إن لكل حضارة عصرها الذهبي فإن بلوغ هذا القدر من الازدهار في مثل هذه الظروف يحتاج إلى تفسير، ويمكننا إن نفسر ذلك بأنه نتيجة للدفق البشري الهائل الذي اجتاح الوادي من جهاته الثلاث حاملاً معه إرثه الحضاري وقدراته الابداعية التي رفدت حضارة الوادي وأوصلتها إلى هذه الدرجة من التطور ولدينا أمثلة عديدة على دور الانفتاح الثقافي والاجتماعي مهما كانت أسبابه في نضج وازدهار الحضارة، ومنها الحضارة العربية الإسلامية التي بلغت قمتها عندما حدث الانفتاح الواسع على الحضارة الفارسية واليونانية والصينية والهندية في العصر العباسي.

---

(1) أحمد فخري، مصر الفرعونية، ص218. انظر أيضاً: Breasted (A. R. E) op. cit. part; 472-473

(2) جيمس هنري برستد، تاريخ مصر، ص169. انظر كذلك: مايكلوفسكي، عصور في فوضى، ص38، وكذلك عبدالعزيز صالح، مصر والشرق الأدنى، ص182.

لاحظ الباحثون اتجاهاً جديداً في تفكير السلطة العليا في الدولة الوسطى وهو العمل على انجاز مشاريع عامة يستفيد منها عامة الشعب بدلاً من الاهتمام بتسخير موارد الدولة للأغراض الشخصية، ومنها على سبيل المثال مشروع منخفض الفيوم في عهد امنمحات الثالث[1]، وحفر الآبار وتعمير الصحراء ومحاولة توطين القبائل البدوية[2].

اذا كان بعض فراعنة هذا العصر ينتمون إلى المهاجرين البدو كما تفترض بعض الآراء التي ذكرناها سابقاً فإن بعضهم الآخر قد وصل إلى مراكز كبرى في مصر بالاضافة إلى كون الجيش وقادته من القبائل النوبية واللوبية، فقد وصل بعضهم الآخر إلى وظيفة حكام الأقاليم مثل الأمير (سبني) الليبي، حاكم (القوصية)[3] في عهد امنمحات الأول والذي اكتشفت مقبرته في جبانة (مير) على طريق القوافل بين واحة الفرافرة والنيل[4]، ووصول هذا الرجل إلى منصب كهذا لن يعتمد بالطبع على جهوده الشخصية فقط بل كذلك على دعم من أنصاره ما يشير إلى تكاثر هؤلاء في هذا الاقليم وبعض الأقاليم الأخرى، ومن الأدلة غير المباشرة على ذلك ملاحظة بعض الباحثين من الخلط بين أسماء القبائل مثل التحنو والتمحو، والذي فسره البعض بانه خطأ من كاتب النص[5] وهو تعليل لا يمكن الركون إليه في نص رسمي مثل هذا لأن هذه النصوص

(1) جيمس هنري برستد، تاريخ مصر، ص190.

(2) عبدالعزيز صالح، مصر والشرق الأدنى، ص174. انظر أيضاً : ايتين دريتون، فانديه مصر، ص314.

(3) تقع القوصية على ترعة الإبراهيمية على بعد 60كم شمال أسيوط وكانت تسمى قديماً (قيس) وهي عاصمة الإقليم الرابع عشر. للمزيد انظر : محمد بيومي مهران، الحضارة المصرية القديمة، جا، الاسكندرية، 1989م، ص164، 165.

(4) محمد بيومي مهران، المغرب القديم، ص109. انظر كذلك : زينب محمود عبدالعال، الأفريقيون، ص546.

(5) Bates, OP, Cit, P.252 وقد ورد ذلك في رواية سنوهي. انظر كذلك: سليم حسن، مصر القديمة، جـ4 ص61.

ذات طابع رسمي ولابد أنها تحتاج إلى اعداد وتحضير جيد يستبعد معه الخطأ[1]، والتعليل الأقرب للصواب أنه تعبير عن احساس الكاتب بالمعنى الواحد للكلمتين نتيجة لامتزاج هذه القبائل مع بعضها البعض، ويشهد على ذلك اختفاء الملامح المميزة لهم في نقوش الملك منتوحتب حتى لم يعد ممكناً تمييز قبيلة عن أخرى[2]، بل ظهرت تسمية جديدة موحدة لهم وهي (أهل الغرب)[3]، وصارت بعض التسميات تدل على الأماكن أكثر من دلالتها على الناس[4]، والواقع إن هذا الاختلاط والامتزاج لم يحصل بين القبائل اللوبية فقط بل شمل أيضاً اختلاطها الواسع بقبائل أخرى مثل أهل النوبة والكوشيين حتى قيل إن هؤلاء الآخرين بدوا يشكلون مع التمحو كتلة بشرية واحدة كما تشير إلى ذلك مخلفات مقابرهم التي تعود لأصول ليبية[5]، بل وشكل تلك المقابر الهرمية وهي نفس المقابر التي تظهر بعد ذلك في جرمة[6].

أدرك فراعنة هذا العصر ضرورة تحسين علاقاتهم بالقبائل البدوية نتيجة لاحساسهم بدورها الكبير في الدولة، ومن ذلك تقديس آلهتهم مثلما فعل اممحنات الرابع من خلال نقوشه التي عثر عليها في أماكن متفرقة ومنها نقوش صحراء سيناء والتي جاء في بعضها:

إن على الجميع تقديس الإله (سبد) رب المشرق، وعلى كل زائر تقديم القرابين له وفي نقش آخر يوصف الملك بانه محبوب (سبد) رب المشرق ومحبوب (حتحور) وفي نقش ثالث يدعو لاكرام حتحور ونيت وسبد، ورب الأراضي الجبلية والمعروف إن هذه الآلهة تعود لبدو الصحراء الشرقية وكذلك

---

(1) آيدرس بل، مصر من الاسكندر الأكبر، ص31.
(2) محمد بيومي مهران، المغرب القديم، ص75.
(3) المرجع نفسه، ص75.
(4) المرجع نفسه، ص69.
(5) محمد سليمان أيوب، جرمة، ص33.
(6) المرجع نفسه، ص34، 85.

المناطق الغربية[1] ولاشك إن احترام أي إله أو عبادته يعود بالدرجة الأولى إلى نفوذ أتباعه وقوتهم، كما يعود إلى شعور هؤلاء الحكام بأن تلك المناطق كانت تعتبر جزء من الدولة المصرية[2]، ويعبر عن هذه الحقيقة أحد الباحثين بقوله: إن الدولة المصرية كانت ترى في أقليم برقة تابعاً قانونياً لها وكانت سيوة وآلهها آمون الرابط المشترك بينهما[3]، وهذا الأمر ينطبق على الجهات الأخرى. شمل هذا الاهتمام النواحي الادارية والأمنية فظهر على سبيل المثال منصب (مراقب الصحراء الغربية) ومدير صيادي الصحراء، واتجهت نحو هذه المناطق حملات لم تكن عسكرية في طابعها بقدر ما كانت لتحقيق الأمن والهدوء فيها ومحاربة الخارجين عن القانون، والعمل على إقامة حكم محلي فيها[4].

لقد أدت هذه الأوضاع الجديدة إلى نتائج اقتصادية أيضاً استفاد منها معظم الأطراف فانتشرت صناعات بعض المناطق في كل البلاد مثل فخار النوبة الذي ازداد بكثرة وتجاوز الحدود حتى سوريا[5]، كما استعانت الدولة باليد العاملة البدوية مثلما هو الحال في المحاجر والمناجم والمعابد والبيوت المصرية، وخاصة في سيناء حيث كان معظمهم من العموريون[6]، وقد برز كذلك تعاون وثيق في المجال التجاري وخاصة التجارة البحرية مع الكنعانيين بالشام[7]، والذي كان له نتائج ثقافية تمثلت في انتشار الخط الكنعاني حتى افتخر بعض الناس من أهل الوادي بأنهم يجيدون خط (الحاونبو) وهي صفة مصرية للكنعانيين[8]، وقد ساعد ذلك على انتشار جاليات كثيرة من أهل الوادي

---

(1) سليم حسن، مصر القديمة، جـ3، ص ص350 - 351.
(2) سليم حسن، مصر القديمة، جـ2، ص268.
(3) غوليالم نارادوتش، استطيان برقة، ص48.
(4) محمد بيومي مهران، المغرب القديم، ص111.
(5) سليم حسن، مصر القديمة، جـ3، ص216
(6) عبدالعزيز صالح، مصر والشرق الأدنى، جـ1، ص197.
(7) المرجع نفسه، وكذلك الصفحة.
(8) دريثون، مصر، ص287.

في مناطق الشام لرعاية مصالحها التجارية مما أسهم في تمتين العلاقات الدينية بانتشار عبادات وآلهة الطرفين[1]، بل ووصل ذلك التأثير إلى حد انتشار الأسماء المحلية لكل منطقة في المناطق الأخرى[2].

لقد كانت الدولة الوسطى ومضة عابرة بين مرحلتين مظلمتين من ناحية المادة التاريخية المتوافرة وبانتهائها دخل الوادي المرحلة الثانية والتي استعرضنا ملامحها عند الحديث عن الهجرة الشرقية (الهكسوس) فهل كانت هناك علاقة ما بين الهجرتين؟. من المؤسف إن الأثر التاريخي الوحيد الذي يشير إلى هذه العلاقة هو تلك الحادثة التي وقعت في عهد الأسرة السابعة عشرة والتي وقعت أثناء الصراع بين سقنن رع، وأبو فيس وتتمثل في القبض على رسول أبوفيس إلى حاكم النوبة الذي كان يمر عبر الواحات الغربية، والذي كان يحمل عرضاً بالتحالف بين الطرفين ضد أسرة سقنن رع في طيبة[3]، مما يشير إلى علاقات وثيقة بين سكان الواحات والنوبة من جهة وأهالي شرقي الدلتا من جهة أخرى، ورغم ذلك فان الصورة العامة لكلا المرحلتين تدفع إلى الاعتقاد بعلاقات وثيقة فان ما طرحناه سابقاً عن الأصول البدوية الغربية أو الجنوبية للأسر التاسعة والعاشرة وربما الحادية عشرة والثانية عشرة، ولأن الأسرة الخامسة عشرة كما عرفنا كانت من المهاجرين الهكسوس كما كانت الأسرات الثالثة عشرة والرابعة عشرة والسادسة عشرة والسابعة عشرة تمثل حكومات متعاصرة من أهل الوادي والهكسوس، وإذا كانت الجهات الغربية من الوادي قد شهدت تدفقاً للمهاجرين من الغرب والجنوب، والجهات الشرقية بعد ذلك للهجرات الشرقية فإن النتيجة المنطقية لذلك هو إن منطقة الوادي صارت مجتمعاً مشتركاً من حضر الوادي وبدو الصحراوين

---

(1) عبدالعزيز صالح، مصر والشرق الأدنى، ص196.
(2) المرجع نفسه، ص195.
(3) سليم حسن، مصر القديمة، ج3، ص128.

الشرقية والغربية ومناطق النوبة والشام مثلما كانت في العصور السابقة، وربما قادت هذه الحالة إلى ذلك التطور السياسي الكبير في الدولة المصرية في العهد اللاحق عندما تحولت من دولة محلية إلى قوة إقليمية فيما عرف بعصر الأمبراطورية، وهو ما سوف نتناوله في الفصل اللاحق.

3

الفصل الثالث

الليبيون في الدولة الحديثة

المبحث الأول: الأسرة الثامنة عشرة

المبحث الثاني: الأسرة التاسعة عشرة والثورة الليبية الأولى

المبحث الثالث: الأسرة العشرين والثورة الليبية الثانية



المبحث الأول

الأسرة الثامنة عشرة

الخروج من الوادي:

ظلت الدولة المصرية منذ ظهورها على يد (مينا) وحتى بداية الدولة الحديثة أسيرة ذلك الشريط الأخضر الضيق من وادي النيل ولم يزد نفوذها خارجه عن الرحلات التجارية أو الحملات العسكرية المحدودة في بعض مناطق النوبة أحياناً حتى صارت المناطق المحيطة بذلك الشريط مناطق أجنبية في عرف تلك الدولة، إلا إن هذا الوضع السياسي لم يكن يعني شيئاً لسكان الوادي أو المناطق المجاورة الذين مارسوا حركتهم الطبيعية داخل الوادي وخارجه فكانت الهجرات الغربية والجنوبية والشرقية تندفع بين الحين والآخر نحو الوادي مؤثرة ومتأثرة بأحداثه السياسية خاصة في عهود ضعف الدولة المركزية كما مرّ بنا سابقاً.

كانت الهجرة الهكسوسية فيما يبدو قد أحدثت تغييراً عميقاً في رؤية قادة الدولة المصرية تجاه المناطق المحيطة بالوادي، وهو الأمر الذي أدى في النهاية إلى دخول هذه الدولة عصراً جديداً هو عصر الامبراطورية كما يسميه البعض، وقد وضع أساس ذلك الفرعون أحمس. إن هزيمته للهكسوس لم تعني اخراجهم من الوادي بقدر ما تعني بداية هذه المرحلة، لقد كان يكفيه أن يسيطر

على أواريس ويعلن نفسه حاكم الأرضين أو أن يقيم بعض القلاع والحصون على حدود الوادي الشرقية كما فعل أسلافه ليتقي خطر المهاجرين البدو من الشرق ولكننا نراه يندفع شرقاً إلى أعماق الشام واضعاً بذلك الخطوة الأولى في بناء صرح علاقة جديدة بين دولة الوادي والمناطق المتاخمة لها.

مظاهر السياسة الجديدة:

لقد عبرت هذه السياسة الجديدة عن نفسها في مظهرين أساسيين:

أولهما: التوسع الخارجي عن طريق الحملات العسكرية وخاصة في الشرق والجنوب والتي كان نتائجها ضم الشام فعلياً إلى الدولة وما ترتب عنه من قيام علاقات اقليمية ودولية بين هذه الدولة والدول الأخرى، أما في الجنوب فقد كان نتيجة ذلك (تمصير النوبة) إن صح التعبير.

ثانيهما: التدخل الواسع في شئون القبائل والجماعات التي تقطن التخوم المجاورة للوادي وخاصة في الغرب وهو الأمر الذي أدى إلى المواجهات العنيفة والثورات المتعددة وذلك ما سوف ندرسه في هذا الفصل.

أحمس والليبيين:

لا يجد الباحث إشارات واضحة عن طبيعة العلاقة بين الدولة الجديدة وبين القبائل الليبية، ولكن يمكن الإشارة إلى بعض الحوادث ومنها:

محاولة ملك الهكسوس (أبوفيس) أثناء صراعه مع كاموس والد أحمس عقد تحالف مع النوبة لمحاصرة المملكة الطيبية وسقوط رسول أبوفيس في يد رجال كاموس(1) ومما يلفت النظر في هذا الأمر ان الرسول قد اتخذ طريقة عبر الواحات الغربية ، وهي مكونة في معظمها من القبائل الليبية مما قد يحمل في طياته إشارة إلى تحالف ضمني بين سكان المنطقة وبين الحكومة الهكسوسية

---

(1) جان فيركوتير، مصر ص104. وكذلك: أحمد فخري، مصر الفرعونية، ص266. وكذلك: رمضان عبد علي تاريخ مصر القديم، ص43. وكذلك : بوزنر، معجم الحضارة المصرية، ص342.

ضد حكومة طيبة أو أنها على الأقل لم تكن تشعر بالعداء تجاه الهكسوس أثناء صراعهم مع الحكومة الطيبية، ولعل في حملة كامس على تلك الواحات واحتلالها دليلاً على شعوره بالخطر من جانبها[1] وهذا الخطر تلمحه في عهد خليفته (أحمس) حيث تشير المصادر التاريخية إلى أنه قد واجه ثورتين عنيفتين بعد عودته من الشام عندما كان يحاصر مدينة شاروهين الهكسوسية، ويرى بعض المؤرخين إن هاتين الثورتين قام بهما بقايا الهكسوس والمتحالفين معهم[2]، ولن نجد بالطبع من يمكن أن يتحالف معهم سوى القبائل الليبية وإن كان بعض الباحثين يصف هؤلاء بأذناب الاستعمار[3].

ربما أدرك أحمس إن الحرب ليست هي الحل الوحيد الممكن ومن هنا اقترن بتلك المرأة التي أنجبت له ابنته المسماة (أحمس حنة تمحو) أي أحمس سيدة التمحو[4] مما يشير طبعاً إلى إن أمها من قبيلة التمحو الليبية، وهذا ما يقود إلى الاستنتاج بوجود ملك خاص لليبيين في غربي الدلتا وإن أحمس قد اقترن بابنة أحد ملوكهم ليضمن ولاءهم[5]. ويمكننا أن ندرك أهمية هذا الحدث عندما نعرف إن (أحمس حنة تمحو) هي والدة الملكة حتشبسوة فيما بعد، ونشير هنا إلى افتراض بعض الباحثين[6] وجود امرأتين تحملان اسمين متشابهين وهما الأميرة السابقة الذكر وأخرى هي (أحمس حنة تامحو) أي إن ما بين الاسمين لا يعدو (حرف الألف) في (تامحو)[7] بينما يذكر آخرون إن الاسمين

---

(1) أحمد فخري، مصر الفرعونية، ص167.

(2) سليم حسن، مصر القديمة، ج4، ص200 – 201. وكذلك : أحمد فخري، مصر الفرعونية، ص272.

(3) عبدالحميد زائد، مصر الخالدة، ج2، ص8.

(4) سليم حسن، ج4، ص359، 360.

(5) سليم حسن، مصر القديمة، ج3، ص360.

(6) يشير سليم حسن إلى إن (دارسي) هو من قال بوجود اثنتين. انظر : سليم حسن، مصر القديمة، ج3، ص61. انظر كذلك : تاريخنا، الكتاب الأول، ص134.

(7) من المعروف إن حرف الألف في الكتابة الهيروغليفية من حروف العلة الضعيفة التي كثيراً ما تسقط كما انه استعمل كحركة للدلالة على الفتح. انظر : برستد، العصور القديمة، ص46، 47.

متطابقين وانهما من أصل واحد لفظاً ومعنى[1]، وما يؤكد ذلك إن هذه الأميرة تظهر وهي ترتدي لباس الرجال وهي عادة سائدة لدى التمحو وهو ما نشاهده أيضاً في صور (حتشبسوة) بعد ذلك[2]. لكن سليم حسن يرفض هذه الفكرة، ويقول أن ما فعلته حتشبسوة ـ أي ظهورها بمظهر الرجال ـ يعود إلى أن مصر لم يحكمها إلا الرجال[3] إلا أن هذا التفسير مردود من واقع التاريخ المصري الذي شهد عدد من الملكات غير حتشبسوة. هذا إلى أن وجود أميرات ليبيات في تاريخ مصر، ليس أمراً مستغرباً بل أنه يعود إلى عصور بعيدة كما نراه في عهد خوفو أشهر فراعنة الدولة القديمة، وأياً كان الأمر فإن كلا الفرضين يشير إلى نفوذ ما لليبيين في غرب الدلتا وشمالها[4] في عهد أحمس.

أمنحتب الأول:

وقد تولى السلطة بعد وفاة والده أحمس ولا تشير المصادر التاريخية إلى أية مواجهات عنيفة مع الليبيين في عهده سوى ما ذكره أحد الضباط المصريين الذين عاصروا عهده وهو (أحمس بن نخبت)[5] الذي يذكر: أنه رافق ملك الوجه القبلي والبحري وقد أحضر له من شمال (يامو) التابعة لحقول (كهك)[6] ثلاث أيدي[7]، ويحدد (شامو) موقع (كهك) بأنها بين مريوط وواحة سيوة[8]، ويبدو من خلال هذه الرواية أن الحملة لم تكن سوى عملية عسكرية محدودة

---

(1) المرجع السابق، ص361.

(2) المرجع نفسه، ص360.

(3) المرجع نفسه ص362.

(4) حسين عبدالعال مراجع، العلاقات الليبية الفرعونية، ص96.

(5) عاصر هذا الضابط عهود أحمس وأمنحتب الأول وتحتمس الثالث وسجل بعض الوقائع التي اشترك فيها على جدران مقبرته.

(6) وهذه أول إشارة لهذه القبيلة وردت بعد ذلك في بردية (انسطاسي) في عصر رمسيس الثاني ضمن الفرق العسكرية المصرية، وكذلك في عهد مرنبتاح ويبدو أنهم كانوا تحت نفوذ قبيلة (الليبو) على سواحل برقة. للمزيد انظر : تاريخنا، الكتاب الأول، ص112.

(7) شامو، الأغريق في برقة، ص39.

(8) المرجع نفسه والصفحة كذلك. انظر أيضاً: Breasted (A. R. E) OP. Cit. P.42

بينما يذكر (ماسبيرو) إن (كهك) هاجمت بجرأة المقاطعات الغربية من الدلتا[1]، فنظم الفرعون حملته العسكرية للتصدي لهم وربما نجد سنداً لذلك ما يرويه ضابط آخر وهو (أحمس ابن أبانا) من أنه رحل سيده خلال يومين عبر النهر عائداً بسرعة إلى الشمال من النوبة لمواجهة الخطر هناك وهو خطر لا يمكن أن يكون إلا من الليبيين كما يقول برستد[2].

وفيما عدا ذلك فليس هناك أي ذكر للأعمال الحربية في عهده سواء تجاه الليبيين أو مناطق أخرى. ويبدو أن أمنحتب قد صفا له الجو لاعادة أعمار البلاد وتوطيد العلاقة بين رعاياها[3].

تحتمس الأول:

ليست هناك أية إشارة واضحة عن الموقف في فترة حكم تحتمس الأول تجاه الليبيين ولكن بعض الباحثين[4] يذهبون إلى أن تحتمس الأول قد قام بحملة عسكرية على قبيلة (أقبت) الليبية إلا أن العبارة التي وردت فيها هذه الكلمة لا توحي بأية حملة عسكرية فهو يقول فيها (ليصبح سكان الرمال والبرابرة الذين يمقتهم الإله وسكان جزر البحر وقوم (رتحو قبت خداماً لها)[5]، أي لمصر[6]، والواقع أن هذا النص قد يعبر عن خضوع سكان هذه الأقاليم لسلطته أكثر مما يعبر عن حملات عسكرية على تلك المناطق ومما

---

(1) سليم حسن، مصر القديمة، ج4، ص233.

(2) برستد، تاريخ مصر، ص258.

(3) أحمد فخري، مصر الفرعونية، ص276.

(4) Bates (E. L) OP.Cit. P. 231، بينما يذكر سليم حسن إن هذه المعركة كانت في عهد تحتمس الثاني انظر مصر القديمة، ج4، ص297.

(5) سليم حسن، مصر القديمة، ج4، ص257

(6) وهي أول مرة يذكر فيها اسم هذه القبيلة في المصادر المصرية، وذلك في النص الذي يشير إلى حروب بلاد النوبة كما ذكرت هذه القبيلة على لوحة تعود لأمنحتب الثالث موجودة الآن بالمتحف المصري، ويبدو إنهم سلالة تجمع بين النوبيين والليبيين، انظر : تاريخنا، الكتاب الأول، ص107.

يدعم ذلك أن الضابطين (ابن أبانا) و(بن نخبث) واللذين سجلا أحداث الملوك الذين عاصروهما تخلو نقوشهما من أية إشارة إلى هذا الحدث.

استمرت الأوضاع هادئة بين الطرفين في عهدي كل من تحتمس الثاني والملكة حتشبسوة كذلك وإن كان البعض يظن كما رأينا قبل قليل قيام حملة عسكرية في عهد تحتمس الثالث ضد قبيلة (رتحوأ قبت)، وأنها لم تكن في عهد تحتمس الأول حيث يشير أحد النقوش التي عثر عليها في واحة الفرافرة التي تقع على بعد 200 كم غربي أسيوط إلى قيامه بحملة عسكرية على قبائل المنطقة ومنها التي تسكن هذه الواحة[1]، أما خليفته (حتشبسوة) فقد اكتفت فيما يبدو بتحصيل الجزية من القبائل الليبية مثلما أشارت نقوش مدينة طيبة[2]، حيث تقول: أحضرت لي جزية تحنو من عاج علاوة على سبعمائة ناب من أنياب الفيلة، وعدد كبير من جلود الفهود البالغ طول كل منها خمسة أقدام وعرضها أربعة أقدام[3]، وقد كان من الطبيعي أن تهدأ الأحوال في عهدها نتيجة لاهتمامها بتوثيق علاقات مصر مع القبائل والأقطار المجاورة مثلما يظهر في رحلتها الشهيرة إلى بلاد بونت، وإذا صدقنا عباراتها الواردة على نقوشها فإن حكمها كان مقبولاً من عامة الشعب وخاصة الجنود الذين نعلم إن معظمهم من الليبيين حيث يقول أحد نصوصها كان الجنود يأتون طائفة بعد أخرى يرقصون ويقفزون وقلوبهم فرحة،وقد أعلنوا اسم جلالتها ملكه[4]، وتقول (ليس لي عدو في أي بلد) وكل البلاد خاضعة لي . . . وحدودي الغربية بعيدة جداً حتى جبال مانوا[5] [6]، وهي عبارة واضحة في دلالتها على الهدوء في الجهة الغربية وقد يعود ذلك إلى صلة النسب من جدتها الليبية زوج أحمس الأول.

(1) سليم حسن، مصر القديمة، ج4، ص297.
(2) شامو، الأغريق في برقة، ص39. انظر كذلك: Bates (E. L) OP. Cit, p.95
(3) برستد، تاريخ مصر، ص278.
(4) سليم حسن، مصر القديمة، ج4، ص318.
(5) المرجع نفسه، ص341.
(6) (مانوا) جبل أسطوري اعتقد المصريون إن الشمس تختفي خلفه عند المغيب.

تحتمس الثالث:

إن السياسة التي وضع أسسها أحمس الأول تجاه بلاد الشام وجدت تطبيقها الواضح في عهد هذا الفرعون المحارب تحتمس الثالث، حيث اتجه ببصره نحو تلك المنطقة ليخوض سبع عشرة حملة عسكرية على اماراتها المتعددة التي توحدت تحت زعامة أمير قادش والذين بلغ عددهم (320) أميراً عام (22) من حكمه[1]، ومن أشهر حملاته معركة (مجدّو) التي انتهت بهزيمة أمير قادش وفراره. ورغم هذه الهزيمة فقد أعاد هذا الأمير معارضته لتحتمس مما دفعه لشن حملة عنيفة على مدينته وتدميرها في السنة (30) من حكمه والتي وصفها بأنها لقتل الخائنين ومكافأة الموالين[2] في تعبير صريح عن سياسة الدولة بجعل المنطقة تحت السيادة المصرية المباشرة، وكان بذلك قد وجه الضربة الأخيرة لقوة الهكسوس في المنطقة.

من الغريب إن هذا القائد المحارب لم يقم بأي نشاط عسكري تجاه الغرب، مما يشير إلى إن الأحوال كانت هادئة تماماً في عهده في هذه الجهات مثلما كان عليه الحال في عهد سلفته (حتشبسوة) ورغم اعلانه بأنه قد خضعت له قبائل الليبيين متذللين تذلل الكلاب رجاء أن يمنحوا نفس الحياة[3]. كما جاء على نقشه بمعبد (بوهن) بوادي حلفا إلا أنه لم يكن في حاجة كما يبدو إلى العمل العسكري لتحقيق هذا الغرض لقد فرض تحتمس الثالث نفوذه على الواحات غربي النيل[4]، وعهد بادارتها الى موظف يدعى (انتف) وكان من الواحات وهو الذي عرفُ بلقب حاكم طيبة وقسم الواحات[5]، وبما كان هذا العمل كافياً لضمان هدوء الأحوال في المنطقة في عهده.

---

(1) سيد توفيق، معالم تاريخ مصر، ص277.
(2) المرجع نفسه، ص277.
(3) سليم حسن، مصر القديمة، ج4، ص412.
(4) برستد، تاريخ مصر، ص298.
(5) المرجع نفسه، ص302.

إن كهنة آمون قد عبروا في الانشودة التي وضعت لتكريمه بعد وفاته عن ما قام به في هذه المنطقة كما ورد في هذه القصيدة: هأنذا قد جئت وأبحت لك أن تضرب الغرب . . . هأنذا قد جئت وأبحت لك أن تضرب الليبيين. . [1]، لكن هذه الأمنيات لم تتحقق فيما يبدو لأن الظروف لم تكن تستدعي ذلك وهكذا فان نشاط هذا الفرعون قد تركز في الجزء الشرقي من المناطق التي صارت خاضعة للدولة مع بعض الحملات المحدودة على النوبة، وهو مما جعله يصف نفسه بقاهر البلاد الأجنبية[2]، ويمكن أن نستنتج من هذه السياسة إن الدولة المصرية قد دخلت في هذا العهد مرحلة جديدة من سياستها، وهو ما أشرنا إليه سابقاً بتحولها إلى قوة إقليمية كبرى لهذا فإن الجهد الأساسي قد تحول إلى هذه المناطق التي كانت خطاً فاصلاً بين قوى سياسية اقليمية متصارعة، ومنها الميتانيين الذين كانوا يدعمون ويحرضون بعض أمراء الشام ضد السلطة المصرية حتى أن بعض هؤلاء الأمراء قد تحالفوا معهم[3].

من الملاحظات المهمة في هذا المجال إن الجحافل العسكرية التي كانت تخرج من الوادي في عهد تحتمس الثالث للقيام بعملياتها العسكرية، كانت تقابل بجحافل من المهاجرين تسير في الاتجاه الآخر نحو الوادي للاستقرار فيه حيث شهد عصره استقرار عدد كبير من هؤلاء المهاجرين من الشرق والغرب على حد سواء في الوادي[4]. وهو ما يؤكد أن الحملات العسكرية لم تكن موجهة ضد سكان هذه المناطق بقدر ما هي عمليات اقتضتها طبيعة الصراع السياسي بين القوى السياسية المؤثرة في ذلك الوقت.

لقد استطاع تحتمس الثالث أن يخرج الدولة المصرية من شاطيء الوادي إلى دول كبرى تمتد من نباتا عند النيل الجنوبي،وحتى نهر الفرات، وبلغت

---

(1) برستد، تاريخ مصر، ص308.

(2) Breasted, (A. R. E) OP, Cit, Part. 636

(3) سيد توفيق، معالم تاريخ، ص277.

(4) أحمد فخري، مصر الفرعونية، ص295.

أوج قوتها[1] لقد وصف تحتمس الثالث بنابليون مصر من خلال أعماله العسكرية، ولكن ذلك يجب أن لا ينسينا بعض الأعمال التي قام بها، والتي قد تفوق في نتائجها على المدى الطويل أعماله العسكرية ومنها إنه قام بجلب أبناء الأمراء إلى مصر[2] لتربيتهم هناك حتى يضمن ولاء تلك الأقاليم للدولة[3]، كما نقل الكثير من أشجار ونباتات تلك الأماكن لزراعتها في بلاد النيل.

إن استخدام الشدة مع الأمراء المناوئين من جهة والتساهل أمام الهجرات إلى الوادي من جهة أخرى هو الذي أدى إلى ذلك القدر الكبير من الاستقرار السياسي الذي شهدته الدولة والمناطق التي صارت تابع لها حتى نهاية الأسرة، وقد أحدث ذلك قدراً كبيراً من التغير الاجتماعي في مصر ونظرتها للشعوب الأخرى، خاصة مع احترام تحتمس الثالث لعقائد وعادات المناطق الأخرى خارج الوادي[4].

---

(1) جان فير كو تير، مصر القديمة، ص114.

(2) أحمد حسين، موسوعة تاريخ مصر، ص105.

(3) ومن صور ذلك انه أقام مدرسة لتعليم أبناء الأمراء والمناطق وقادة الجيش ليعيشوا مع بعضهم ويخلق بينهم قدر من الود والتعارف رغم تباعد ديارهم. انظر كذلك: أحمد فخري، مصر الفرعونية، ص302.

(4) أحمد فخري، مصر الفرعونية، ص299.

المبحث الثاني

الأسرة التاسعة عشرة: الثورة الليبية الأولى

حكومة جديدة لعصر جديد:

إذا كان لكل عصر خصائصه التي تميزه عن سابقه ولاحقه فان لكل عصر حكومته على ما يبدو. كانت حكومة الدولة القديمة (إلٰهية) رأى فيها الفراعنة أنفسهم آلهة يجب أن تعبد وتطاع، وإن تملك البلاد والعباد، وكانت حكومة العهد الوسيط حكومة المدينة والأقاليم، حيث زالت تلك السلطة المركزية الصارمة، لتحل محلها عشرات الحكومات الاقليمية في أغلب فترات ذلك العهد، وإذا لم تترك تلك الحكومات الكثير للمؤرخ بما يمكنه من رسم صورة كاملة للأوضاع السياسية إلا أنها أسهمت في ازدهار العناصر الحضارية والثقافية لحضارة الوادي، بتفاعلها مع كل أطراف المجتمع وخاصة أهل البوادي الذين انهالوا على مصر من جميع أطرافها، مشاركين في السلطة وفي تقرير أحوال البلاد وفي العطاء الحضاري.

أما حكومة الدولة الحديثة فقد كانت حكومة عسكرية بكل ما تحمله هذه الكلمة من معنى، وما تفرضه الحياة العسكرية من تقاليد وسلوك. لم يعد الملوك آلهة، بل صاروا قادة فاتحين، وهكذا نسمع عن عشرات المدن التي أبيدت وأحرقت وآلاف الأيادي المقطوعة، وأكوام الجثث التي يتفاخر هؤلاء

بتكديسها، ولم يعد موظفو الدولة سوى ضباط ينقشون على مقابرهم ما فعلوه في ساحات المعارك وما جنوه من أيدي وآذان، وأعضاء تذكير لضحاياهم وكميات الذهب والعطايا التي حصلوا عليها مقابل ذلك[1].

كان ما حققه أحمس من نصر ضد الهكسوس دافعاً لمن آتى بعده ليسلك نفس هذا السلوك، وحيث إن أهل الوادي يخضعون خضوعاً مباشراً، بحكم الضرورة للدولة، فإن الضحية الأولى لهذه السياسة الجديدة سيكون سكان الأطراف من هذه الدولة أهل الشام شرقاً وأهل النوبة جنوباً والقبائل الليبية غرباً. أننا نشهد قيام حكومة مشبعة بالروح العسكرية إلى أبعد حد[2]، ونشهد ازدياد نفوذ قادة الجيش حتى صار معظم فراعنة الدولة في هذا العصر منهم[3]، وهو ما سوف يكون له أثره في المستقبل كما سوف نرى.

وحيث أن الدين كان ولا يزال عنصراً مؤثراً في حياة الشعوب فقد عملت هذه الحكومة العسكرية على أن تجد سنداً لها في المؤسسة الدينية، وهكذا اختارت التحالف مع كهنة آمون فأغدقت عليهم العطايا من البشر والأرض والأنعام والأموال، ونظرة واحدة على أملاك هذه المؤسسة في ذلك العصر تبين لنا هذه الحقيقة فقد كان لكهنة آمون مئة ألف عبد و4/ 3 مليون فدان أي سبع أراضي الدولة الزراعية و2/ 1 مليون رأس من الماشية[4]، اضافة إلى مدن كاملة صارت وقفاً لهم وهكذا نشأت كما يقول (برستد) البابوية الآمونية المتحالفة مع الطبقة العسكرية الحاكمة[5]، وحيث إن الحرفة الأساسية للجيش وقيادته هي الحرب فإن عدم وجود عدو يدفع هذه المؤسسة إلى اختلاق عدو وهمي أو

---

(1) وخير مثال على ذلك : الضابطان (أحمس ابن أبانا، وأحمس بن نخبت) والذين عاصروا عهود كل من أحمس الأول حتى تحمس الثالث للمزيد انظر المبحث الأول من هذا الفصل.

(2) سليم حسن، مصر القديمة، ج6، ص8.

(3) عبدالحميد زائد، مصر الخالدة، ج2، ص234.

(4) أحمد حسن، موسوعة تاريخ مصر، ج1، ص140. انظر كذلك : سيد توفيق، معالم تاريخ وحضارة مصر القديمة، ص330.

(5) برستد، فجر الضمير، ص356.

خطر مزيف تشن عليه الحرب وتسخر امكانيات الدولة للتصدي له وأننا إذا كنا نجد مبرراً للحملات العسكرية الضخمة في الشام من خلال الأوضاع السياسية في المنطقة وانقسامها بين مؤيد ومعارض لنفوذ الدولة المصرية هناك ووجود قوى خارجية منافسة لمصر إلا إن الحرب العنيفة التي شنتها هذه المؤسسة في الجهات الأخرى بصفة عامة وضد القبائل البدوية في الغرب بصفة خاصة لا مبرر لها على الاطلاق رغم الدعاية الواسعة عن الغزو الليبي للوادي وهو ما يكذبه الواقع وينكشف زيفه من خلال الوثائق الرسمية للدولة ذاتها كما سوف نرى.

إن هاتين الظاهرتين المتميزتين للدولة الحديثة صارت سلاحاً ضد الدولة نفسها من خلال:

1 - تفجر الصراع بين هاتين القوتين واستغلال ضحاياهما لذلك.

2 - ان (الأعداء) قد صاروا مع مرور الزمن أعضاء وقادة في هاتين المؤسستين وهو ما كان له أثره السياسي في المستقبل.

دولة الضباط:

كان (حور محب) آخر فراعنة الأسرة الثامنة عشرة وكان ضابطاً عسكرياً وبموته تولى السلطة ضابطاً آخر هو رمسيس الأول مؤسساً الأسرة التاسعة عشرة ولم يحكم هذا الفرعون سوى فترة قصيرة لأنه كان طاعناً في السن ولم يفعل شيئاً سوى اقامة المعابد الكبرى لارضاء كهنه آمون[1]، حلفاء الجيش وأنصاره ليتولى بعده سيتي الأول وتبدأ بذلك أولى حلقات الصراع الدامي بين الدولة المصرية والقبائل البدوية في الغرب.

سيتي الأول:

على الجدار الشمالي الخارجي لقاعة الأعمدة الكبرى بمعبد الكرنك نقش

(1) أحمد فخري، مصر الفرعونية، ص356، 357.

سيتي الأول بعض المناظر التي استنتج منها الباحثون(1)، إنه خاض معركتين ضد القبائل الليبية ورغم إن ما تبقى من النقوش لا يشير صراحة إلى ذلك(2)، فإن تاريخ الموقعتين غير معروف أيضاً وإن كان يرجح إنهما في السنة الثانية من حكمه(3).

ويري برستد أن الليبيين قد استغلوا ضعف الدولة فبدأوا بالهجرة إلى الدلتا ووضعوا أيديهم على جزء كبير منها(4)، وهو ما دعاه إلى محاربتهم كما يظهر من قائمة الايرادات العائدة لعصره، ويؤكد ذلك باحث آخر(5)، مشيراً إلى إن الحرب قد وقعت في السنة الثانية من حكمه أي بعد عودته من موقعة (قادش) بالشام ويظن (شامو) إن هؤلاء الليبيين الذين أشير اليهم بالتحنو ربما كانوا من المشواش(6)، لأنهم ظهروا بصورة تختلف عن صور الليبيين المعروفين سابقاً(7)، وربما كان أولئك هم أول طلائع هاتين القبيلتين(8) (9)، ووصف النقش لهم بالتحنو يشير إلى عدم التميز بين هذه القبائل رغم اختلاف مسمياتها والواقع أن هناك خلاف كبير بين الباحثين حول حقيقة هذه الحرب وحول تاريخها فالباحث سليم حسن يرى إن هذه النقوش هي صور تقليدية لا يمكن استنباط حقائق تاريخية منها وإن هذه الحرب ربما كانت كما يرى (برستد) مجرد مناوشات على الحدود الغربية(10)، ومن الطبيعي أن يظهر فيها

---

(1) Breasted, (A. R. E), Par. 3, p. 156

(2) سليم حسن، مصر القديمة، ج6، ص50.

(3) المرجع نفسه والصفحة كذلك.

(4) برستد، تاريخ مصر، ص385. وكذلك، أحمد حسين، موسوعة مصر، جا، ص127.

(5) أحمد فخري، مصر الفرعونية، ص374.

(6) شامو، الأغريق في برقة، ص40.

(7) محمد بيومي مهران، المغرب القديم، ص115.

(8) محمد بيومي مهران، المغرب القديم، ص115، انظر كذلك: سليم حسن، ج6، ص50.

(9) يرى الباحث (وينرايت) أنهم ظهروا قبيل وفي عهد رمسيس الثاني. انظر: سليم حسن، ج6، ص50.
Wain Wright. G.A, The Meshrwsh (J. E. A) Vol, 48, 1962, p.89
وهو يرفض فكرة أن يكونوا من شعوب البحر لأنهم عرفوا قبل ظهور هؤلاء بأكثر من 150 سنة.

(10) سليم حسن، مصر القديمة، ج6، ص49.

(سيتي) منتصراً كما هي العادة[1]، في حين يذهب (دريتون) إلى أنهم من شعوب البحر اعتماداً على الأوصاف التي ظهروا بها[2]، وهي الفكرة التقليدية السابقة، التي لم يعد باحث من الباحثين يأخذ بها، في نسبة بعض سكان المنطقة إلى أوروبا، نتيجة لبعض المظاهر الجديدة كالبشرة البيضاء والعيون الزرقاء، وإن كان هناك البعض من باحثينا من لا يزال يرددها بكل أسف[3]، أما عن تاريخ هاتين الموقعتين، فبينما يؤكد البعض من إنها في السنة الثانية من حكم سيتي الأول[4]، استناداً على ما جاء عند بعض الباحثين[5]، الذين يرون أنه قد قضى تلك السنة كلها في حربهم[6]، وهو ما يراه باحثون آخرون[7]، لكن رأي آخر يشير إلى أن تلك الحرب وقعت في السنة الخامسة من حكمة[8]. والواقع أن هذا الخلاف الواضح بين الباحثين حول مضمون النقش وحول تحديد زمن الحرب ومما عرضناه سابقاً، فمن المحتمل إن الأمر لم يكن سوى تقليد درج عليه الفراعنة في الدولة الحديثة عن حروب وهمية خاصة وإن الروح العسكرية في تلك الفترة تفرض عليهم تقليد أسلافهم، ولو كان ذلك من قبيل الدعاية فقط.

رمسيس الثاني:

وهو ابن سيتي الأول وخليفته، وقد اشتهر بحروبه في الشام، مع ملك (خيتا) وهو (موتلي)الذي كان يغري أمراء الشام بالثورة على الحكم المصري[9]، مما فجر الصراع بين الدولتين المصرية والحثية والذي أنتهي

---

(1) غاردنر، مصر الفراعنة، ص282.

(2) دريتون وفانديبه، مصر، ص469. .

(3) حسين عبدالعال مراجع، العلاقات، ص104 أ 106.

(4) انظر: ص4، هامش 6.

(5) انظر: Breasted, (H. E), OP. Cit, p412

(6) برستد، تاريخ مصر، ص385.

(7) انظر: دريتون، مصر، ص469، وكذلك: محمد أبو المحاسن عصفور، معالم تاريخ، ص188، وكذلك Fakhry. A, Bahria Oasis, OP. Cit. p341

(8) محمد بيومي مهران، المغرب القديم، ص115، وهو ينقل هذا الرأي عن (فولكنر).

(9) أحمد فخري، مصر الفرعونية، ص364. .

بمعركة (قادش) الشهيرة التي أدعّى رمسيس، أنه قد حقق فيها انتصاراً كاسحاً على الحثيين وهو ما يرفضه معظم الباحثين ويشككون في مصداقيته[1]، خاصة وإن الطرفين عقدا معاهدة، تشير نصوصها إلى إن الحرب لم تنتهي بانتصار أياً منهما على الآخر[2]، وهو الأمر الذي يضعف من صدق الأخبار التي رواها رمسيس عن نفسه، وخاصة اتجاه الليبيين

يظن بعض المؤرخين أنه قد حارب القبائل الليبية بعد معاركه مع الحثيين في الشام ويعتمدون في ذلك على عدة شواهد أثرية منها:

أ - لوحة أسوان والتي ورد فيها إن التمحو قد هزموا خوفاً منه[3].

ب - ثلاثة مناظر تصور انتصاره على الليبيين في معبد بيت الوالي ومعبد ابي سمبل[4]، ويعلق سليم حسن على ذلك بالقول إن النصوص المصاحبة للمناظر لا تضيف شيئاً سوى القول باخضاع (تمحو)[5] وهي بالطبع عبارة لا تشير بالضرورة إلى حرب ما.

أما غاردنر فإنه يرى إن هذه الصور حقيقية ويقول رغم إن معلوماتنا عن حرب رمسيس الليبية قليلة وتكاد تكون معدومة[6]، إلا إن الليبيين فيما يبدو بلغوا في زحفهم أبواب (منف) وعبروا رأس الدلتا ووصلوا إلى مدينة عين شمس حيث يقطن وزير الدولة وإن رمسيس لم يحرك ساكناً ربما لكبر سنه، ولا يشير غاردنر إلى المصادر التي اعتمد عليها في هذه الاستنتاجات كما إن تاريخ صوره بالسنة الثانية من حكمه يتناقض مع قول غاردنر بأنه لم يحرك ساكناً لكبر سنه[7]، والذي يشير إلى أن هذه الحوادث حسب رأي (غاردنر) قد وقعت

---

(1) المرجع السابق، ص371.

(2) وقد ورد أفضل تحليل لذلك في: Wilson, J. A, Egyptian historical texets, in Ancient Near east texts, Prinston, 1950, p199

(3) سليم حسن، مصر القديمة، ج6، ص240. انظر أيضاً: شامو، الأغريق في برقة، ص40.

(4) سليم حسن، ج6، ص240.

(5) المرجع نفسه، والصفحة كذلك.

(6) غاردنر، مصر الفراعنة، ص408.

(7) المرجع نفسه، ص442.

في الفترة الأخيرة من حكمه. ويمكن القول من خلال ما سبق إن حرب رمسيس الثاني مع الليبيين تتراوح بين الرفض والقبول من جانب الباحثين فمن القائلين بعدم وقوعها (بتري) الذي يرى أنها مجرد إنتصارات وهمية[1]، وإنها لا تشير إلى حرب ضد الليبيين قدر إشارتها إلى خضوعهم له، ويقترب سليم حسن من هذا الرأي عندما يقول إن ما تركه من مناظر ونصوص فيها شك كبير[2]، وأنها مجرد أوهام كالتي يصورها الفراعنة إشادة بقوتهم وتغلبهم على جيرانهم، ويدعم هذا الرأي بدليلين قويين أولهما: إن هذه المناظر متطابقة تماماً مع مناظر والده سيتي الأول وثانيهما عدم وجود أية إشارة إلى حربه مع الليبيين في نصوصه الأخرى[3]، والمعروف أنه قد جرت عادة الفراعنة على تكرار أخبار حملاتهم العسكرية في معظم نقوشهم حتى إن تباعدت في زمانها ومكانها، ومن المشككين في ذلك أيضاً المؤرخ (هولشر) الذي ينقل عنه (شامو) قوله: انها مجرد شكل زخرفي تقليدي[4].

أما القائلين بصحتهما فمن بينهم (شامو) الذي يؤكد إن حقيقة قيام تهديد ليبي للمصريين في تلك الفترة لم يعد موضع شك[5]، وانها حرب حقيقية، وهو ما يذهب إليه باحث آخر[6]، محدداً تاريخها بالسنة الثانية من حكمه بينما يرى آخر أن رمسيس قد قام بغزو اقليم (ليبو) وهو ما جعله يخضع (التحنو) لأنه مر ببلادهم باتجاه (ليبو)[7]، وربما اعتمد في هذا الرأي على ما وجد من نقش في حصن العلمين الذي يشير فيه إلى انتصاره على الليبو، وعزمه على ضم أراضيهم إلى دولته[8].

---

(1) Petrie, (H. E) OP. Cit, p46
(2) سليم حسن، مصر القديمة، ج6، ص240.
(3) المرجع نفسه، ص240.
(4) شامو، الأغريق في برقة، ص40.
(5) المرجع نفسه، ص40.
(6) أحمد فخري، مصر الفرعونية، ص374.
(7) فوزي فهيم جاد الله، مسائل في مصادر التاريخ الليبي، ص111.
(8) تاريخنا، الكتاب الأول، ص160-161.

يرى الباحث أن الرأي القائل بعدم قيام هذه الحرب أو أنها مجرد مناوشات بسيطة أقرب إلى الواقع ويسند ذلك دليلين آخرين نراهما مقنعين هما:

أ - أن الليبيين كانوا يؤلفون جزء مهم من الجيش المصري في عهد رمسيس الثاني[1] حتى أن إحدى فرقه كما ورد في النصوص العائدة لعصره كانت تشمل (1900) مصري مقابل (1700) من الليبيين المشوش، و(104) من القهق، وإنهم كانوا يسكنون مصر بكثرة كما عبرت عن ذلك ورقة أنسطاسي الأولى[2].

كما تشير بعض نقوش المسلات التي تركها أن عدد من الوحدات العسكرية كانت من أصول ليبية[3]، ورغم أن بعض الباحثين يميل إلى وصف هؤلاء بالصفة التقليدية وهي إنهم مرتزقة، إلا أن (غاردنر) يدفع ذلك بقوله أنهم لم يكونوا مرتزقة ولا نجد دليلاً على استخدام المرتزقة في ذلك العهد[4]، وهو يرى إنهم أسرى أو أبناء أسرى، ولا نظن أن المرء في حاجة إلى هذا التفسير المتعسف فقد كان أبناء القبائل جنوداً وقادة منذ أقدم العصور في الجيش المصري ولم يطلق عليهم لفظ مرتزقة سوى أولئك الذين يتصورون احساس الطرفين بالتمايز فيما بينهم وهو ما لا دليل عليه على الاطلاق.

بناءً على ما سبق فمن الصعب أن يتصور المرء جيشاً يتكون في معظمه من هذه القبائل يقوم بمهاجمة هذه القبائل نفسها بل إنه يعد دليلاً على العلاقات الودية بين السلطة الحاكمة والقبائل.

ب - سلسلة الحصون الطويلة التي أنشأها رمسيس الثاني والتي تمتد لأكثر من

(1) محمد بيومي مهران، المغرب القديم، ص85.
(2) سليم حسن، مصر القديمة، ج6، ص104.
(3) شامو، الأغريق في برقة، ص40.
(4) Gardiner, (E. P) OP, Cit, p270

340كم بين راقودة وأم الرخم على الحدود الحالية بين ليبيا ومصر[1]، ومن أشهرها حصن الغربانيات قرب برج العرب وحصن أم الرخم غربي مرسى مطروح[2] وحصن العلمين[3]، وكانت بعض هذه الحصون يقيم بها جنود ليبيون ورغم أن هذه الشبكة الكبيرة من التحصينات تشير إلى شعور رمسيس الثاني بالخطر من هذه الجهة إلا أنها من ناحية أخرى يمكن أن تشير إلى رغبته في عدم الاصطدام بهذه القبائل وحرصه على احتوائها بهذه الوسيلة الدفاعية وفرض سيطرته الواقعية عليها وهو ما تؤكده عبارته التي وردت في نقوشه عن (خضوع التحنو) والذين ربما شعروا بالوجود العسكري الكثيف للسلطة مما يرجح معه عدم محاولتهم الثورة ضدها.

وفي كل الأحوال فان الثورة الكبرى لهذه القبائل جاءت في عهد (مرنبتاح) مؤكدة عجز تلك الحصون عن منعها.

عصر مرنبتاح والثورة الليبية:

يمثل عصر هذا الفرعون مرحلة مهمة من مراحل الصدام بين القبائل الليبية، والسلطة الفرعونية وهي مرحلة دامية شهدت قدراً كبيراً من العنف الذي استخدمته السلطة الفرعونية ضد هذه القبائل وسوف نستعرض هذه المرحلة المهمة عبر ثلاثة محاور أساسية:

أولها: المصادر التي اعتمد عليها الباحثون في دراسة وتحليل هذا الصدام.

ثانياً: تصور الباحثين لهذا الصراع وموقفهم منه.

---

(1) تاريخنا، الكتاب الثاني، ص159-160.

(2) Gardiner, (E. P) OP, Cit, p270

(3) أحمد فخري، مصر الفرعونية، ص374. انظر كذلك محمد بيومي مهران، المغرب القديم، ص116، انظر كذلك: سيد توفيق، معالم تاريخ وحضارة، ص322..

ثالثاً: محاولة ايجاد قراءة جديدة للنصوص المصرية لعلها تساعدنا في استنتاج تصور مغاير لما درج عليه الباحثون في وصف هذا الصراع.

أولاً: مصادر الصراع

من المؤسف أن معظم، بل كل مصادر هذا الصراع قد جاءت من الجانب المصري ومن السلطة الحاكمة، وهي الطرف الأساسي في هذا الصراع لذلك فإنها لن تكون محايدة على الاطلاق ويحتاج الباحث إلى الحذر الشديد عند التعامل معها خاصة مع ما نعرفه عن المصادر المصرية من ميل إلى المبالغة والتكرار واستخدام الأساليب الدعائية حتى وصفها أحد الباحثين بأنها نصوص تتسم بالمداهنه والرياء ومتخمة بالبلاغة(1)، وكان من الضروري إن تصور الفرعون منتصراً حتى وإن كان الواقع غير ذلك مثلما لاحظ الباحثون في نصوص رمسيس الثاني عن صراعه مع الحثيين، ومما يعيق فهم هذه النصوص، ميل الكتابة المصرية إلى استخدام صيغ بلاغية الأمر الذي يؤدي إلى اختلاف كبير في تفسيرها وتأويلها. أما أهم هذه المصادر فهي: ـ

أ ـ نصوص الجدار الشرقي لمعبد الكرنك(2)، وهذا النص مؤرخ بالعام الخامس الشهر الثالث من فصل الصيف اليوم الثالث لحكم مرنبتاح ويحتوي هذا النص على (80) سطراً، وقد تعرض للتشويه في بدايته وبعض أجزائه الأخرى وهو من أطول النصوص المتعلقة بهذه الحرب مما قد يشير إلى أنه الأصل الذي اعتمدت عليه النصوص الأخرى.

ب ـ لوحة أتريب: وهي مؤرخة بالعام الخامس من حكم مرنبتاح كذلك الشهر الثالث من فصل الصيف اليوم الثالث،(3) وقد أطلق عليها

---

(1) غاردنر، مصر الفراعنة، ص312.
(2) Breasted; (A. R. E) 4. P572-592 وكذلك: سليم حسن، مصر القديمة، جـ7، ص84أ 92 انظر كذلك: رمضان عبده على، تاريخ مصر، ص 250 وما بعدها.
(3) انظر كذلك: Breasted; (A. R. E)3, OP.Cit, Part 596-601 سليم حسن، مصر القديمة، جـ7، ص92–93. وكذلك: رمضان عبده على، تاريخ مصر، ص276

(برستد) هذا الاسم دون أن يوضح معناه وقد عثر عليها في منطقة (منوف)[1]، وهي تحتوي على(19) سطراً من الأمام، و(21) سطراً من الخلف وهي محفوظة الآن بالمتحف المصري.

جـ ـ أنشودة النصر: وهي مؤرخة أيضاً بالعام الخامس من حكم مرنبتاح الشهر الثالث، فصل الصيف، اليوم الثالث، وقد كانت هذه اللوحة في الأصل للفرعون أمنحتب الثالث، واستغلها (مرنبتاح) ليسجل على ظهرها النص الوارد فيها وهي في الحقيقة ليست سوى قصيدة كتبها كهنه معبد آمون في مدح مرنبتاح، وهو ما يشير إلى التحالف الذي أشرنا إليه سابقاً[2]، بين السلطة الفرعونية وبين الطبقة الكهنوتية التي استفادت كثيراً من حروب الفراعنة وتعرف هذه اللوحة بلوح (اسرائيل) لأن بعض الباحثين استنتج ذكر(اسرائيل)[3] لأول مرة فيها وإن كان البعض يعارض ذلك وهي قضية شائكة لا مجال لمناقشتها هنا.

د ـ لوحة (عمدا) وهي مؤرخة بالعام الرابع من حكم مرنبتاح وتحتوي على

---

(1) عثر عليهما بالكوم الأحمر قرب قرية (شيرا زنجي) على بعد 5كم من مدينة (منوف) بالدلتا، عام 1882م.

(2) انظر : ص159 من هذه الدراسة.

(3) من أهم مراجعها: Breasted (A.R E)3, Par. 602-617. Gardiner, (E. P.) OP. Cit p273 وكذلك: سليم حسن، الأدب المصري القديم، جـ2، ص214-219، وكذلك : عبدالعزيز صالح : مصر والشرق الأدنى، جـ1، ص225، وكذلك : أحمد فخري، مصر الفرعونية، ص358. أما الكلمة التي تشير إلى اسرائيل والتي اختلف الباحثون حولها فهي ترد في النص المصري (يزرل) أو (جزرل) حسب أدق ترجمة لها، كما وردت في Wilson, J.A, Egyptian Historical texts, in Ancient Near East texts, Prinston, 1950. p.p 376-379 وهناك من يعترض بشدة على وصفها (بلوحة اسرائيل) لعدم التأكد من صحة قراءة الكلمة، ويرى تسميتها بلوحة أمنحتب الثالث، أو لوحة انتصار مرنبتاح، أو اللوحة ذات النصين لاحتوائها على نصين أحدهما لأمنحتب الثالث والآخر لمرنبتاح. انظر حول ذلك : رمضان عبده علي اللوحة ذات النصين، مجلة كلية الآداب، جامعة المنيا، مج18، جـ1، اكتوبر، 1995م، ص233 ـ 266، وأظن إن المعطيات الراهنة تؤيد هذه الفكرة.

(12) سطراً وهي تتحدث عن شعوب البحر والليبيين وتمرد أهل النوبة[1].

هـ - عمود القاهرة: وهو مؤرخ بالسنة الخامسة أيضاً من حكم مرنبتاح وتأتي أهميته من حيث أنه يكمل النقص الذي يوجد بنقوش الكرنك ويتحدث عن معاقبة الرؤساء الليبيين وعناصر من شعوب البحر[2].

ز - عمود المطرية: من العام الخامس لحكم مرنبتاح، والشهر الثاني من فصل الصيف، وقد عثرت عليه مجموعة من الأثريين المصريين عام 1970م وهو يتكون من أربعة أسطر وتكمن قيمته التاريخية في إنه يقدم قائمة بأعداد الأسرى والغنائم[3].

حـ - مصادر ثانوية أخرى: تحوي صوراً عن أسرى مرنبتاح وغنائمه ولا تقتصر على الليبيين ومن بينها منظر الواجهة الداخلية للجدار الشرقي لفناء الخبيئة الكبرى بمعبد الكرنك[4]، وكذلك نقش على جدران معبد العمارة بالقرب من منطقة (عمدا) وتعود للعام السادس من حكمه، وكذلك عدد من البرديات عُرفت ببرديات (اناستاسي) وأهمها (انا ستاسي 2) و(اناستاسي 3)[5].

ثانياً: تصور الباحثين للصراع:

تكاد الصورة العامة للأحداث تتفق لدى معظم الباحثين رغم الاختلاف في بعض التفاصيل الصغيرة فهي ترى إن القبائل الليبية أو بعضها قد وضعت

---

(1) رمضان عبده علي، تاريخ مصر، ص249 - 250.
(2) Breasted; (A. R. E) 4. Part 593-594 وكذلك: سليم حسن، مصر القديمة، ج7، ص92
(3) رمضان عبده علي، تاريخ مصر، ص 250.
(4) المرجع نفسه، ص252
(5) هناك تسع برديات تحمل هذا الاسم، وهي موجودة بالمتحف البريطاني، انظر: دريتون، فانديه مصر، ص562-563.

نفسها تحت قيادة رجل اسمه (مرى بن دد)[1] واتجهت شرقاً لغزو مصر واحتلال الوادي وإن فرعون مصر (مرنبتاح) علم بهذا الغزو فاستعد له وجهز جيشه وترك العدو يقترب حتى مواقعه حيث هاجمه بكل شدة وعنف وألحق به هزيمة منكرة وتراجعت فلول الغزاة غرباً بعد إن قتل منها من قتل وأسر من أسر وبعد إن تركت على أرض المعركة غنائم ضخمة من السلاح والأنعام والمتاع.

شهدت الفترة الأخيرة من عهد رمسيس الثاني الطويل فترة من الهدوء في معظم أنحاء الدولة وقد سمح ذلك للقبائل الليبية في الغرب باعادة تنظيم نفسها[2] والاستفادة من هذا الهدوء بالتمكين نفسها في المنطقة الغربية من الدلتا، وبدأت تظهر على مسرح الأحداث قبيلتي الليبو والمشواش كأكبر قبيلتين تمثلان سكان الغرب وإن استمر وصف كل هؤلاء بالصفة التقليدية (تحنو) ويرى(جان يويوت) إن هذه القبائل قد عبرت الحدود وحطمت القلاع والحصون والخطوط الدفاعية التي كان قد أقامها رمسيس الثاني واندفعت باتجاه الوادي[3]، واذا كان هذا الرأي صحيحاً فإن سؤالاً بديهياً يفرض نفسه وهو لماذا لم يبادر مرنتباح لصدها هناك؟ ولماذا لا تورد المصادر المصرية أي ذكر لهذه الأعمال؟ خاصة وإن هذه القلاع والحصون كانت مليئة بالجنود والحراس ويرى جان يويوت إن هذه القبائل قد تحالفت مع شعوب البحر أو إن شعوب البحر قد أجبروا الليبيين على التحالف معهم لغزو مصر ويرفض (شامو) هذه الفكرة، ويقول أنه من الصعب أن نقبل فكرة نزول شعوب البحر في الغرب وتحالفهم مع الليبو وإن هؤلاء ربما نزلوا من ساحل الدلتا أو هاجموا مصر من الشرق أو انهم ربما كانوا من الجنود المصريين الفارين من الخدمة العسكرية حيث كان الجيش المصري يتألف من عدد كبير منهم[4]، والواقع إن فكرة (جان يويوت)

---

(1) هذه هي القراءة التقليدية للاسم، لكن القراءة الحديثة هي إن نطق اسمه (مروى بن ديد) انظر : رمضان عبده علي، تاريخ مصر، ص279.

(2) محمد مهران، المغرب القديم، ص117.

(3) جان يويوت، مصر الفراعنة، ص139.

(4) شامو، الأغريق في برقة، ص42

تبدو غير معقولة على ضوء ما نعرفه من قيادة الليبيين للحملة فكيف يُجبر الليبيون على هذا العمل بينما كانت القيادة منهم ومعظم المقاتلين منهم أيضاً، ويتفق (غاردنر) مع هذا الرأي عندما يشير إلى إن شعوب البحر لم يلعبوا سوى دور ضئيل في الصراع ولم يرد ذكرهم سوى مرة واحدة ضمن لقب أحد العبيد[1]، وأنه لا توجد لهم أية صور ورسوم منقوشة لتميزهم عن الليبيين وإن الحجة التي استند إليها البعض من قائمة الخسائر عن بعض القتلى المختونين وغير المختونين ليست دليلاً كافياً[2].

بعد اقتحام الحدود حسب التصور التقليدي اتجه الجيش الغازي في هجوم مبدئي نحو اقليم الفيوم ثم واحة الفرافرة واحتلوهما[3]، ولا ندري هنا لماذا يتجه الجيش إلى هذه المنطقة متجاهلاً المناطق الساحلية الغنية؟ خاصة بعد إن تمكن هؤلاء من تدمير الحصون والقلاع كما يقول (جان يويوت)، كما أن هذا الطريق يبدو الأقصر والأسهل إذا ما علمنا أن هذا الجيش كان رجاله يصطحبون معهم زوجاتهم وأطفالهم ومواشيهم[4] بعد احتلال الفيوم وواحة الفرافرة كما يتصور هؤلاء الباحثين اتجه (الغزاة) نحو الدلتا وتوغلوا فيها[5]، بعد إن وصلوا إلى الفرع الكانوبي للنيل مجتاحين في طريقهم قبيلة تحنوا[6]، وهكذا صارت هذه القبائل المكونة لهذا الجيش الغازي من ليبو ومشوش وتمحو وتحنو وقهق وحلفائهم وجهاً لوجه أمام الجزء الشمالي الغربي لمدينة منف[7]، حيث وقعت المواجهة الحاسمة جنوبي الفيوم أو بجوار كفر الزيات أو على حافة وادي القطرون[8]، في مكان يعرف بـ (برأر) ولم تستغرق تلك

(1) غاردنر، مصر الفراعنة، ص299. وكذلك: Gardiner (onom) op. Cit. p196.
(2) المرجع نفسه، ص300. انظر كذلك : عبدالحميد زائد، مصر الخالدة، ج2، ص287.
(3) محمد مهران، المغرب القديم، ص18
(4) Breasted; (A. R. E)4. P579
(5) شامو، الأغريق في برقة، ص41.
(6) Gardiner, (E. P) OP. CIT. P272.
(7) شامو، الأغريق في برقة، ص41.
(8) تاريخنا، الكتاب الأول، ص163.

المعركة سوى ساعات ست هزم فيها جيش الغزو[1]، الذي كان قريباً من قصر الفرعون على الشاطئ المقابل[2]، وانتشرت جثث القتلى من الغزاة من (برأر) حيث قصر مرنبتاح حتى جبل نهاية الأرض[3] كما ورد في نصوص لوحة أتريب.

إن هذا التصور للأحداث لم يرد مفصلاً في أي مصدر مصري ولكنه كان من تخيل بعض الباحثين من خلال النصوص المصرية ونقله البعض الآخر عنهم حتى صار وصفاً مألوفاً دون أن يعني إنه يمثل عين الحقيقة.

ثالثاً: قراءة جديدة للأحداث:

بعد هذا الوصف يحق لنا أن نسأل: هل كان هذا هو ما جرى حقيقة؟ وهل نحن أمام غزو كاسح شنه الليبيون ورده المصريين؟

نظن إن الأمر لم يكن على هذه الصورة بل كان شكل من أشكال الصراع على السلطة بين السلطة الحاكمة ومعارضيها من الفئات المقهورة وإنها ثورة شعبية اشتركت فيها فئات متعددة لم تكن موالية للحكومة بشكل أو بآخر وقبل إن نبرهن على ذلك من واقع النصوص المصرية نفسها نشير إلى بعض الأمور المهمة في هذا المجال ومنها: ـ

أ ـ كيف يمكن لجيش كبير ينطلق من برقة ويقتحم الحدود المصرية ويخضع (تحنو) ويصل حتى شاطئ النيل دون إن تعلم به السلطة الحاكمة؟.

ب ـ لماذا لم ترسل السلطة الفرعونية جيوشها لمواجهة هذا الغزو منذ إن اخترق حدودها؟ خاصة وإن الفراعنة دأبوا منذ أقدم العصور على ارسال حملاتهم العسكرية الضخمة إلى أماكن بعيدة جداً لاخضاع المتمردين

(1) أحمد فخري، مصر الفرعونية، ص 377، 378.
(2) برستد، تاريخ مصر، ص446.
(3) سليم حسن، مصر القديمة، ج7، ص94.

في النوبة جنوباً أو في الشام وحتى بلاد النهرين وكان لهؤلاء فيما يبدوا جهازاً أمنياً يبلغهم فوراً عن أي حادث من هذا القبيل كما يظهر في نصوصهم عندما تقول بصيغة تقليدية (جاء إنسان ليخبر الفرعون من مكان كذا . .).

جـ - اذا افترضنا جدلاً إن السلطة الفرعونية لم تعلم بهذا الغزو فلماذا تركت هؤلاء الغزاة شهوراً بل سنين وهم يجولون في المنطقة دون إن تتصدى لهم؟ حتى وصلوا إلى أبواب العاصمة.

د - التناقض والاختلاف حول مكان المعركة وساحتها والاشارات المصرية إلى اتساع رقعتها مما يخرجها من كونها معركة بين جيشين إلى معارك واسعة في مناطق متعددة وهو الأمر الذي لا ينطبق على طبيعة المعارك الحربية في التاريخ القديم.

سنعتمد في التدليل على ما نذهب إليه على نصوص مرنبتاح المختلفة، والتي تتحدث عن هذا الصراع كما وردت في بعض الترجمات وأشهرها لدى سليم حسن في موسوعته مصر القديمة والآداب المصري القديم وغيرها من المراجع الأخرى.

إن أول ما يلفت النظر في النصوص المصرية هو عدم الاتفاق بينها في تحديد زمن الحرب، فبينما يشير (لوح عمدا) في سطره (الرابع) إن هذا الاعتداء حدث في العام الرابع، الشهر الثالث اليوم الأول، يشير مصدران آخران هما (عمود المطرية) و(عمود القاهرة) إلى العام الخامس، أما بقية المصادر الأخرى مثل أنشودة النصر (لوح اسرائيل) أو (لوحة أتريب) فانها تشير إلى العام الخامس الشهر الثالث في فصل الصيف. وقد فسر بعض المؤرخين هذا الاختلاف في تاريخ الحرب بأنه يعني إن المناوشات بين الطرفين، بدأت على الحدود، في العام الرابع ثم بدأ الليبيون بالتسرب داخل مصر، ولكن هل يمكن إن يسمح الفرعون بذلك، دون أن يرسل جيشه لهؤلاء المتسربين؟،

ولماذا لم يرسل جيشه للتصدي لهم فور دخولهم؟ وهو الذي يرسل جيوشه عند الشعور بأي خطر إلى أقصى الأماكن. أننا نتصور الثورة وقد بدأت بالفعل منذ السنة الرابعة، وإن الفرعون لم يكن قادراً على مواجهتها في عقر دارها، واكتفى بالعمل على الدفاع على نفسه داخل العاصمة.

إن ما يؤكد ذلك ما ورد في لوح عمدة (السطر 5) الذي يشير إلى عدد الثوار الذين كانوا مئات الآلاف[1] من تحنو وتمحو ومشواش وقهق وغيرهم، ولا نظن إن هذه القبائل قادرة على تجنيد هذا العدد الكبير، والتفسير الوحيد لذلك هو، إن الثورة قد اندلعت وسط كل القبائل الرافضة لحكم مرنبتاح، والتي كان يرى فيها الفرعون جيشاً غازياً لبلاده وإن كان البعض يرى إن العدد، يشير إلى هجرة ضخمة للاستقرار في مصر[2]، وحتى إن كان هذا الافتراض صحيحاً، فلن نتوقع موافقة الفرعون على دخول هذا العدد الكبير وسيعتبره عدواً مهاجماً في كل الأحوال مثلما هو الحال مع هجرة الهكسوس، ولن يتورع عن وقفها ومقاومتها، لو كان يملك القدرة على ذلك. مما يدعم ذلك قول (برستد) بينما كان الفرعون في شرق الدلتا كان غربها قد امتزج تماماً بالدم الليبي حتى الشاطئ الغربي لفرع النيل الكانوبي وجنوب وغرب الفيوم، وعندما شعروا بقوتهم أرادوا الاستيلاء على السلطة بقيادة (مرى بن دد)بعد إن أقتنع تحنو بالانضمام اليه[3]، أي أننا في الواقع أمام قوتين متنافستين على السلطة فرعون شرق الدلتا ومرى بن دد والقبائل المتحالفة معه في غربها؛ ويؤكد هذا الأمر قول الفرعون في وصف الأحوال غربي الدلتا: أقوام الأقواس التسعة (أي القبائل الليبية) ينهبون تخومها والثوار يغزونها كل يوم، كل يأخذ وينهب هذه الحصون[4]، وهذا النص يؤكد حقيقتين أولهما إن المنطقة كانت تحت سيطرة

---

(1) رمضان عبده علي، تاريخ مصر، ص278-279..

(2) غاردنر، مصر الفراعنة، ص300.

(3) برستد، تاريخ مصر، ص446..

(4) نقوش الكرنك، سليم حسن، مصر القديمة، ج7، ص86.

القبائل. وثانيهما إن هذه القبائل كانت ترسل مجموعات من الثوار لمهاجمة معاقل وحصون السلطة[1]، ولعل ما يؤكد سيطرتهم على الموقف وصف النص لزعيمهم (مرى بن دد) بأنه (رجل تفاخر) مما يعني أنه كان يشعر بقوته وسيطرته على الموقف في مواجهة الفرعون[2]. ويزيد من تأكيد ذلك قول النص: لقد تآمر الليبيون على أشياء أثيمة ليرتكبوها في(مصر)[3] ولا يمكن طبعاً وصف جيش غازي بالتآمر وهكذا إذن سيطر الثوار على الجزء الغربي للدلتا وجاءهم الدعم من قبيلتي الليبو والمشوش ليتولى القيادة مرى بن دد ويتوغلون في الدلتا حتى يصير هؤلاء على مقربة من مقر حكم الفرعون الذي كان هو وانصاره قد امتلأوا رعباً من هذه الثورة، فأغلق أبواب عاصمته وفر السكان من بعض المدن القريبة خوفاً من مخاطر المواجهة النهائية بين الطرفين؛ يقول في أنشودة النصر: هو الذي جعل أهالي منف يفرحون على أعدائهم، وجعل (بتاح تنن) يبتهج ويشمت بخصومه وهو الذي فتح أبواب (منف) بعد إن كانت قد أغلقت وجعل معابدها تتسلم أرزاقها[4]. وهو ما يشير إلى أن الخطر قد بلغ درجة جعلت الفرعون يغلق على نفسه عاصمته ويعجز حتى عن تسديد مخصصات المعابد وصار أهل العاصمة وكأنهم أسرى داخل أسوارها هو الذي أزاح جبل النحاس من فوق ظهور الشعب حتى يتمكن من منح من كانوا في الأسر الهواء[5]، وهؤلاء الذين كانوا في الأسر هم أهل العاصمة والمدن المجاورة التي أغلق الفرعون أبوابها خوفاً من اقتحامها من جانب الثوار حتى يتمكن من الاستعداد للمواجهة.

كان هؤلاء الثوار مصممين على هدفهم يحبون الموت ويحتقرون الحياة

---

(1) رأى (شامو) إن الثوار هم شعوب البحر الفارين من جيش الفرعون وليس هناك ما يؤكد ذلك انظر : شامو، ص42

(2) المصدر نفسه، ص86.

(3) المصدر نفسه، ص91

(4) سليم حسن، الأدب المصري القديم، ج2، ص215.

(5) المصدر نفسه، ص215. انظر كذلك للمؤلف نفسه، ج7، ص97.

وقلوبهم متعالية على أهل مصر[1]، كما يقول النص وبعد إن أمضوا شهوراً وأياماً قاطنين ومتجولين[2]، وهم يسيطرون على المنطقة الغربية صاروا على أبواب(منف) وعبروا رأس الدلتا الجنوبي ووصلوا إلى مدينة(عين شمس) حيث يقطن وزير الدولة[3]، بينما كان (الفرعون مرنبتاح) يهتز رعباً وخوفاً منهم ويلجأ إلى الإلٰه القريب من نفسه وهو (بتاح) ليساعده[4]، فيخاطبه الإلٰه (أقص عنك أنت القلب الوجل)[5]، وهو اعتراف صريح بخوف الفرعون وخشيته من مواجهة الثوار حتى انه لم يخرج بنفسه ليقود قواته إلى المعركة[6].

وأخيراً يخرج جيش الفرعون ليواجه الثوار في (برأر)[7]، ولم يكن ذلك فيما يبدو إلا نتيجة لتطور ما وقع داخل صفوف الثوار شجع جيش الفرعون على الخروج من أسوار عاصمته للحرب حيث تدور المعركة ويحقق الفرعون نصره السريع الذي لم يستغرق سوى ست ساعات !. فما هو ذلك التطور؟ نرجح إن خلافاً داخلياً قد وقع في صفوف الثوار وإن بعضهم ربما انحاز نتيجة لذلك إلى جانب جيش الدولة وذلك ليس غريباً فلم يكن هؤلاء المتقاتلين يشعرون انهم (ليبيون ومصريين) بل إن عدداً كبيراً من القبائل التي اشتركت في المعركة كانت تقطن منذ زمن بعيد في الدلتا الغربية ولم يأت من خارج (الحدود الحالية) سوى

---

(1) Breasted, (A. R. E), OP. Cit, par580.

(2) سليم حسن، مصر القديمة، ج7، ص76، (نصوص الكرنك).

(3) برستد، تاريخ مصر، ص442.

(4) محمد مهران، المغرب القديم، ص120.

(5) المرجع نفسه، ص120.

(6) Gardiner (H. E) OP, Cit, p272 عبدالمنعم أبوبكر، كفاحنا، ص42.

(7) اختلف المؤرخون في تحديد مكان المعركة، فيرى سليم حسن، ج7، ص106 إنه يقع في المقاطعة الثانية من مقاطعات الوجه البحري، ويري محمد أبو المحاسن عصفور، في معالم تاريخ مصر، ص102، إنه بين منطقتي (النجيلية والظهرية) قرب كوم حمادة. أما نجيب ميخائيل إبراهيم، مصر والشرق الأدنى، ج2، ص277، فهو يوافق على هذا الرأي بينما يرى (غاردنر أنها في مكان غير محدد ولكنها دون شك في وسط الدلتا (غاردنر)، مصر الفراعنة، ص272، ويرى (دريتون)، مصر، ص479، أنها على حافة وادي النطرون في الشمال الغربي من (منف) بينما يرى (بتري) (H. E.) OP. Cit. p109. في أنها قرب منطقة (كوم حمادة) بمحافظة البحيرة.

ليبو ومشوش، وربما كان ذلك لدعم الثورة مع العلم إن طلائعها كانت موجودة قبل ذلك منذ عهد رمسيس الثاني.

تقول نقوش الكرنك: ـ ست ساعات وهم (أي الجنود المصريين) ـ يخربون بيوتهم، وقد أسلموا للسيف، وهرب خاسئ لوبيا وقلبه خائف تاركاً نعلاه وسيفه وكنانته[1]. كان مسرعاً ليهرب بنفسه. لقد هرب (مرى) وحيداً تحت جنح الظلام والريشة ليست على رأسه وأزواجه قد اغتصبت أمامه[2]، إن هذا التعبير يدل على أنه (أي مرى) قد فقد القيادة التي يعبر عنها بوضع الريشة، وتوضح انشودة النصر ذلك الأمر عندما تقول: كان محيا اخوانه يبدو مفترساً يريد الفتك به وقد تحارب ضباطه فيما بينهم وحرقت خيامهم وتحولت إلى رماد[3] .. وفي هذا إشارة صريحة إلى الخلاف الداخلي بين قادة الثورة ومحاولة بعضهم القضاء على (مرى) وتحول ذلك الخلاف إلى قتال بين المؤيدين والمعارضين وهو ما دفع (مرى) إلى الانسحاب غرباً بعد إن أدرك فيما يبدو إن الموقف لن يكون لصالحه خاصة مع دخول جيش الفرعون المعركة، ويصل (مرى) إلى بلاده محزوناً وكل فرد قد تخلف في أرضه كان يستشيط غضباً[4]، وربما كان هذا الغضب بسبب المتمردين الذين أوصلوا الثوار إلى هذه النتيجة.

إن (مرى) لم يهرب من مكان المعركة مسرعاً كما يصفه النص المصري بل انه ربما انسحب مع بعض أنصاره عندما اكتشف المؤامرة والا فكيف نفسر التقرير الذي يرسله قائد حصن الغرب[5] للفرعون يقول فيه إن مرى المهزوم قد حضر وانه قد مر بي في جنح الظلام! ولماذا لم يقبض عليه قائد الحصن؟ لا

(1) نقوش الكرنك، سليم حسن، ج7، ص87-88.
(2) أنشودة النصر، سليم حسن، الأدب المصري القديم، ج2، ص215.
(3) المصدر نفسه، ص216.
(4) المصدر نفسه، ص216.
(5) سليم حسن، ج7، ص88.

يمكن أن نتصور ذلك إلا بالافتراض بأنه كان مرفوقاً بعدد من اتباعه لم يكن لضابط الحصن ومن معه قدرة على الاشتباك معهم وأسرهم.

تقول نقوش الكرنك: أن حالته ليست معروفة أميت هو أم حي؟ فاذا كان لا يزال حياً فانه لن يقود جنوده ثانية لأنه قد وقع عدواً لجنوده هو[1] ويزداد الأمر وضوحاً لا يحتاج إلى التأويل: لقد نصبوا في مكانه آخر من بين أخوته وهذا الآخر يحاربه عند ما يراه[2]. ويعلق مهران على ذلك بالقول لقد عزل (مرى) وتم تعيين أخاه[3].

إن الانشقاق الداخلي في أية ثورة ليس حادثاً مستحيلاً بل هو أمر عادي وربما كانت شخصية (مرى) المتعالية هي السبب في ذلك الانشقاق: إن الافتخارات التي فاه بها أسفرت عن لا شيء وكل ما قاله فمه قد عاد على رأسه[4].

نهاية الثورة:

انتصرت السلطة الحاكمة على معارضيها وبينما كان الفرعون يحصي غنائمه كانت قواته تستمر في معاقبة الثائرين بكل قسوة مما جعل هؤلاء يصرخون حسرة على أنفسهم مما يلاقونه: واحسرتاه على (ليبو) لقد أصبحوا لا يعيشون بحالتهم الطيبة يمرحون في الحقول، . . . لقد خربت مساكنهم ولا يوجد عمل لحمل في هذه الأيام . . انه لحسن إن يخبئ الإنسان نفسه ففي الكهف السلامة[5]. لأن إنتقام فرعون كان قاسياً فهو قد حول معسكرهم إلى قفر . . . وكل عشب تنبته حقولهم . . لم يبق بعد حقل خصب ليعيشوا منه . . والصهاريج مختنقة كالناس العطشى . . . وقبائلهم منتشرة على الجسور مثل

(1) سليم حسن، مصر القديمة، ج7، ص88.
(2) المصدر السابق، ص89.
(3) محمد مهران، المغرب القديم، ص120 أ123.
(4) سليم حسن، مصر القديمة، ج7، ص88.
(5) سليم حسن، الأدب المصري القديم، ج2، ص216.

الفئران . . . ومن تبقى منهم يعيش على الأعشاب كالأنعام[1] . . فأية حقول هذه؟ وأين تقع؟ وأية جسور تلك التي كان ينتشر عليها هؤلاء؟ لا شك أنها هناك قريباً من أرض المعركة فلم يحدثنا (مرنبتاح) انه اجتاز الحدود ليحارب الغزاة في حقولهم خارج مصر ولا جسور في هذه الأرض بل أنها هناك فوق فروع وترع النيل.

بعد هذا الاستعراض للمصادر المصرية يمكننا إن نطرح تصوراً جديداً للأحداث نراه الأقرب إلى الواقع.

لقد استنفذ رمسيس الثاني امكانيات الدولة في مشاريعه العسكرية ومنشآته المعمارية الضخمة مما أفقر الدولة حتى انه عجز عن تمويل تلك المشاريع فلجأ إلى إن يقيمها من مواد رخيصة[2]، وفي نفس الوقت بدأت تتوافد من جديد هجرات بدوية فقيرة لتستوطن قرب الدلتا ويتولى (مرنبتاح) السير على نفس السياسة ويقحم البلاد في حملات عسكرية جديدة في نفس الوقت الذي صارت فيه القبائل البدوية في الجزء الغربي من الدلتا وامتد أداتها حتى برقة، والتي كانت على الدوام تحت السلطة الفعلية حيناً أو الصورية حيناً آخر للدولة المصرية[3] صارت تمثل أغلبية سكان المنطقة وتدفع الأحوال الاقتصادية السيئة هذه القبائل على الثورة ويندفع أبناء عمومتهم من ليبو ومشوش لنجدتهم ومؤازرتهم ويضيقون الخناق على (مرنبتاح) الذي يبقى محاصراً في عاصمته لكن الفتنة الداخلية تقوم بدورها في شق صفوف الثائرين ويستغل الفرعون ذلك ليضرب ضربته ويقضي على الثورة وينتقم من الذين قاموا بها حتى تصير جثثهم أكواماً بين (برأر) وجبل نهاية الأرض[4]. وتهدأ الثورة ولكن إلى حين. كما سوف نرى.

---

(1) سليم حسن، مصر القديمة، ج7، ص94

(2) سليم حسن، مصر القديمة، ج6، ص2.

(3) غوليالم ناردوتش، استيطان برقة، ص48. انظر كذلك : شامو، الأغريق في برقة، ص48.

(4) لوحة أتريب، سليم حسن، مصر القديمة، ج7، ص95.

المبحث الثالث

الأسرة العشرين والثورة الليبية الثانية

ما بين الثورتين:

لم يتمتع (مرنبتاح) بانتصاره على الثورة الليبية في عهده طويلاً فبعد قضائه عليها قضى عليه الموت لتسقط البلاد صريعة الفوضى والتنافس على السلطة لفترة زادت عن ربع قرن تولى فيها عدد من الفراعنة الذين لم يستمروا في عروشهم إلا فترات قصيرة فقد قفز إلى السلطة مغتصب للعرش اسمه (آمون مس)، لا يعرف المؤرخون كيفية وصوله للسلطة[1]، مما يدلل على الاضطراب الكبير بعد موت (مرنبتاح) ولم يهنأ هذا الفرعون الجديد بمنصبه حيث خلع بعد ست سنوات على يد (مرنبتاح سبتاح)[2]، الذي تولى السلطة بعد زواجه من زوجة سلفه. والذي سقط هو أيضاً سريعاً على يد منافسه (سيتي الثاني)[3] وكان سيتي الثاني اقترن بنفس المرأة وبعد أن حكم نفس المدة تقريباً ثم جاء (رمسيس سبتاح) ابن سيتي الثاني كما يرى بعض الباحثين، ولكنه أختفى بصورة مفاجئة مثل سابقيه حيث سقطت البلاد صريعة

(1) أحمد فخري، مصر الفرعونية، ص379.

(2) المرجع السابق، ص288.

(3) المرجع نفسه، ص289.

الفوضى والاضطراب حتى عهد(ست نخت) الذي يرى فيه المؤرخون مؤسس الأسرة العشرون.

لقد تحولت البلاد في هذه الفترة إلى ساحة للتطاحن على العرش والفوضى العارمة[1]، فانقسمت البلاد إلى عدد من الممالك الصغيرة، تحت سلطة حكام الأقاليم الذين حاربوا بعضهم بعضاً وكان من الطبيعي أن يستغل ضحايا السلطة ـ والذين اضطهدتهم كثيراً - هذا الوضع ليكون لهم دور في البلاد ففي الغرب الذي كان تحت سيطرة القبائل الليبية بدأ تدفق أبناء عمومتهم على المنطقة[2]، وإن كان البعض يرى أنهم لم يتجاوزوا الحدود[3] رغم أننا لا نعرف حدوداً كانت مرسومة بين الوادي وما جاوره وهو ليس سوى وهم ناتج من تصور الماضي على ضوء الحاضر أما من الشرق فقد كان حظ المهاجرين أكثر من ذلك عندما تمكن أحد رؤسائهم من الوصول إلى السلطة وهو (أرسو)[4]، وذلك دليل على هجرة شرقية دخلت الوادي وساعدت على وصوله إلى السلطة وظهور عدد من الموظفين الكبار من أصول شرقية قبل عهده مثل (باي) وهو إحدى الشخصيات التي ورد ذكرها في عهد (مرنبتاح سبتاح)[5]، ولعل ما يؤكد ذلك ما ورد لاحقاً في بردية هاريس على لسان رمسيس الثالث عندما ذكر إن مصر قد غزيت من الخارج[6] وظل الناس دون حاكم عليهم فتمكن هذا السوري من تنصيب نفسه عليهم، وهو الذي نال نصيبه من الشتائم كما هو معهود مثل القول بأنه نهب ممتلكات الناس وغضبت الآلهة عليه فسلطت (ست نخث) لينتقم منه وكأن ظلم الناس ونهب ممتلكاتهم صفة ملازمة

---

(1) محمد مهران، المغرب القديم، ص124.

(2) جان يويوت، مصر الفرعونية، ص140. انظر كذلك : دريتون، مصر، ص482.

(3) سليم حسن، مصر القديمة، ج7، ص286. .

(4) جان فيركوتير، مصر القديمة، ص132. انظر كذلك : عبدالعزيز صالح، مصر والشرق الأدنى، ص227

(5) عبدالحميد زائد، مصر الخالدة، ج2، ص750-751.

(6) أحمد فخري، مصر الفرعونية ص388. وسنعرض لهذه البردية عند حديثنا عن الحرب الليبية في عهد رمسيس الثالث.

لكل حاكم من غير أهل الوادي، وكانت الآلهة لا تغضب إلا على هؤلاء الصنف من الحكام، وهو ما تحاول تأكيده المصادر المصرية.

ويري البعض أن أرسو قد وصل إلى السلطة عن طريق جنوده[1] (السوريين) وفي كلتا الحالتين فان هذه الحادثة تشير بجلاء إلى الدور المتزايد لأهالي الجزء الشرقي للدولة من أهل الشام.

في هذا المناخ السياسي المضطرب يتمكن (ست نخث) من عزل أرسو ويتولى السلطة باذلاً جهده لتوحيد البلاد[2]، خلال العامين الذين قضاهما في الحكم ويتسلم البلاد ابنه رمسيس الثالث مبتدئاً عهداً جديداً وهو عصر الأسرة العشرين.

رمسيس الثالث وعهده:

اذا صدقنا الروايات التاريخية فإن عهد رمسيس الثالث لم يكن عهداً من الاستقرار واستتباب الأوضاع للسلطة المركزية إلا ظاهرياً فقد شهدت السنوات الثلاثين أو التي تزيد قليلاً من حكمه[3]، أحداثاً متلاحقة منها ثورة العموريون في بداية عهده والتي ربما أشعلها أنصار أرسو الذي أطاح به والد رمسيس الثالث (ست نخث)[4]، ثم الثورة الليبية الأولى في السنة الخامسة من حكمه، وبعدها هجوم شعوب البحر في السنة الثامنة لتقوم بعد سنتين الثورة الليبية الثانية وما يكاد يهنأ بانتصاره عليها حتى يتمرد حاكم اقليم (أتريب) وأكبر وزرائه عليه[5]، ورغم تمكنه من قمع هذا التمرد إلا أنه يعجز فيما يبدو في معرفة ما يدور داخل قصره وبين أقرب المقربين إليه عندما تحاك مؤامرة اغتياله والتي

(1) أحمد فخري، مصر الفرعونية، ص 389، 390.
(2) رمضان عبده على، تاريخ مصر، ص286.
(3) سيد توفيق، معالم تاريخ وحضارة مصر الفرعونية، ص328.
(4) أحمد فخري، مصر الفرعونية، ص390-391.
(5) برستد، تاريخ مصر، ص315.

يشترك فيها مصريون وليبيين وسوريين ونوبيين[1]، والتي ربما انتهت بقتله أو مات ميتة طبيعية وهو يتحسر على هذا العهد المليء بالأخطار[2]، والفتن السياسية اضافة إلى تمرد الطبقات الفقيرة مثل اضراب عمال المقابر وتحديهم لسلطته نتيجة لظروفهم المعيشية القاسية[3] من جهة والضرائب الباهظة التي كانت تجبي في عصره بكل قسوة وفضاضه[4].

الثورة الليبية الثانية (الحرب الأولى):

أ ـ تصور جديد للثورة الليبية:

لاشك أن حق الاختلاف مع الآخرين ركناً أساسياً من أركان البحث العلمي ودعامة مهمة من دعائم اثرائه ودونها يبقى جامداً وأسير تصورات محددة تفرض وجودها حتى ولو كانت غير صحيحة.

لقد آمن السلف الصالح من علمائنا بهذا المبدأ وهو ما نتج عنه ذلك الازدهار العظيم لمختلف الفنون والعلوم ومنها علم التاريخ في حضارتنا العربية الإسلامية رغم بعض الانتكاسات البسيطة نتيجة لظروف مختلفة فلا أحد يدعي الوصول إلى الحقيقة المطلقة وخاصة في مجال البحث التاريخي وخاصة فرعه القديم.

لقد توافر على دراسة التاريخ المصري عدد كبير من الباحثين الذين بذلوا جهداً عظيماً في رسم ملامحه واستخلاص النتائج من أحداثه ونصوصه حتى صار هؤلاء أعمدة لهذا التاريخ ومنهم برستد وغاردنر الأنجلو سكسونيين وماسبيرو ودريتون الفرنسيين وبروغش الألماني ومن يأتي في مقامهم من العرب

---

(1) عبدالحميد زائد، مصر الخالدة، ج2، ص311. انظر أيضاً : برستد، المرجع السابق، ص369.
(2) سليم حسن، مصر القديمة، ج7، ص541
(3) غاردنر، مصر الفراعنة، ص318. انظر كذلك:
(4) سليم حسن، مصر القديمة، ج7، ص587.

من سليم حسن إلى أحمد كمال إلى أحمد فخري وغيرهم فهل يجوز لباحث مبتدئ أن يفترض وجود حقيقة لم يلتفت إليها هؤلاء؟

من الناحية النظرية فإن ذلك ممكن أما من الناحية الواقعية فإن الأمر يحتاج إلى دراسة موسعة لتأكيدها أو رفضها ولكن ذلك لا يمنع من طرحها أسوة ببعض الاجتهادات الجريئة مثل تلك التي طرحها الباحث اليهودي مايكلوفسكي والتي سخر فيها من كل هؤلاء الباحثين وآرائهم السابقة وواضعاً تصوراً جديداً لهذا التاريخ(1) وهو ما لا ندَعيه في هذا المقام وإن كنّا نسوقه لنشير إلى موقف المؤسسات العلمية والمراكز البحثية في الغرب الذي رحب بهذه الأفكار ودعا إلى مناقشتها بكل تجرد وعقلانية.

إن ما نفترضه هو أن الحرب الليبية الأولى في عهد رمسيس الثالث ليست سوى نسخة مكررة لما وقع في عهد (مرنبتاح) ويدفعنا إلى ذلك التطابق الكامل بين رواية (مرنبتاح) عن حربه الليبية مع رواية رمسيس الثالث وهو تطابق يظهر في الهيكل العام للرواية وفي تفاصيلها الدقيقة كذلك كما يظهر حتى في التعبيرات اللغوية والاستعارات البلاغية الواردة في النصين فهل يمكن أن يتكرر حادثين منفصلين بينهما ثلاثة عقود بكل هذا التشابه الكامل؟ ولا نستثني من ذلك سوى بعض الاختلافات الطفيفة في أسماء القبائل والأماكن وهي اختلافات ظاهرة طوال التاريخ المصري نفسه وليست لها أهميتها فما هي أوجه التطابق تلك؟ انها تتمثل في:

1 ـ ان كلتا الهجمتين جاءتا من الغرب وهدفها احتلال مصر.

2 ـ ان الحادثين وقعا في السنة الخامسة من عهدي الفرعونين.

---

(1) (1) حول هذا الموضوع انظر : مايكلوفسكي، عصور في فوضى، المقدمة للمترجم، ص ص9-19، وكذلك بقية فصول الكتاب، وحول هذا الباحث انظر : علي فهمي خشيم، بحثاً عن فرعون العربي، ص307، وتجدر الإشارة هنا إلى انه بالرغم من جرأة أفكاره إلا انها تنطلق من نظرة عنصرية صهيونية لا تخفي على أحد.

3 ـ ان الطريق التي سلكها (الجيش الغازي) والمناطق التي احتلها واحدة.

4 ـ ان المعركة الحاسمة التي انتهت بهزيمة (الغزاة) جرت في مكان واحد تقريباً بموقعة ومساحته وحدوده.

5 ـ ان رده فعل الفرعونين واستقبالهما لنبأ الغزو وحالتهما النفسية والاجراءات التي اتخذاها واحدة تماماً.

6 ـ ان خروج الرجلين للمعركة والتحامهما مع العدو ووقائع الحرب تكاد تكون واحدة.

7 ـ ان صورة الهزيمة وحال المهزومين بعد المعركة ومصيرهم متطابقاً تماماً.

8 ـ ان بعض قيادات الغزاة هم أنفسهم في الحالتين.

9 ـ أن دوافع الغزاة والعامل الحاسم في ذلك هو الرغبة في احتلال مصر من جهة وتدخل الفرعون لتعيين حاكم عليهم لا يريدونه من جهة أخرى وهو السبب المشترك في كلتا الروايتين فهل يكون كل ذلك محض صدفة؟ ما يدعم الفكرة التي نطرحها قول أحد الباحثين يشكك الكثيرين في حقيقة هذه التسجيلات التي تعود لرمسيس الثالث وربما نقلت من حملات رمسيس الثاني واستعان رساموها بنقوش معبد الرامسيوم التابع لهذا الأخير[1]، وقول آخر إن بعض الأسماء قد نقلت حرفياً من نصوص مرنبتاح[2]، وقول باحث ثالث إن بعض هذه النقوش ليست سوى شكل زخرفي وأنه بالغ في تسجيل انتصاره على الليبيين وشعوب البحر وكان بذلك يقلد سلفه رمسيس الثاني في وضعه لمعركة قادش[3]، وقد نسي هذا الباحث أنه كان يقلد مرنبتاح أيضاً. إننا نطرح

(1) عبدالحميد زائد، مصر الخالدة، ج2، ص309.

(2) Beates, (E. L) OP, Cit, p221.

(3) عبدالمنعم عبدالحليم، حضارة مصر، ص307..

هذا التصور ونحن واثقون إن التعمق في بحثه وإن لم يسفر عن تأكيده، فان دراسة مقارنة للنصوص المصرية بعضها ببعض قد يؤدي إلى اكتشاف حقائق كثيرة بخصوص القيمة التاريخية لهذه النصوص وهو ما شكك فيه الكثير من الباحثين كما أشرنا إلى ذلك في بداية هذه الدراسة.

ب ـ مصادر الثورة:

ترك رمسيس الثالث عدد من المصادر التي اعتمد عليها الباحثون في دراسة وتحليل حربه ضد الليبيين وهي: -

أولاً: مصادر الحرب الأولى:

تتمثل في مجموعة من المناظر التي رسمت على الجدارين الغربي والشمالي لمعبد مدينة هابو وكذلك في متن مصاحب يشرح تفاصيل المعركة ويحتوي هذا المتن على (75) سطراً ومؤرخاً بالسنة الثامنة أي بعد ثلاث سنوات من المعركة ويمكن تقسيم هذا المتن حسب مواضيعه كما يلي[1]:

1 ـ تاريخ الحرب وعبارات المديح والوصف للفرعون من سطر (1 ـ 13).

2 ـ هزيمة العموريين من السطر (13 ـ 17).

3 ـ أملاك وأراضي رمسيس من السطر (17 ـ 20).

4 ـ حالة مصر قبل عهده من السطر (20 ـ 22).

5 ـ صفاته وشجاعته من السطر (22 ـ 26).

6 ـ الحرب الأولى من السطر (26 ـ 51) وتشتمل على وصف خطط الليبيين من السطر (26 ـ 28) ثم هزيمتهم من السطر (33 ـ 36) ثم انتصاره

---

(1) سليم حسن، مصر القديمة، جـ7، ص276. انظر أيضاً: Edgerton, W. F, and Wilson, J, Historical, Recordes of Ramesses III, Chicago, 1963, p.p 7-13 ونشير إليه مختصراً (Hist Rec) انظر أيضاً Breasted (A. R. E), Par. 36-47

عليهم من السطر(36 ـ 39) وبعد ذلك مصير من بقي منهم حياً (39 ـ 43) وأخيراً ندم الليبيين على مصيرهم (42 ـ 51).

ثانياً: مصادر الحرب الثانية:

ويشمل بعضها إشارات إلى الحرب الأولى وهي:

1 ـ متن السنة الحادية عشرة ويوجد على الجدار الشرقي لمعبد مدينة هابو[1].

2 ـ مناظر المعركة على الجدار الشرقي[2].

3 ـ قصيدة الاحتفال بالنصر[3].

4 ـ ورقة هاريس الكبرى (بردية هاريس)[4] [5].

مجريات الحرب:

تبدو مجريات الحرب الليبية الأولى في عهد رمسيس الثالث متشابهة جداً مع ما رأيناه في حرب (مرنبتاح) واذا ما أخذنا بتصورات الباحثين المعتمدة على النصوص التي ذكرناه سابقاً فإنها تشير إلى أن القبائل الليبية قد استغلت فترة

---

(1) سليم حسن، مصر القديمة، جـ7، ص ص303 أ 304. انظر: Edgerton, (Hist, Rec) op. Cit. p. p 80-83 وكذلك Breasted, (A.R E)4 op.Cit. part, 83-92

(2) Edgerton, op. Cit. p. p 75

(3) ibid, p93-107

(4) سليم حسن، المرجع السابق، ص ص 312-315. وكذلك ص ص 371-372.

(5) وهي أكبر بردية مصرية مكتشفة حتى الآن عثر عليها عام 1855م قرب معبد الدير البحري، وهي موجودة الآن بالمتحف البريطاني، ويبلغ طولها حوالي (40) متراً، وتتكون من (117) عموداً كتبت بالخط الهيراطيقي وتتحدث البردية عن عصر رمسيس الثالث من بدايته إلى نهايته، وتعتبر أهم مصدر من مصادر تاريخ الأسرة العشرين وقد تعرض لها بالدارسة والتحليل عدد كبير من المهتمين بالتاريخ المصري، وكانت نصوصها مجالاً للأخذ والرد بين هؤلاء الباحثين حيث أدى سوء فهم بعض نصوصها أحياناً إلى أخطاء مشينة. انظر: سليم حسن جـ7، ص337، والمرجع نفسه كذلك، ص341. و Breasted (A. R. E)4 par15-18، وكذلك: ايفار ليستر: الماضي الحي، ترجمة: محمد أبو المحاسن عصفور، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، 1981م، ص72

الفوضى التي أعقبت موت مرنبتاح وأعادت تنظيم صفوفها وبدأت تتدفق نحو الوادي وخاصة في عهد ست نخث[1]، أما الذين كانوا موجودين منهم داخل الوادي نفسه فقد استغلوا ذلك للتحرر من دفع الضرائب وأعمال السخرة والخدمة في الجيش[2]، أي إنهم بمعنى آخر أرادوا الاستقلال عن كل سلطة للفرعون عليهم[3]، وهو أمر يتناقض بالطبع مع سياسة (رمسيس) الذي يهدف إلى القضاء على كل من يقف في وجه سلطانه على البلاد كلها ومما شجع الليبيين على ذلك تدخل رمسيس الثالث في شئونهم بمحاولة فرض حاكم عليهم كانوا لا يريدونه[4]، وكذلك انشغال رمسيس الثالث في حربه للأموريين في الشام كما شجعهم على ذلك تواجد شعوب البحر في المنطقة ورغبتهم المشتركة في غزو الوادي مما دفع الطرفين إلى التحالف لتحقيق هذا الغرض[5]، وإن كان هناك من يعارض هذه الفكرة معارضة شديدة ويرى انه ليست هناك أية علاقة بين الحرب الليبية وبين حرب شعوب البحر وهو نفس التصور الذي لاحظناه في حرب مرنبتاح تماماً[6]، أما عن القبائل التي اشتركت في(الغزو) فهي حسب المصادر المصرية (الليبو والسبد[7] والمشواش)[8] أحياناً و(تمحو - سبد - مشواش)[9] حيناً آخر ويعلق سليم حسن على هذا الخلط في

---

(1) جان يويوت، مصر الفرعونية، ص140، انظر كذلك : سليم حسن، مصر القديمة، ج7، ص286.

(2) دريتون، فانديه، مصر، ص482.

(3) محمد مهران، المغرب القديم، ص125.

(4) شامو، الأغريق في برقة، ص44.

(5) Breasted, (Camp. A. H) VoL2 OP, Cit, p. 173

(6) Edgerton and Wilson, (Hist R ec) I , op. Cit. p 77

(7) السبد وهي قبيلة تذكر لأول مرة في النصوص المصرية، وقد وصفوا بالشراسة، ويبدو أنهم كانوا يعيشون على الساحل حول الجبل الأخضر، وربما كانوا قبيلة صغيرة تحت حكم الليبو. انظر : تاريخنا، الكتاب الأول ص111. لكن نصوص رمسيس الثالث تشير إلى أنهم كانوا يعيثون فساداً في مصر يومياً، مما يشير الى تواجدهم داخل مصر، انظر: Edgerton, (Hist R ec) I. op Cit. p 13-14

(8) Gardiner (E.P) op. Cit, p283 وكذلك ibid. p.7

(9) محمد أبو المحاسن عصفور، تاريخ مصر، ص201. وكذلك: ibid. p.13

الأسماء بانه نتيجة لاختلاط التسميات والتي صارت كل منها تدل على الأخرى أي إن هذه التسميات المختلفة لا تعني شيئاً قدر إشارتها لليبيين بصفة عامة[1] أما قبيلة التحنو فقد كان دورها نفس الدور الذي نلاحظه في حرب مرنبتاح تماماً، حيت تصور بأنها كانت الضحية الأولى للهجوم حيث سُحقت وأحتُلت أرضها من قبل الليبو أثناء تقدمهم نحو مصر دون أن تفسر لنا المصادر المصرية السبب في مصير هذه القبيلة دون غيرها ولا نجد له تفسيراً سوى مجرد تقليد النصوص السابقة وبصورة حرفية تماماً

أما عن الهجوم فان خطته هي أيضاً صورة طبق الأصل لما حدث في عهد مرنبتاح حيث يقتحم الليبيون الحدود من الغرب تحت لواء قبيلة (الليبو) وزعيمها (مري بن ديد) ومعه مجموعة من القادة الآخرين مثل (ورمر - يثمر- مشكن)[2] وقد اختلف الباحثون حول شخصية (مرى) هذا و(دد) حيث يرى البعض أنه من غير الممكن أن يكون قائد الحملة الليبية في عهد مرنبتاح لا يزال حياً في هذا الوقت وإن ابنه (مري) كان قد عزل من القيادة[3]، بينما يظن آخرون إنه نفس القائد[4]، ويذهب البعض إلى القول إن الأسماء ليست سوى نقل حرفي من نصوص مرنبتاح وليس لها علاقة بالواقع[5]، واذا استثنينا الرأي الأول فإن كلا الرأيين الآخرين يبدوان معقولين فتولي (دد) وابنه (مرى) القيادة ليس مستحيلاً لأن الزمن الفاصل بين الحربين لا يزيد عن ثلاثين عاماً فلو كان (دد) في سن الخمسين في عهد مرنبتاح مثلاً فليس من المستغرب من قائد بدوي أن يستمر في قيادة قومه رغم تقدم السن كما إن القول بنقل الأسماء من نصوص مرنبتاح ليس غريباً على المصادر المصرية التي تعودت على ذلك كثيراً.

(1) سليم حسن، مصر القديمة، جـ7، ص287.
(2) سليم حسن، مصر القديمة، جـ7، ص287.
(3) سليم حسن، مصر القديمة، جـ7، ص288. وكذلك: Bates (E. L) OP. Cit, p.221
(4) شامو، الأغريق في برقة، ص44.
(5) المرجع نفسه.

أما برستد فله رأي مخالف لهذه الآراء جميعها فهو يرى أن قائد (الليبو) في ذلك العهد كان (ورمر) وإنه بعد موته عينوا عليهم (يثمر) وهو الذي قاد الحرب ضد رمسيس الثالث[1] ولا يقدم (برستد) المصدر الذي استخلص منه هذا الرأي.

زحف القبائل الغازية:

يبدو خط سير القبائل الليبية مطابقاً لزحف هذه القبائل في حرب مرنبتاح وكأنهم يسيرون على (طريق معبد) وسط الصحراء فلا يخرجون عنه حتى الوصول إلى مكان المعركة المحدد حيث ينتظرهم فرعون وجيشه ليبيدهم وينزل بهم هزيمة ساحقة ويعود كما عاد مرنبتاح مبتهجاً بنصره، ليسجل عدد القتلى والأسرى والغنائم ويبدو مكان المعركة ومشهدها مطابقاً أيضاً في مواصفاته لمعركة مرنبتاح فهي تجري في منطقة صحراوية قريبة من منف يرى البعض إنها قرب وادي النطرون[2]، بينما يرى آخرون إنها على مقربة من الفرع الكانوبي أي في نهاية الطريق الساحلي أو في (كوم أبوبللو) أو الطريق الواصل بين الصحراء والدلتا[3] أما (غاردنر)[4] فيظن أنها في الصحراء قرب بحيرة مربوط أما ساحة المعركة فقد كانت بين قريتي (وسر ماعت رع آمون) وقرية (حوت شع) أو قرية الرمل كما تترجم[5]، وقد ملئت هذه الساحة الواسعة التي تصل إلى (8 أتر)[6] أي حوالي 80كم بجثث القتلى الليبيين،

---

(1) برستد، تاريخ مصر، ص454.
(2) عبدالعزيز صالح، حضارة مصر القديمة، جـ1، ص237.
(3) أحمد فخري، مصر الفرعونية، ص372.
(4) غاردنر، مصر الفرعونية، ص130.
(5) سليم حسن، مصر القديمة، جـ7، ص288.
(6) يري سليم حسن، المرجع السابق، ص283، أن (الأتر) مقياس مصري لا يعرف مقداره، لكن غاردنر: (Onom, 2. op, Cit, p135) فيقدره بعشرة كيلو مترات، أي إن ساحة المعركة كانت تمتد ثمانين كيلو متراً حسب ما ورد في المصادر المصرية، وهو تصور غريب طبعاً ولا تفسير له سوى مجرد تقليد ما ورد عند مرنبتاح.

وهي نفس المنطقة تماماً ، التي وقعت فيها معركة مرنبتاح مع اختلاف بسيط حول إحدى نهايات المنطقة التي توصف عند مرنبتاح بجبل بداية الأرض بينما يصفها رمسيس (جبل نهاية الأرض).

نصوص رمسيس والحرب:

مثلما استندنا إلى نصوص مرنبتاح نفسها، في نفي فكرة الغزو، وانها كانت ثورة ضد حكمه فاننا سنستعرض بعض مصادر رمسيس الثالث وما ذكرته، والتي سوف تقودنا بوضوح إلى نفس النتيجة، رغم انها لا تحتوي إلا قدر ضئيل من الحقائق التاريخية، كما يقول سليم حسن[1].

تذكر النصوص صراحة، أن الليبو والمشوش كانوا ينهبون مصر سنين عديدة عند اقامتهم بها، من الشاطئ الأيمن حتى مدينة منف، بل وصلوا حتى النهر الكبير على شاطئيه، ولذلك فانهم قد خربوا البلاد، ولم يجدوا من يتصد لهم[2] حتى جاء جلالته، حيث وجدهم يتآمرون وقد احتشدوا في جمع لا يحصى يريدون أن يجعلوا أنفسهم سادة مصر، رغم انهم طلبوا بأنفسهم رئيساً عليهم وكان ذلك بأفواههم وليس بقلوبهم، ورغم أن جلالته كان قد ربّى طفلاً صغيراً منهم ليجعله رئيساً عليهم[3] إلا أنهم فيما يبدوا قد رفضوا ذلك، ويحق لنا أن نسأل: متى فكر رمسيس في هذه الخطة؟ هل هي قبل غزوهم، أما بعد دخولهم مصر؟، إن مجرد اشارته إلى تربية طفل ليكون رئيساً عليهم، يعني العلاقة الوثيقة بين الطرفين، وأنهم كانوا داخل نفوذ سلطته حيث لا نستطيع أن نتصوره يربي طفلاً صغيراً ليصير في المستقبل حاكماً على قوم خارج حدود دولته، لينظم لهم أرضهم كما يقول[4].

حين رأى رمسيس الثالث فشل خطته لوقف الثورة، استجمع قواه وناشد

---

(1) سليم حسن، مصر القديمة، ج7، ص284.

(2) Breasted (A. R. E)4, OP, Cit, par 36-47

(3) Edgerton, (Hist Rec) I, OP, Cit, p25

(4) تاريخنا، الكتاب الأول، ص173.

الآلهة أن تنصره "وارتحل جلالته إلى بلاد تمحو التي تحت سلطانه[1]، وكان الإله آمون يذهب معه إلى المكان الذي يرغب فيه جاعلاً قلبه فرحاً في البلاد الأجنبية[2]، ولا ندري كيف يوصف هؤلاء بالغزاة بينما يذكر أن بلادهم كانت تحت سلطانه ويصل رمسيس هو وآلهته، إلى موقع المعركة التي تنتهي سريعاً بفوزه المبين عليهم، حيث يقيم من جثثهم هرم في عقر دارهم[3]، وهو اعتراف صريح بأن موقع المعركة، كان في عقر دار هؤلاء الغزاة، وهى كما عرفنا، على مقربة من الدلتا وفي مواجهة مدينة منف، ويكون بذلك قد أودى بتمحو وسبد الذين كانا يعيثون فساداً بمصر[4].

بعد هذا الانتصار يعود رمسيس الثالث كما عاد (مرنبتاح) لينقش على جدران معبده خبر فوزه العظيم بعد إن استعرض الأيدي المقطوعة وأكوام(أعضاء التذكير) وآلاف الأسرى من الرجال والنساء والأطفال، ويبدو انه استغرق ثلاث سنوات حتى يستكمل تسجيل انتصاره، أو بعبارة أخرى لينقل نصوص مرنبتاح حيث أرخت نصوصه بالعام الثامن من حكمه. وفي نفس الوقت أيضاً يقوم الشعراء بتدبيج قصيدة تمجد انتصاره كما فعل (مرنبتاح) في قصيدة النصر التي مرت بنا سابقاً.

تجدد الثورة: الحرب الليبية الثانية:

يبدو استعراض الحرب الليبية الثانية في عهد رمسيس الثالث مملاً نتيجة للتشابه بين الروايتين من جهة وتطابقها مع رواية مرنبتاح من جهة أخرى، ومع ذلك فاننا نقوم باستعراضها لتأكيد أوجه التشابه وما تقود إليه من معاني.

يجدر بنا في هذا المقام أن نشير إلى بعض الملاحظات الأساسية حول هذا الموضوع وهي:

(1) Edgerton, (Hist. Rec) I, OP, Cit, p5.

(2) ibid. p6.

(3) سليم حسن، مصر القديمة، ج7، ص287.

(4) Edgerton, (Hist. Rec) I, OP, Cit, p13-14.

أ - إن هذه الحرب وقعت بعد ست سنوات فقط من الحرب الأولى والتي أدعى رمسيس الثالث تحقيقه نصراً ساحقاً على القبائل الليبية، فكيف يمكن لهذه القبائل بعد هزيمتها الساحقة الماحقة أن تستجمع قواها لتعيد الحرب مرة أخرى.

ب - وفرة مصادر هذه الحرب مقارنة بالحرب الأولى[1]، ويبدو أن رمسيس الثالث شعر بالخجل من نقل نصوص غيره فأراد أن يضيف نصوص أخرى من عنده.

جـ - البروز الواضح لقبيلة (المشوش) ودورهم القيادي في هذه الحرب في حين كان الليبو هم أصحاب الزعامة في الحرب الأولى وهو ما يدعونا إلى التوقف قليلاً حول هذه القبيلة والتي سيكون لها دور كبير في سياسة وادي النيل مستقبلاً.

المشـوش:

كان أول ظهور للمشوش على الآثار المصرية في عهد تحتمس الثالث من الأسرة الثامنة عشرة (1504 ـ 1450) ق.م[2]، حين ذكر أسمهم على جزء من آنية فخارية من قصره، وقد ورد في النقش الذي حملته تلك الآنية وصول كميات من الدهن الطازج من أبقار المشوش[3]، وكان ذلك على شكل جزية أو إنها جزء من عملية تبادل اقتصادي بين الطرفين، ثم يظهر المشوش مرة أخرى، في عهد رمسيس الثاني كجنود في الجيش المصري إلى جانب قبائل أخرى، وهو ما دفع (وينرايت) إلى القول[4]، أنهم ربما ظهروا قبيل أو في عهد رمسيس الثاني، حيث صاروا يؤلفون فرقاً من الجيش المصري[5]، مع الشردن والقهق

(1) انظر ص187 : من هذه الدراسة.

(2) Wain Wright. G. A; The Meshwesh, (J. E. A) VOL1962, p. 89

(3) تاريخنا، الكتاب الأول، ص103.

(4) Wain Wright (J. E. A), Op, Cit, p.99

(5) مهران، المغرب القديم، ص85.

والنوبين، ويقول شامو إن المشوش كانت تعيش قرب الحدود المصرية منذ عهد الأسرة التاسعة عشرة[1]، وأنهم كانوا أول القبائل التي استقرت قرب التحنو واندمجت معهم، وقد أعتقد البعض إن المشوش من شعوب البحر لأن تسميتهم تنتهي بنفس المقطع الموجود في أسماء تلك الشعوب التي ظهرت في المصادر المصرية، وهو (شا) مثل (ترشا) و(أقاوشا) ولكن ذلك كان مجرد مصادفة فقط[2] وقد اعتقد غاردنر إن المشوش هم الماساى الذين ذكرهم هيرودوت والذين يقول عنهم انهم يعيشون بمجاورات تونس[3]، ولكن شامو يرفض هذه الفكرة، ويرى انه من المبالغة أن نعتمد على التشابهات اللفظية،في تقرير مثل هذه الأحكام التاريخية، وانه من الأوفق، إن نقول أنهم الأدروما خيداى الذين ذكرهم هيرودوت، والذين كانوا قرب الحدود المصرية، وكانوا متمصرين،كما يذكر ذلك المؤرخ[4].

وقد اشترك المشوش مع الليبو في حروب مرنبتاح، ثم في الحرب الأولى ضد رمسيس الثالث، حتى صارت لهم القيادة في حربهم الثانية. وقد جاء في المصادر المصرية إن ليبو ومشوش يسكنون أرض مصر[5]، كما جاء فيها أيضاً لقد أبيدت أرض مشوش مرة واحدة[6]، وحيث إن الفراعنة لم يخوضوا أية حرب خارج حدود مصر الغربية، فلابد إن أرض مشوش هذه، تقع أو تمتد داخل الحدود الحالية لمصر.

والواقع إن وجود المشوش داخل الحدود المصرية الحالية أو في الجهات الشرقية من ليبيا الحالية لا يمنع من الافتراض انهم كانوا يقطنون في تونس الحالية، وذلك لاعتبارين أثنين: أولهما امكانية هجرة هؤلاء من مناطقهم

(1) شامو، الأغريق في برقة، ص47.
(2) Gardiner, (E. P) OP Cit, P283.
(3) Gardiner, (ONOM) I op Cit, P.119
(4) شامو، الأغريق في برقة، ص47.
(5) Breasted (A. R. E)4 op. Cit, P.36
(6) سليم حسن، مصر القديمة، جـ7، ص310.

الأصلية إلى الشرق أسوة بغيرهم من القبائل الأخرى وثانيهما امكانية تواجد هؤلاء كقبيلة كبرى على طول هذه المنطقة من تونس حتى مصر، وهو أمر نجد ما يقابله في عصور لاحقة عندما توزعت بعض القبائل الكبرى على مساحة كبيرة من الأرض مثل قبيلة (هوارة) على سبيل المثال التي كانت تنتشر من مصر شرقاً، وحتى المغرب غرباً[1].

لقد تغلغل المشوش في الدولة المصرية منذ عهد رمسيس الثالث الذي أدخلهم في جيشه، ووصفهم بالمشوش الشجعان[2]، وكان هؤلاء والآخرين من مهاجرين وأسرى نواة القوة التي أسست الأسرة الليبية الثانية والعشرين حيث عرف زعمائهم برؤساء المشوش العظماء وهي صفة يوجد لها ما يماثلها في شط الجريد بتونس كما يقول الباحث رشيد الناظوري[3].

وقعت الحرب الثانية في السنة الحادية عشرة من حكم رمسيس الثاني، وبعد عامين فقط من حربه مع شعوب البحر كما تذكر مصادره، فقد استطاع (كبر) زعيم قبيلة المشوش اعادة تنظيم قبيلته[4]، التي بدأت فيما يبدو تتزعم القبائل الأخرى بعد إن وحدتها تحت لوائها[5]، أو على حسب قول النصوص المصرية جعل منهم رفاقاً[6]، وقد استنتج (دريتون) من هذا النص إن خلافاً قد وقع بين القبائل الليبية بعد هزيمتهما في الحرب الأولى فظهرت شخصية (كبر)

(1) تلعب الظروف السياسية والطبيعية دوراً كبيراً في تشتيت أو توزيع بعض القبائل الكبيرة في عدد من المناطق دون وجود اتصال جغرافي بين فرع وآخر وهو ما نلاحظه في عصرنا الحالي حيث تتواجد بعض فروع من قبائل ليبية في ليبيا ودول مجاورة كتونس أو تشاد أو النيجر أو السودان، وهي ملاحظة يدركها كل مهتم بالتنظيم القبلي في هذه المنطقة.

(2) شامو، الأغريق في برقة، ص46.

(3) رشيد الناظوري، المغرب الكبير، جا، ص224.

(4) مهران، المغرب القديم، ص133. انظر أيضاً: أحمد فخري، مصر الفرعونية، ص392.

(5) Wilson. J, The Libyans and The end of Egyptian Empir, (in, A.J.S.L) Vol. I. 1935. P.79

(6) دريتون، مصر، ص485.

الذي أعاد توحيدها وتولى قيادتها[1]، وقد شارك ابنه (مشش) في القيادة وربما كان القائد الميداني المباشر للحرب[2]، ثم زحف المهاجمون وهم متفقون على هدف واحد كما تقول المصادر المصرية والذي عبروا عنه بقولهم (سنستوطن مصر)[3]. ولا ندري أية (مصر) هذه التي تقول المصادر المصرية انهم قرروا استيطانها؟ حيث لا تستقيم هذه العبارة من واقع النصوص المصرية نفسها، إلا إذا كان المقصود بمصر منطقة الدلتا ذاتها.

وهكذا وبعد ست سنوات فقط تحول الذين كانوا يقولون إن الاختفاء حسن، وإن السلامة في الكهوف إلى جيش مهاجم[4]، بعد إن وضعوا خطة التآمر بالعصيان مرة أخرى[5]، رغم الدرس الذي لقنه لهم رمسيس الثالث في حربه الأولى وكأنهم لم يستفيدوا من الدرس السابق أو إن عوامل الثورة الأولى كانت لا تزال موجودة، والواقع إن الفرعون لم يكن مستعداً لقبول مثل هذا العصيان، حيث انه لم يكن هناك ثوار فيما سبق في تلك الأراضي، بل كانوا يأتون مسترحمين كلهم وحاملين جزيتهم ومقدمين الخضوع[6]، كما قال في قصيدته التي تمجد انتصاره.

بدأت هذه الجموع تندفع نحو الدلتا الغنية وهي (ضيعة) فرعون التي لا ينافسه فيها أحد، وقد وصلوا في تقدمهم حتى الفرع الكانوبي بعائلاتهم وأمتعتهم[7]، واستمر تقدمهم حتى (قروبين) قرب مدينة منف، وبذلك سيطروا على المنطقة من رأس الدلتا جنوباً حتى قاعدتها الغربية شمالاً[8]،أو المنطقة من

(1) دريتون، مصر، ص485.
(2) مهران، المغرب القديم، ص134.
(3) سليم حسن، مصر القديمة، ج7، ص304.
(4) تاريخنا، الكتاب الأول، ص174.
(5) سليم حسن، مصر القديمة، ج7، ص315.
(6) المرجع نفسه، ص314.
(7) Wilson (L. E. E) OP. Cit. p.79
(8) Petrie (H. E) OP. Cit p.148

القاهرة إلى الاسكندرية حاليا[1] وهي المنطقة المحصورة بين حيكوبتاح (منف) وحتى قروبين، وبذلك سيطروا على النهر الكبير (الفرع الكانوبي) من جميع نواحيه[2]، ثم اخترقوا الفرع الكانوبي متوغلين في الدلتا بعمق حوالي (16) كيلو متر[3]، وهناك جرت المعركة بينهم وبين جيش رمسيس الثالث في نفس الموقع الذي جرت فيه المعركة الأولى فيما يبدو رغم الاختلاف البسيط في التسميات.

هاجم الليبيون أحد الحصون الذي يعرف باسم (هانشو) والذي كان يقابله حصن آخر تتمركز فيه قوات الفرعون وبين هذين الحصنين حوصر الجيش المهاجم وألحقت به الهزيمة الكبرى كالتي وقعت بالحرب الأولى وهناك سُحق الليبيين كما يقول برستد[4] وأوقع بهم الفرعون مذبحة مروعة[5]، وقد عبر رمسيس عن ذلك بقوله لقد أذللت مشوش وليبو وأسبت وقيقش وشابت والهس والبقن، وكان هناك عشرات الآلاف من نسائهم وأطفالهم[6]، ويعني بذلك الأسرى وقد لاحظ الباحثون هنا بعض التسميات الجديدة التي ظهرت لأول مرة، والتي اعتبرها البعض كلمات أجنبية أولع رمسيس الثالث بذكرها[7]، دون تحديد معناها وإن كنا نعرف الآن انهما تسميات لقبائل ليبية أو هي فروع صغيرة للقبائل المعروفة سابقاً.

أما عن خسائر الليبيين في هذه المعركة فقد تمثلت في (8633) قتيلاً وغنم رمسيس أسلحتهم التي كانت من ضمنهما(239) سيفاً[8]. وقد أثار ذلك الشك في حقيقة هؤلاء المهاجمين نتيجة للعدد القليل من السيوف مقارنة بالعدد الكبير

(1) ibid. p.148

(2) غاردنر، مصر الفراعنة، ص287.

(3) سليم حسن، مصر القديمة، ج7، ص318.

(4) برستد، تاريخ مصر، ص456، 457.

(5) Gardiner, (Onom)2. OP, Cit, p.135

(6) غاردنر، مصر الفراعنة، ص287.

(7) المرجع نفسه، وكذلك الصفحة.

(8) مهران، المغرب القديم، ص83.

من الضحايا حتى إن النسبة بين العددين هي 1 : 35 كما يقول بعض الباحثين وهو[1] ما يدلل على حقيقة الأمر في أنهم لم يكونوا جيشاً مقاتلاً بل مجرد مهاجرين يريدون الاستقرار أو قبائل متمردة هاجمهما الفرعون دون أن تكون لها رغبة في القتال فأباد منهم عدد كبير وأسر الآخرين وكان من ضمن القتلى (مشثر) نفسه قائد الليبيين الذي يبدو أنه قد أسر ثم قتل بدليل أن والده كبر حضر إلى فرعون بعد نهاية المعركة يطلب الصلح لانقاذ ولده[2]،أو كما يقول النص المصري جاء مفاوضاً ومعه جيشه[3] لانقاذ ابنه (مشثر) لقد جاء كالرجل المعصوب العينين وألقى سلاحه هو وجيشه على الأرض[4]، ويبدو إذا ما صدقنا هذه العبارة أن (كبر) أراد أن يعبر عن رغبته في السلم والاتفاق مع الفرعون عن حل يرضي الجميع، ولكن جواب الفرعون كان سريعاً فقد انقض عليه جلالته وطحنهم وسحقوا وقبض على (كبر) وذبح[5]، أي أن فرعون وبعد أن أمن الجيش الذي كان مع كبر حين ألقى سلاحه هجم عليهم جميعاً وسحقهم وهم عزّل من أي سلاح بعد أن عجز عن تحقيق ذلك عند مطاردته لهم لأكثر من(20) كيلو متراً في الصحراء خارج الدلتا[6]، وهي كل المسافة التي استطاع فرعون وجيشه أن يجتازها في تتبع الليبيين بعد المعركة وكانت تلك المسافة هي التي تفصل بين بلاد الفرعون وبلاد الليبيين (الغزاة) كما يصورهم.

بهذه النتيجة صار مشوش وليبو وجزيتهم من نصيب آمون[7]، وأبيدت أرض مشوش دفعة واحدة[8]، ولم يجدوا سوى السجود على وجوههم بينما

(1) المرجع نفسه، ص83.
(2) Breasted, (A. R. E)4. OP, Cit, part. 101.
(3) سليم حسن، مصر القديمة، ج7، ص315.
(4) Edgirton, (His. Rec) OP, Cit, p.92
(5) نفس المرجع السابق.
(6) أحمد فخري، مصر الفرعونية، ص392.
(7) سليم حسن، مصر القديمة، ج7، ص312.
(8) المرجع نفسه، ص310.

اغتصبت أرضهم[1]، ويعجب المرء ويتسآل أية أرض تلك التي أبيدت؟ إذا كانوا هم داخل الدلتا نفسها، وأية أرض تلك التي اغتصبت منهم إذا كانوا هم يوصفون بالغزاة؟ والواقع إن الاجابة عن هذه التساؤلات تأتي من مصادر رمسيس نفسها حين يقول: كان ليبو ومشوش قد استقروا بمصر[2]، وحين يقول أيضاً: كان الليبو والمشوش يسكنون مصر[3]، إن المتتبع بدقة لمصادر رمسيس الثالث يخرج بنتيجة مهمة وهي أن مصر التي يتحدث عنها رمسيس ليست سوى تلك الرقعة الزراعية الضيقة حول الوادي وهي التي يدافع عنها الفرعون ويرى أن كل من يقترب منها يصير غازياً حتى ولو كان يقيم ببضع خطوات بعيداً عنها. ومن هنا نفهم ذلك اللبس بين اعتبار الليبيين غزاة، وبين اقامتهم الثابتة داخل حدود الدولة المصرية مع امتدادهم الطبيعي غرباً.

أما عن مصير الأسرى من نساء وأطفال ورجال أحياء فقد تمثلت في خطة رأي رمسيس الثالث انها سوف تحل له مشكلة أولئك المشاغبين والخارجين عن سلطته وهذه الخطة هي ترحيلهم الجماعي من مكان اقامتهم إلى الضفة الشرقية للدلتا حيث وزع بعضهم كعبيد ضمن أملاك معبد آمون، ووضع الآخرين ضمن جيشه في حصون المناطق الحدودية[4]، إن ريبو ومشوش نقلوا عبر النهر وأحضروا إلى مصر ووضعوا في حصون الملك كي يصغوا إلى الحديث فقلب لغتهم حتى يجبروا على السير في الطريق التي لم يسيروا فيها من قبل[5].

ونلاحظ في هذا النص المفهوم الصريح لمدلول (مصر) كما يراه رمسيس وهو الذي أسلفنا الإشارة إليه سابقاً.

وقد رأي بعض الباحثين في هذه العبارة أن رمسيس الثالث أراد تعليمهم

(1) المرجع نفسه، ص307.
(2) غاردنر، مصر الفراعنة، ص287.
(3) سليم حسن، مصر القديمة، ج7، ص318.
(4) شامو، الأغريق في برقة، ص44.
(5) مهران، المغرب القديم، ص139.

اللغة المصرية حتى ينسوا لغتهم الأصلية استناداً إلى عبارته (يصغوا إلى الحديث) وفي رأيي أن هذه العبارة لا تتعلق بتعليم اللغة فليس لدينا أي دليل على إن هؤلاء كانوا يتكلمون لغة مختلفة عن اللغة المصرية، وانما المقصود منها، إحداث تغيير جوهري في حياة هؤلاء من حياة البادية التي تنفر من كل سلطان وتتمرد على كل سلطة إلى حياة حضرية تسهل فيها السيطرة عليهم فيصغوا إلى الحديث ويتركوا حياة التمرد التي تعودوا عليها سابقاً. لكن أحلام فرعون مصر رمسيس الثالث، وخطته تجاههم، قد عادت بنتيجة معاكسة تماماً وهو ما عبر عنه يويوت[1] بقوله: إن المشوش الذين عبروا النهر شرقاً ليصغوا إلى الحديث احتلوا الدلتا عوضاً عن أن ينسوا لغتهم الأصلية وهو يشير بذلك إلى تمكنهم من الوصول للسلطة، وتأسيس الأسرة الثانية والعشرين.

إن ما نستخلصه من هذا العرض لأحداث عهد رمسيس الثالث، لو كان صحيحاً من الناحية التاريخية فهو إن الدولة كاطار سياسي تحتاج إلى حدود تدافع عنها حتى ولو كانت مجرد خطوط وهمية تفصل أرض عن أرض وجزء من شعب عن غيره[2] وإن الحرب بهذه الصفة لم تكن بين ليبيين ومصريين، بل بين حكومة ذات قوانين ومصالح محددة، وبين شعب لا يخضع بالضرورة لهذه القوانين والمصالح[3]، وإن محاولات الحكومة الفرعونية المستمرة لعزل الوادي وراء خطوط وهمية أمام البدو الرحل عن طريق العمليات العسكرية لم تنجح لأن تلك القبائل وإن عجزت عن مواجهة الجيوش في ساحات المعارك فإنها تتسرب خلف خطوطها مهاجرة حتى تحقق أهدافها[4].

(1) جان يويوت، مصر الفرعونية، ص144.
(2) تاريخنا، الكتاب الأول، ص159.
(3) المرجع نفسه، وكذلك الصفحة.
(4) المرجع نفسه، ص174.

4

الفصل الرابع

الحكم الليبي فى مصر

المبحث الأول: الأوضاع السياسية في مصر قبيل قيام الحكم الليبي.

المبحث الثاني: التطورات السياسية وعلاقة الدولة بالأقاليم المجاورة في عهد الحكم الليبي.

المبحث الثالث: النتائج السياسية والاجتماعية والحضارية لحكم الليبيين في مصر.

المبحث الأول

الأوضاع السياسية
في مصر قبيل قيام الحكم الليبي

كان رمسيس الثالث آخر فراعنة الدولة الحديثة المحاربين، ومن بعدة جاء ملوك لم يحملوا من تطلعاته، سوى الاسم فقط، من رمسيس الرابع وحتى الحادي عشر، حيث سادت الفتن الثورات والاضطرابات الداخلية مما جعل المعلومات التاريخية عنهم نادرة جداً[1]، فيما عدا الازدياد الواسع لنفوذ الطبقة الكهنوتية لآمون وخاصة فى عهد آخرهم وهو رمسيس الحادي عشر، عندما ظهر (حريحور) الكاهن الأكبر، الذى صار اشبه بالملوك[2]، وفى مثل هذه الأوضاع، فقدت مصر، نفوذها فى آسيا وما أن مات رمسيس الحادي عشر، حتى أعلن (حريحور) نفسة ملكاً على مصر الوسطى، حين كان (سمندس) يعلن نفسه هو أيضاً ملكاً فى الشمال. ويبدأ بعهدهما عصر الأسرة الحادية والعشرين. والذى يتميز بقدر كبير من الود والصفاء، بين هذين الرجلين، عبر عنه (حر يحور) باظهار ولائه (لسمندس)، وكان ذلك ظاهرياً

(1) رمضان عبده علي، تاريخ مصر، ص 315.

(2) المرجع نفسه، ص 324، وكذلك : عبد الحميد زائد، مصر الخالدة، ج 2، ص 785 وكذلك عبد العزيز صالح، مصر والشرق، ص 243

على الأقل[1]. أشرنا عند استعراضنا للعلاقات الليبية المصرية القديمة فى عهد الدولة الحديثة، إلى ارتفاع شأن رجال الجيش، حتى كان معظم فراعنة هذه الدولة، من ضباط الجيش، كما ارتفع شأن كهنة أمون، بدعم من الفراعنة أنفسهم، حتى صاروا يمثلون دولة داخل الدولة، أو (بابوية آمونية) كما وصفهم بذلك أحد الباحثين لذلك فإن الدور المتميز الذى بدأت تلعبة طيبة وكهنتها، فى عصر الأسرة الحادية والعشرين[2]، كان نتيجة مباشرة لتلك السياسة، وسيكون أيضاً عاملاً حاسماً فى قيام حكم الأسرة الليبية. كما سوف نرى.

انقلاب السحر على الساحر

فى أثناء صراعه المرير مع القبائل الليبية، عمل رمسيس وفق سياسة ذات شقين، كان يرى فيها حلا لذلك الخطر، أما الشق الأول، فهو الاستعانة بهؤلاء الليبيين فى جيشة والاكثار منهم، متطوعين أو أسرى، ووضعهم فى الحصون والقلاع الحدودية، حتى صار معظم الجيش المصري مكوناً من الليبيين دون سواهم[3] أما الشق الثاني، فهو محاولة توطين تلك القبائل البدوية، لاتقاء خطرها عند تحويل أفرادها، إلى مجتمع مستقر تمكن السيطرة عليها فنقلهم عبر النيل إلى الضفة الأخرى (ليصغوا إلى الحديث) كما مر بنا سابقاً ويبدو أنهم قد أصغوا إلى الحديث جيداً، وتعلّموا اللغة التي يستطيعون بها تحقيق أهدافهم دون الحاجة إلى الاصطدام العنيف بالسلطة الحاكمة كما حدث سابقاً وهكذا فقد انقلب السحر على الساحر كما يقولون، كأن لسان حالهم يقول: ﴿إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَٰحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ﴾[4] استعرضنا سابقاً آراء المؤرخين حول أصول قبيلة المشوش الليبية، التى ينسب إليها تأسيس الأسرة الثانية والعشرون،

---

(1) Gardiner (E.P) OP CIT. P.305

(2) عن ملوك هذه الأسرة وترتيبهم. انظر : عبد العزيز صالح، مصر والشرق ص 607.

(3) برستد، تاريخ مصر، ص 493، وكذلك سليم حسن، مصر القديمة، جـ 7، ص 79، وكذلك: شامو، الأغريق فى برقة، ص 48، وكذلك علي فهمي خشيم، بحثاً عن فرعون العربي، ص 336.

(4) سورة طه : الآية 69

ومما ينبغي الإشارة اليه، إن هذه القبيلة لم تكن لوحدها عند اصطدامها مع السلطة الفرعونية الحاكمة. بل كانت تمثل القيادة فقط لحشد من القبائل الأخرى، لذلك يمكن القول، إن الوجود الليبي الكثيف، الذى ترتب على تلك الأحداث، إنما كان يمثل اتحاداً ضم معظم القبائل الليبية، خاصة وإن الفراعنة لم يعودوا يفرقون بين دلالات الأسماء التي يطلقونها على تلك القبائل لذلك فمن الممكن القول إن هذه الأسرة الحاكمة، كانت مؤلفة من هذه القبائل، وليست من المشوش فقط، وإن كانت الزعامه منهم، ولعل خير دليل على ذلك، إن جد الأسرة الأول (بويوواوا) يوصف باسم (بويوواوا تحنو)[1]، فى حين أنه من المشوش.

شجرة نسب الأسرة:

يبدو إن علم الأنساب لم يكن علماً خاصاً بأهل الجزيرة العربية فقط، بل أنه كان سائداً لدى اخوانهم من أهل المغرب أيضاً، وهو ما جعل أحد أبناء الاسرة الليبية، يحرص على وضع شجرة نسب لأسرته، يصل إلى الجيل السادس عشر، احساساً منه بقيمة ذلك لدى اهل المنطقة عامة، والبدو بصفة خاصة، حتى ولو سكنوا المدن وصاروا من اهل العمران، وتعد من أهم وثائق نسب الاسرة التي سنستعرضها: -

أ- لوحة حارباسن

أما حور باسن فهو القائد الحربي والكاهن الأعظم للإله (حرشف) في مدينة (أهناسيا) وذلك فى عهد الفرعون شيشنق الرابع، وقد أقام هذه اللوحة بمناسبة دفن عجل ابيس، وهي مناسبة دينية يحتفل بها المصريون والليبييون كذلك. وقد عثر على هذه اللوحة فى (السرابيوم) وهو مقر دفن العجل ابيس فى (منف) وهي محفوظة الآن بمتحف اللوفر بباريس[2].

---

(1) برستد، تاريخ مصر، 493
Breastid (A. R. E)4 OP. Cit, Part 795-792

(2) عن أهم مراجع هذه اللوحة انظر: Breastid (A. R. E)4 OP. Cit, Part 795-792
وكذلك: سليم حسن، مصر القديمة، ج9، ص 84 -85. وكذلك: دريتن، مصر، ص574
وكذلك: تاريخنا، الكتاب الاول، ص 180-181. وكذلك: Bates (E. L) OP. Cit. p. 228

سجل حورباسن على هذه اللوحة، نسبه حتى الجيل السادس عشر، وكان ذلك في العام السابع والثلاثين من حكم الفرعون شيشنق الرابع، أي في أواخر أيام الأسرة الثانية والعشرين، وحسب هذه اللوحة، فإن أصل الأسرة يعود إلى جدها الأعلى وهو (بويوواوا)، والذي يقول عنه سيلم حسن[1]، أنه من أصل لوبي (تحنو) وهو ما يشير إلى ظاهرة اختلاط القبائل والاسماء فيما يتعلق بالقبائل الليبية في وادي النيل، ثم يأتي بعدها ابنه (ماواساتا) الذي يقرأ اسمه احياناً (ماوشى) ثم ابنه (نب نشي) والذى خلف (باثوت) ويذكر بعض الباحثين[2]، أن الاسمين الأولين يشيران صراحة إلى أصولهم الليبية، في حين تظهر على الاسمين الأخرين من ناحية شكلهما مسحة مصرية ويبدو وهذا الأمر معقولاً، لأن مرور جيلين على وجود هذه الأسرة، في وادي النيل لا بد وإن يحدث بعض التغييرات في اسمائها، نتيجة لاختلاطها بمجتمع وادي النيل، كما يظهر إن معلومات (حور باسن) عن أجداده الأربعة الأولين، كانت متواضعة، حيث أنه لم يذكر شيئاً عن القابهم أو أسماء زوجاتهم[3]، ويفسر سليم حسن[4]، هذا الأمر بإنه ربما يعود إلى أن هؤلاء الأجداد قد عاشوا في عصور قديمة جداً أو لأنهم كانوا أجداداً أسطوريين للأسرة، ولكن (برستد) يقرر حقيقة وجود (بويواوا) عندما يقول إنه كان مقيماً في (أهناسيا)[5]، وربما هاجر إليها من الواحات، حيث استقرت الأسرة في بداية عهدها وذلك في أواخر حكم الرعامسة، الذي شهد ازدياد نفوذ الليبيين[6]، وخاصة نفوذهم الديني، حتى يمكن القول إن معظم هؤلاء الأجداد كانو كهنة في هراقليوبوليس[7] [8]، حيث

(1) سليم حسن، مصر القديمة، ج 9، ص 85.
(2) تاريخنا، الكتاب الاول، ص 181.
(3) تاريخنا، الكتاب الاول، ص 181.
(4) سليم حسن، مصر القديمة، ج 9، ص 86.
(5) برمستد، تاريخ مصر، ص 493.
(6) تاريخنا، الكتاب الاول، ص 182.
(7) غاردنر، مصر الفرعونية، ص 359.
(8) هيراقليوبولس، وهي التسمية اليونانية لمدينة اهناسيا.

نعرف إن ابن (بويوواوا) وهو (ماواساتا) كان أحد كهنة الآلهة (حرشف) وهو المنصب الذي توارثه ابناء الأسرة[1]، حتى صار بعضهم من ذوي القوة والنفوذ في تلك المنطقة[2]، وخاصة منذ الابن الثالث (نب نشي) وباثوت من بعده ومن هؤلاء الأربعة، يأتي الجد الثاني للأسرة ياثوت الذي اقترن بالأم الملكية (محتنوسخت)[3]، وبدأ بذلك الطريق نحو إقامة علاقات وثيقة بالأسرة الفرعونية الحاكمة، فقد تزوج ابنه شيشنق من(تنت سبح) والتي انجبته له (نمروت) والذي مات في حياه ابيه شيشنق، وقد اقترنت حادثة موته بالحدث الذي يدل على مدى قوة ونفوذ الأسرة الليبية حيث دفن في (ابيدوس) لكن بعض اللصوص عبثوا بقبرة ومحتوياته فرفع والده دعوى إلى الفرعون (سا آمون) مطالباً بمعاقبة المتهمين، وقد اهتم الفرعون شخصياً بالأمر، وذهب بنفسه إلى طيبة، لتعرض القضية على الإله (آمون) ويصدر حكمه فيها وكان الحكم لصالح شيشنق، وهو ما يدل على نفوذ هذه الأسرة، السياسي والديني[4]. كان شيشنق هذا فيما يبدو، من أشهر رجال الأسرة، وحاز على نفوذ عظيم في الدولة وكان من اوائل من حملوا لقب (رؤساء المشوش) ويرى بعض الباحثين إن شيشنق هذا كان في ذلك الوقت، في بوبسطة[5]، وليس في اهناسيا وبوبسطة هي مركز الحكم في الأسرة الحادية والعشرين وقد حمل ابنه المتوفى (نمرود) لقب (رئيس الجيش كله) والرئيس الأعظم للأجانب[6]. أن هناك أدلة كثيرة على مدى النفوذ الذي حققته هذه الأسرة بصفة خاصة وأنصارها من المشوش بصفة عامة، ومن ذلك على سبيل المثال إن الفرعون رمسيس

(1) تاريخنا الكتاب الأول، ص182. وتذكرة بعض المراجع باسم (موسن) انظر: أحمد فخري، مصر الفرعونية، ص416.

(2) رمضان عبدة علي، تاريخ مصر، ص 345.

(3) المرجع نفسه، ص345.

(4) أحمد فخري، مصر الفرعونية، ص 416.

(5) مهران، المغرب القديم، ص 148.

(6) المرجع نفسه، ص 149.

الحادي عشر أصدر قراراً يدعو فيـه الناس الذيـن تعودوا أن يعطوا خبزاً للمشوش عليهم وأن يقدموه حالاً[1]، وهو يعني بذلك تموين الفرق العسكرية المكونة من المشوش ومن هذه الفترة أيضاً خطاب من أحد الوزراء يقول: سوف تأتون وذلك بعد الاطلاع الدقيق على كيفية اطعام المشوش[2]، وتخصيص (المشوش) بالذكر يدل على إن معظم الجيش كان منهم.

كان ابن شيشنق المتوفى (نمرود) قد خلّف ابناً أسماه شيشنق، وهو الذي عاش في عهد الفرعون (بوسنس) الثاني وصار من الرجال الأقوياء في الدولة عندما تولى قيادة المشوش العسكرية والدينية واستطاع أن يزوج ابنه (أوسركون) من إبنة الفرعون ابسوسنس وهي (ماعت كارع) وبفضل نفوذه الديني والعسكري العريض، وثروته الكبيرة ومصاهرته للفرعون، صار الرجل الأول في الدولة. ومع وفاة[3] الفرعون (بسوسنس) الثاني انتقلت السلطة سلمياً إلى شيشنق، ليضع بذلك اسس الأسرة الليبية الحاكمة الثانية والعشرين ويمكننا بعد هذا الاستعراض أن نعيد نسب مؤسس هذه الأسرة كما يلي:

أ ـ شيشنق بن نمرود بن شيشنق بن نب نشيى بن ماواساتا بن بويوواوا[4].

ب ـ لوحة دارسي: إضافة إلى لوحة (حور باسن) السالفة الذكر، فقد اعتمد الباحثون على وثائق تاريخية أخرى، للبحث في أصول هذه الأسرة ومن بينها (لوحة دارسي)[5] والتي يظهر جزئها الأعلى شخصية تتعبد للإله (أوزير) وكان اللقب المصاحب لتلك الشخصية الرئيس العظيم لقوم «مي» المرحوم، أما الجزء السفلي، فقد ورد نقش يشير إلى من قام بعمل هذه اللوحة، حيث يشير النص إلى أنَّ من عمله هو (الرئيس

---

(1) المرجع نفسه، ص 144.

(2) المرجع نفسه، ص 145.

(3) رمضان عبدة علي، تاريخ مصر، ص347. انظر ايضاً : سيد توفيق، مصر الفرعونية، ص 386.

(4) Bates; (E. L.) op. Cit. P.228

(5) سليم حسن، مصر القديمة، ج9، ص 86. وقد نشرها الباحث (دارسي) وسميت باسمه.

العظيم لقوم مي)، أما الجزء السفلي فقد ورد فيه نقش يشير إلى من قام بعمل هذه اللوحة وهو عظيم العظماء شيشنق المرحوم، ابن الرئيس العظيم لقوم مي المسمى نمروت، المرحوم، وأمه هي بنت الرئيس العظيم لقوم مي وتسمى تنت سبح المرحومة بجوار العائش أبدياً[1]، وهذا النسب الوارد في اللوحة يتفق مع ما ورد في لوحة (حورباسن).

جـ - مرسوم (العرابة المدفونة)[2]، وقد نقش على لوحة من الجرانيت، عثر عليها في منطقة العرابة المدفونة، في الجهة الجنوبية الغربية، من (كوم السلطان) وهي تعود إلى الفترة التي بدأ فيها نفوذ الأسرة الليبية في الازدياد وتشتمل تلك اللوحة على نص الحكم الذي أصدره الإلٰه آمون في قضية الاعتداء على مقبرة (نمروت) بن شيشنق، ويدل الحكم على مدى النفوذ الكبير للأسرة فقد قضى الحكم بأدانه المتهمين وقضى بصنع تمثال للأمير (نمرود) ونقله في حراسة عدد كبير من الجنود والسفن، أو كما يقول النص: جيشاً عظيماً ليحميه ومعه سفن عديدة يخطئها العد[3] حتى يوضع التمثال في معبد أوزيريس في أبيدوس[4]، في مكان خصص ذلك بالتحديد[5] ويتتضح من ذلك المرسوم، مدى اهتمام الفراعنة، وكهنة آمون بارضاء شيشنق مما يدل على نفوذه وقوته ودوره في سياسة الدولة، كما يدل المرسوم على ثرائه الواسع ويظهر ذلك من الوقف الذي أوصى به لمعبد ابنه الميت والذي شمل مئة (أرورا) من الأرض و(25) عبداً من الرجال والنساء وحديقة و(100) دبن من الفضة[6].

---

(1) سليم حسن، مصر القديمة، ج 9، ص 87.

(2) المرجع نفسه، ج 8، ص 747-763.

(3) المرجع نفسه، ج 8، ص 764.

(4) أحمد فخري، مصر الفرعونية، ص 316.

(5) غادوئر، مصر الفراعنة، ص 358

(6) Breasted (A. R. E) 4 op. Cit. par. 671.

د - أما الوثيقة الرابعة التي تتحدث عن نسب الأسرة فهي صدرية الفرعون (شيشنق الثاني) التي عثر عليها فوق مومياء هذا الفرعون وهي بما وجد مكتوباً عليها تؤكد النسب السابق الذي أشارت إليه المصادر المختلفة وقد لاحظ الباحثون من هذه الوثيقة عادة متبعة في الأسرة منذ ظهور اسم شيشنق وهي أن كل ابن بكر من الابناء كان يسمى (نمروت) وهكذا يتوالى اسمى (شيشنق ونمروت)[1].

شيشنق فرعوناً

كانت ظواهر الأحوال التي استعرضناها سابقاً، توحى بأن (شيشنق الثاني)[2]، صار يمتلك كل المؤهلات التي تجعلة فرعون مصر في المستقبل فقد صارت لدية القوة العسكرية، باعتباره القائد الأعلى للجيش المكون في أغلبه من أنصاره الليبيين، كما صار لأسرته النفوذ الديني المطلق على كهنة آمون، الذين يمثلون السلطة الدينية، إضافة إلى علاقته الوثيقة بالأسرة الحاكمة بزواج ابنه من ابنة الفرعون (بسوسنس) الثاني وما أن رحل هذا إلى قبره حتى رحل شيشنق إلى قصر الحكومة ليصير فرعون مصر الجديد دون أن يجد أية معارضة حقيقية من الشعب الذي لم ينظر إليه كغريب أو أجنبي كما تحاول أن تصوره بعض المراجع[3]، خاصة وأنه قد أظهر اخلاصه لمصر واستقلالها[4].

تثبيت حكمه: ولا يعني ما ذكرناه سابقاً، إن عهده قد خلا من كل معارضة فذلك أمر نادر الحدوث في عهد كل الفراعنة دون استثناء، وكان أول طرف معارض لهذه السلطة الجديدة هم كهنة آمون، الذين رآوا إن توليه السلطة سوف يهدد نفوذهم وسلطتهم التي اكتسبوها من قبل، خاصة وهو الخبير بمدى

---

(1) سليم حسن، مصر القديمة، جـ 9، ص 88.
(2) ونعني بذلك الثاني في الأسرة الذي يحمل اسم (شيشنق) حيث كان جده يحمل هذا الاسم ولكنة في الواقع (شيشنق الاول) بالنسبة لمن حملوا هذا الاسم وهم فراعنة.
(3) عبد العزيز صالح، مصر والشرق، ص 262.
(4) محمد بيومي مهران، المغرب القديم، ص 150.

هذا النفوذ، كما كان شيشنق من جانبه، يدرك الخطر الذي يمثلة نفور هؤلاء منه، فعمل على اتباع سياسة تقيه من هذا الخطر، ولذلك نراه يسارع بتعيين ابنه الثالث (اوبوت) كبير كهنة آمون[1] ورغم ذلك فقد اندلعت ثورة الكهنة في طيبة، ضد حكمة، خوفاً على مصالحهم، مما أدى إلى تدخل شيشنق، والقضاء على هذه الثورة، وفرار قادة الكهنة إلى الجنوب، وهم الذين أسسوا فيما بعد مملكة (نباتا)[2] [3]، واستطاع شيشنق بذلك أن يزيل أكبر خطر يهدد سلطة الأسرة. وهو خطر الكهنة العظماء، الذين كانوا يعتبرون انفسهم أسرة حاكمة، بجانب الأسرة الفرعونية[4]. إذا ما استبعدنا عامل الصدفة، أو التطور الطبيعي لمجريات الأمور، وافترضنا أن شيشنق كان يسير وفق مخطط مرسوم للوصول إلى السلطة، فاننا نرى معالم هذا المخطط، قد مر بخطوات اساسية كانت ناجحة وموفقة فكانت الخطوة الأولى سيطرته على القيادة العسكرية العليا للحاميات الليبية في الجيش المصري، والتي كانت تمثل غالبيته، والثانية تدعيم هذا النفوذ العسكري بالسيطرة على مركز السلطة الدينية في طيبة بدعم وتأييد من كهنة الإله (حرشف) في أهناسيا، حتى صار مسؤولاً مباشرا على كهنة آمون، أما الخطوة الثالثة فكانت التقرب من السلطة الحاكمة ومصاهرتها، ليعطي لسلطته المستقبلية الشرعية المطلوبة، وهو شكل من أشكال (الزواج السياسي) الذي اتبعه مع كهنة آمون أيضاً، عندما زوَّج ابنه الثاني، من ابنة (بينزم) رئيس كهنة آمون[5] أما خطوته الرابعة، فكانت نقل مقر العائلة إلى (بوبسطة) في الدلتا، وهو يدرك أهمية الدلتا كمقر للحكومة. ومن هناك ظل ينتظر حتى رحيل آخر فراعنة الأسرة الحادية والعشرين، وانتقال السلطة إليه سلمياً، وبسط نفوذه على الدلتا أولاً، ثم على طيبة ثانياً، حوالي 945 ق.م.

---

(1) رمضان عبده علي، تاريخ مصر، ص 353.
(2) Gardiner (E.P) OP. Cit, P.327
(3) وهي قضية اختلف البائون حولها.
(4) تاريخنا، الكتاب الاول، ص 184.
(5) غاردنر، مصر الفراعنة، ص 365.

ملـوك الأسـرة:

بينما يقدر مانيثون فترة حكم الأسرة الثانية والعشرين بحوالي 120 سنة، فإن المؤرخين المعاصرين يميلون إلى تحديد أكثر من قرنين لهذه الأسرة، أي من 950 ق.م إلى حوالي 750 ق.م[1]، وقد اعتمد هؤلاء على فترات حكم ملوك الأسرة كما يظهر من الآثار التي تركوها والتي تظهر تفاوتاً بين ما يقرره مانيثيون لهم، وما يظهر على آثارهم. أما عن عدد ملوك هذه الأسرة، فيشير مانيثيون إلى أنهم كانوا تسعة[2]، بينما تظهر الآثار أكثر من أحد عشر فرعوناً، وإن كان الغموض الذي يلف بعض الشخصيات يجعل من الصعب التأكد من فترات حكمهم، أو الأحداث التي رافقت وجودهم في السلطة خاصة مع تداخل حكم هذه الأسرة مع الأسرة الثالثة والعشرين.

أما أشهر هؤلاء الملوك فهم: -

أولاً: شيشنق الأول:

وهو مؤسس الأسرة، والشخصية الثانية التي تحمل هذا الاسم، حيث عرف جده بهذا الاسم أيضاً، والملاحظ إن هذه التسمية تتكرر في عدد من ملوك الأسرة يصل إلى (خمسة)[3]، وهناك اختلاف في التحديد الدقيق للسنة التي تولى فيها الحكم وكذلك في نهاية عهده ولكن الاتجاه السائد هو اعتبار الفترة من 950 ق. م إلى 929 ق.م هي التي تمثل عهده[4]، وبينما يشير ماينيثون إلى أنه حكم (21) سنه[5]

---

(1) المرجع نفسه، ص 356.
(2) غاردنر، مصر الفراعنة، ص 356.
(3) يرى الباحث، علي فهمي خشيم، إن هذا الاسم يعني (الأخ الملك) دون أن يذكر الأساس الذى استند إليه في تفسير الاسم، خاصة وإنه قد ورد بصوره متعددة منها: (شيشق وشوشنق وسوساكوس، كما هو لدى الأغريق) انظر للباحث: التوصل دون انقطاع، ص 112. كذلك: تاريخنا، الكتاب الأول، ص186.
(4) أحمد فخري مصر الفرعونية، ص 421، وكذلك: رمضان عبده علي تاريخ مصر ص 352.
(5) سليم حسن، مصر القديمة، جـ9، ص 106. انظر كذلك: أحمد حسين، موسوعة مصر، ص147.

وهي مدة تتوافق مع التاريخ المذكور آنفاً، لكن الآثار التي عثر عليها تدل على أنه حكم ما لا يقل عن (24) سنة، وربما لكونه معاصراً في زعامته للِّيبيين لآخر فراعنة الأسرة الحادية والعشرين، مما يجعل من الصعوبة تحديد سنة تولي الحكم، وربما يفسر ذلك التاريخ الذي افترضه برستد لنهاية حكمه وهو عام 920 ق.م، بينما اضاف سليم حسن السنوات الثلاث إلى بداية عهده الذي يعتبر عام 945 ق.م[1]، ولا شك أن شيشنق هو أشهر فراعنة هذه الأسرة ليس لكونه مؤسسها فقط، ولكن للأحداث الهامة التي جرت في عهده والتى سوف نتناولها لاحقاً.

ثانياً: أوسركون الأول 929 ـ 893 ق.م:[2]

وهو ابن شيشنق الأول، ويرى مانيثون أنه قد حكم (15) سنه[3]، وكان في عهد أبيه قائداً للجيش[4]، ولكن ما اكتشف من آثار تدل على أنه حكم فترة أطول من ذلك وتصل إلى حوالي 36 سنه[5]، حيث عثر على لوحة في العرابة المدفونة تشير إلى العام السادس والثلاثين من حكمه. ولعل ذلك يشير إلى الفرق الكبير بين تقدير مانيثيون، وتقديرات المؤرخين المعاصرين وهي الأدق، لانها مبنية على ما وجد من آثار تعود لعهده أو لعهود غيره من الفراعنة الآخرين. لقد حذا أو سركون الأول حذو أبيه شيشنق، في محاولته جمع السلطتين الدينية والسياسية، فقام بتعيين أكبر أبنائه وهو (شيشنق) كاهناً أكبر لطيبة وقام هذا بدوره بجعل المنصب وراثيا في أسرته، مما كان له نتائجه البالغة على الأسرة[6]، استفاد اوسركون من الازدهار الذي ترتب على سياسة أبيه الخارجية، وخاصة في الشام، وليس أدلّ على ذلك من تبرعاته الضخمة للمعابد

---

(1) سليم حسن، مصر القديمة، ج9، ص 106.
(2) أن هذا التاريخ، وتواريخ فراعنة الأسرة الآخرين، هي تقديريه وتختلف من مؤرخ لآخر وسنأخذ هنا بما هو سائد لدى هؤلاء.
(3) سليم حسن، مصر القديمة، ج9، 193.
(4) احمد حسين، موسوعة تاريخ مصر، ج 1، ص 203.
(5) سليم حسن، المرجع السابق، ص. 193
(6) فيركوتير، مصر، ص 267.

والتي وصلت إلى أكثر من الف رطل ذهباً وفضة[1] وقد توفي بعد حكمه الطويل عام 893 ق م[2].

ثالثاً: تاكلوت الاول: 893 ـ 870 ق.م:

درجت هذه الأسرة على اطلاق تسميات متشابهه على أبنائها، مما أسهم في خلق الغموض والاضطراب، حول المعلومات التاريخية، لبعض أفرادها، وينطبق هذا الأمر، على تاكلوت الاول، فقد تشابه اسمه، واسم بعض أفراد أسرته، مثل زوجته (كابس) وابنه نمرود وهو ما أدى إلى صعوبة التمييز بينه وبين الآخرين، ولعل ذلك هو الذي أدى إلى الاختلاف في تقدير فترة حكمه. ففى حين يرى بعض الباحثين إن فترة حكمة زادت عن الثلاث وعشرين سنه، أي منذ وفاة والده وسركون الأول عام 893 ق.م وحتى العام 870 ق.م[3]، واذا اخذنا بهذا الافتراض، فأنه يكون قد عمر طويلاً حيث أنه قد تولى السلطة وكان يبلغ من العمر اكثر من (68) سنه[4] أي أنه عاش حوالي (90) سنة. يرفض باحثون آخرون هذا التقدير، ويذهبون إلى أن هذا الملك، لم يتجاوز في حكمه الست أو السبع سنوات وذلك[5]، استناداً إلى الآثار التي ترجع لعهده، والتي تم اكتشافها حتى الآن وتؤرخ بالسنة السادسة من حكمة والتي تتمثل في مقياس النيل المنسوب لعهده. إن الظاهره الشائعة بكثير في هذه الأسرة، هي إشراك الملوك أبنائهم أثناء حكمهم، ومن هنا يمكن التوفيق بين التاريخين بأن التاريخ الأطول، إنما يمثل فترة حكمه شاملة الوقت الذي حكم فيه بالاشتراك مع

---

(1) برستد، تاريخ مصر، ص497

(2) رمضان عبده علي تاريخ مصر القديم، ص357، ويرى مؤلفوا موسوعة تاريخنا إن سنة وفاته هي (888ق م) أي أنه حكم ما يقرب من احدى واربعين سنه. انظر : تاريخنا الكتاب الاول، ص147.

(3) غادنر، مصر الفراعنة، ص361. انظر كذلك : عبدالحليم نور الدين، تاريخ وحضارة مصر، ص268.

(4) رمضان عبده علي تاريخ مصر القديم، ص358

(5) Bneasted (A. R. E) OP. Cit. Part 695. Note, 4

والده. وإن كان هذا الافتراض لا يلغى حقيقة الشك والغموض، الذي يحيط بعهد هذا الملك[1].

رابعاً: أسركون الثاني 870 ـ 850 ق.م:

هو ابن تاكلون الأول، وواحد من اشهر ملوك هذه الأسرة، بعد مؤسسها شيشنق الأول، ويفترض بعض الباحثين، تولى ملك آخر قبله السلطة، وهو الذي يعرف بشيشنق الثاني، وهو ابن أوسركون الأول، الذي كان الكاهن الأكبر في طيبة، وقد حاز على نفوذ كبير، حتى أنه حمل لقب الملوك، كما جعل منصب الكاهن وراثياً في أسرته[2]، ولكنه حكم فترة قصيرة لا يعرف عنها أية معلومات ذات قيمة. وربما كان هو الذي خاض معه أوسركون الثاني صراعه، لبسط نفوذه على كهنة طيبة[3].

تولى أوسركون الثاني السلطة في سن الخمسين، واستمر في الحكم حوالي (29) سنة، وقد حمل لقب ابن الإلهة (بست) وهي من فصيلة القطط، وقام بتعظيم عبادتها[4]، وهو ما ميزه عن بقية ملوك الأسرة[5]، وربما كان ذلك بدافع صراعه مع كهنة أمون حيث كان عمه شيشنق، قد اكتسب نفوذاً كبيراً هناك في طيبة، مما أجبر أوسركون على الدخول في صراع معه، ومع ورثته وانتهى باستعادة نفوذه على طيبة، وتعيين ابنه تمرود كاهناً اكبر[6]، ومما يدل على مدى الانشقاق في الأسرة ذلك الدعاء الذي ينسب إليه طالباً من الآلهة أن تجعل أولاده في الوظائف التي عينهم فيها، وإن لا يجعل قلب أخ يكبر ويعظم على قلب أخيه[7]، كما منح قدر كبير من الاستقلاليه لمدينة طيبة، في محاولة منه

(1) سليم حسن، مصر القديمة، ج9، ص 194.
(2) عبد الحميد نور الدين، تاريخ وحضارة، ص267.
(3) برستد، تاريخ مصر، ص 497.
(4) سليم حسن، مصر القديمة، ج 9، ص 220، 221.
(5) تاريخنا، الكتاب الاول، ص 206.
(6) عبد الحليم نور الدين، تاريخ وحضارة، ص268.
(7) برستد، تاريخ مصر، ص 497.

لتفادي مزيد من الإنشقاق والخلاف بين أبنائه من بعده[1] وأصدر قراراً باعفائها من كل الالتزامات[2]، وقد رجح بعض الباحثين أن يكون أوسركون الثاني، هو القائد (ذارح) الأثيوبي، الذي ذكرت التوراة أنه حاول غزو المملكة اليهودية، لكنه هزم على يد القائد اليهودي آسا[3]، كما سوف نتعرض له في حينه. أشرك أوسركون الثاني معه في الحكم، وهو في سن السبعين، ابنه شيشنق، لكنه ـ أي ابنه ـ توفي في حياته، فأشرك معه ابنه الآخر (تاكلوت) وهو الذي صار ملكاً من بعده بأسم (تاكلوت الثاني)[4].

خامساً: تاكلوت الثاني:

وهو ابن اورسكون الثاني وإن كان هناك من يظن انه ابن شيشنق الثاني[5] وذلك لتشابه أسماء أبناء هذه الأسرة، كما أشرنا سابقاً، كما اختلف الباحثون في بداية حكمه والفترة التي قضاها في الحكم، فبينما يحدد البعض فترة حكمة 848 ـ 823ق.م[6] إلا أن برستد يعيد حكمه إلى سنة 860 ق.م[7]، بينما يحجم آخرون عن تحديد سنة حكمة نتيجه للاضراب في التحديد الدقيق لها. ويطال ذلك أيضاً سنوات حكمه، التي يرى (مانيثيون) أنها كانت (15) سنة في حين تظهر المخلفات الأثرية أكثر من (25) سنه[8]، وقد يعود ذلك إلى احتساب فترة مشاركته أبيه في السلطة، التي ربما تجاوزت سبع سنوات، قبل أن يتفرد هو بالسلطة بعد موت والده، ويرى بعض الباحثين أن

---

(1) غاردنر، مصر الفراعنة، ص 362. انظر أيضاً: أحمد حسين، موسوعة تاريخ مصر، جـ1، ص148.
(2) المرجع نفسه، كذلك الصفحة.
(3) تاريخنا، الكتاب الأدل، ص 208.
(4) سليم حسن، مصر القديمة جـ9، ص 318.
(5) رمضان عبده علي: تاريخ مصر، ص 359.
(6) محمد أبو المحاسن عصفور، معالم تاريخ، ص.216 انظر كذلك : رمضان عبده علي: تاريخ مصر، ص359
(7) سليم حسن، مصر القديمة، جـ9، ص 318.
(8) سليم حسن، مصر القديمة، جـ9، ص318.

انتشار ظاهرة إشراك الملوك لأبنائهم في السلطة، إنما يعود إلى الاضطراب والخوف على ضياع العرش من الأسرة، نتيجة للتنافس الشديد من قبل بعض الأطراف الأخرى، خاصة وإن محاولة السيطرة على المؤسسة الدينية في طيبة جاءت نتيجته عكسية، حيث صار أبناء الأسرة الذين يتولون كهانتها طرفاً رئيسياً في هذا الصراع[1].

ولعل الإشارة إلى وجود ثلاثة ملوك في عهد تاكلوت الثاني، دليلاً على هذا الاضطراب[2]، كما إن الشك في نسبته إلى أوسركون الثاني حيناً، والى شيشنق حيناً آخر يزيد من هذا الاحتمال[3]، حتى أن بعض المؤرخين يعتقد أنه قد تزوج ابنة أوسركون الثاني، وأن هذا الأخير رأى في ذلك وسيلة لاستعادة وحده الأسرة والبلاد، التي بدأت تنفرط نتيجة للصراع بين أبنائها[4]. ومما يشير إلى الاضطراب إن تاكلوت الثاني، قد واجه ثورة في الجنوب استطاع أن يقضي عليها، وأن يعين ابنه (أوسركون) على رأس كهنة طيبة، وهو حل رأينا كيف أنه لم يؤدي إلى الهدف المطلوب، ومما زاد من تعقيد الأمور، موت تاكلوت الثاني، دون أن يخلف وريثاً للعرش[5]، حتى رأى (برستد) أن الدولة بدأت تضمحل في عهده[6].

سادساً: شيشنق الثالث 823 ـ 772 ق.م:

يبدو أن الأمور قد اضطربت بعد تاكلوت الثاني، حتى إن مانيثون لم يستطع معرفة سنوات حكم الملوك الثلاثة الذين جاءوا بعده، فقال إنهم قد

---

(1) محمد ابو المحاسن عصفور، معالم تاريخ، ص211.
(2) أحمد حسين، موسوعة تاريخ مصر، ج 1، ص 148.
(3) انظر : ص214 من هذه الدراسة، هامش (1).
(4) عبد الحميد نور الدين، تاريخ وحضارة مصر، ص 268.
(5) عبد الحميد زائد، مصر الخالدة، ج2، ص859. انظر كذلك: رمضان عبده علي تاريخ مصر القديم ص360
(6) برستد، تاريخ مصر، ص498.

حكموا جميعاً (41 سنه)[1] لكن للمؤرخين المعاصرين رأي آخر يناقض ما ذهب عليه مانيثون حيث تتوافر معطيات أثرية تشير إلى العام التاسع والثلاثين من حكم شيشنق الثالث[2]، بينما يذهب آخر إلى أنه حكم أكثر من (51) سنة[3]، ويبدو أن هذا التقدير، يشمل السنوات التي قضاها شريكاً لوالده تاكلوت الثاني، في السلطة، ولكن ذلك يصطدم مع اعتبار بعض المؤرخين أنه ليس ابناً لتاكلوت الثاني، بل كان مغتصباً للعرش، بعد أن تمكن من حرمان ابن تاكلوت الثاني (أوسركون) الذي كان كاهناً أكبر على طيبة، من الوصول للعرش[4]، ولعل ما يدعم ذلك اندلاع الثورة، في طيبة، في العام الخامس عشر من حكمه، والتي استطاع أن يقضي عليها[5]، وإن كان ذلك لا يمنع من القول أن عصره كان مضطرباً رغم طوله[6]، والواقع أنه من الصعب الفصل في هذا الأمر نتيجة لاختلاط الأمور، وتعاصر الأسرتين الثانية والعشرين والثالثة والعشرين. ومما يجدر ذكره هنا أن هذا الملك، يذكر باعتباره الرابع الذي يحمل اسم شيشنق لدى بعض الباحثين، الذين يعترفون بحكم شيشنق، الذي تولى السلطة بعد أوسكركون الثاني[7]. كما يجدر بالذكر، ارتفاع صيت (حرسا ايزيس) كبير كهنة طيبة، في أواخر عهد هذا الملك، وهو الذي يعتبر عند البعض مؤسس الأسرة الثالثة والعشرين[8] أو على الأقل واضع أسس هذه الأسرة.

سابعاً: بامي 772 ـ 767 ق.م:

لقد حمل هذا الفرعون، اسماً يبدو غريباً مقارنة بأسماء أبناء الأسرة

---

(1) أحمد حسين، موسوعة تاريخ مصر، جـ1، ص148.
(2) سليم حسن، مصر القديمة، جـ9، ص 327. انظر كذلك أحمد حسين، المرجع السابق، ص 148
(3) غاردنر، مصر الفراعنة، ص 365.
(4) سيد توفيق، معالم تاريخ مصر الفرعونية، ص 387، وكذلك: برستد، ص 499
(5) رمضان عبده علي، تاريخ مصر القديم، جـ2، ص 361.
(6) برستد، تاريخ مصر، ص 498
(7) تاريخنا، الكتاب الاول، ص 308
(8) محمد أبو المحاسن عصفور، معالم التاريخ، ص 212

الآخرين، ويكتبة البعض (باميو)[1]، وتعني هذه الكلمة في اللغة المصرية (القط)[2]. اشتراك هذا الفرعون مع أبيه في الحكم في السنة الأخيرة، ولكنهما توفيا في العام التالي دون أن ينعم كثيراً بالحكم منفرداً. بينما يرى بعض الباحثين أنه لا توجد صلة بين (بامي) وبين شيشنق الثالث، لأنه لم يرد ضمن أسماء أبناء شيشنق هذا وانه ربما يكون من أبناء الأسرة الأخيرة، أو مغتصب للعرش، خاصة مع الاضطراب الذي بدأ يسود عهد الأسرة، ويظن أصحاب هذ الرأي أنه ربما حكم ست سنوات، كما تظهره بعض المخلَّفات الأثرية وقد تدفعنا هذه التسمية، إلى لقب الفرعون أوسركون الثاني الذي حمل لقب الالهة (بست) والتي تقترن بالقط، والذى أهتم في عهدة كثيراً بهذه الآلهة، مما قد يشير إلى أن (بامي) كان أحد أحفادة، فحمل هذا الاسم تيمناً بهذه الآلهة خاصة وإن كلتا الكلمتين مرادفتين لبعضهما البعض[3].

لقد شهد عهد هذا الملك تضاؤل نفوذ الأسرة، حتى قيل إن نفوذها لم يتجاوز الوجه البحري، بينما صار الجنوب تحت سلطة الأسرة الجديدة الناشئة، وهي الثالثة والعشرين[4].

ثامناً: شيشنق الرابع أو الخامس 767 ـ 730 ق.م:

وهو ابن الفرعون (بامي) السالف الذكر، وآخر ملوك الأسرة الثانية والعشرين المعروفين، والذي ظهر في عهده (حورباسن) صاحب لوحة النسب المشهورة، التي قدمت للباحثين خدمة جليلة في مجال تحقيق نسب هذه الأسرة، ومن خلال هذه اللوحة تأكد الباحثون من حكمه لسبع وثلاثين سنة، أو أكثر حيث تؤرخ هذه اللوحة بالنسبة (37) من حكمه. وقد شهد عهد هذا

(1) Breasted (A. R. E), OP.Cit. Part: 771

(2) علي فهمي خشم، آلهة مصر، جـ2، ص 714.

(3) انظر ص213 –214 من هذه الدراسة، ويتفق الباحثون على أن هذه الآلهة قادمة من الغرب أي من ليبيا. انظر جورج بوزنر، معجم حضارة، ص 275.

(4) سليم حسن مصر القديمة، جـ 9، ص 385

الفرعون ازدياد نفوذ الأسرة الجديدة الثالثة والعشرين، حتى أن فانديه[1] يرى ضرورة وضعه ضمن ملوك هذه الأسرة، وليس الأسرة الثانية والعشرين ولكن واقع الحال، يدل على أن الوضع السياسي صار يتمثل في حكومتين مستقلتين يمثل الأولى شيشنق الرابع، في تانيس، والثانية (بادي بست) في (تل بسطة)[2]، مع أستمرار شيشنق في الحكم معاصراً لعهدي ملكيين آخرين للدولة الجديدة، وهما أوسركون الثالث، وتاكلوت الثالث[3]، وبنهاية هذا الملك تنتهي الأسرة الثانية والعشرين في عام 730 ق.م تقريباً، وإن كان (برستد)[4]، يرى أنه قدمات قبل هذا التاريخ بحوالي (15) سنه أي عام 745ق.م، وهو ما يرجح وجود خليفه له لا نعرف عنه شيئاً، وإن كان البعض يرى إن اسمه (أوسركون الرابع)[5].

الأسـرة الثالثة والعشـرون:

ما أن يذكر حكم الليبيين لمصر، حتى يتبادر إلى الذهن عصر الأسرة الثانية والعشرين، وكذلك مؤسسها وأشهرملوكها شيشنق الأول، حتى صار في عرف الكثيرين وخاصة ممن ليس لديهم الإلمام الكافي بتاريخ وادي النيل، أن الحكم الليبي يقتصر فقط على هذه الأسرة وزعيمها المؤسس شيشنق الأول.

إن الدراسات الحديثة باتت مقتنعة على ضوء المكتشفات الأثرية والدراسات المكملة لها، أن الحكم الليبي يشمل فترة أوسع بكثير من عصر الأسرة الثانية والعشرين فمن المؤكد أن الأسرتين الثالثة والعشرين والرابعة والعشرين، تنتمي إلى نفس الجماعة التي أسست الأسرة الثانية والعشرين، وأن هاتين الأسرتين ليستا سوى فرعين لهذه الأسرة، وإنهما كانتا في فترات كثيرة معاصرتين لها.

---

(1) فانديية مصر، ص 362.
(2) سيد توفيق، معالم التاريخ، ص 388.
(3) سليم حسن، مصر القديمة، ج9، ص 385.
(4) برستد، تاريخ مصر، ص 499.
(5) رمضان عبده علي، تاريخ مصر القديم، ج2، 362.

لقد توسع البعض في مفهوم الحكم الليبي لمصر، حتى جعله يشمل فترات أكثر من التي ذكرناها سابقاً مثل الأسرة الخامسة والعشرين والسادسة والعشرين، بل ومملكة (نباتا) التي تعود حسب رأى البعض إلى الفرع الجنوبي لليبيين التمحو، وليس لكهنة طيبة الذين فرّوا نحو النوبه بعد صراعهم مع مؤسس الأسرة الثانية والعشرين كما هو شائع، وذلك موضوع أوسع من الإطار التاريخي الذي وضعناه لهذه الدراسة وقد يتسع مجال آخر لدراسته.

قيام الأسرة الثالثة والعشرون:

واجه الباحثون في تاريخ الحكم الليبي لمصر، صعوبه بالغة في تمييز الحكام وسنوات حكمهم، نتيجة لقلة الآثار العائدة اليهم من جهة، ويفسر ذلك بأن الدلتا وهي مقر حكمهم كانت منطقة رطبة يصعب بقاء الآثار فيها بصورة سليمة مثل الجنوب الذي يتميز بحرارته وجفافه[1]، ومن جهة أخرى نتيجه للخلط الواضح، في أسماء فراعنة الأسرات الليبية من حيث تشابهها، ومما زاد من صعوبة الأمر، تداخل حكم الأسرات الثلاث الثانية والعشرين والثالثة والعشرين والرابعة والعشرين التي حكمت في هذه الفترة، وهي حالة نجد شبيه لها في بعض فترات التاريخ المصري مثلما هو الحال في الأسرات الثامنة والتاسعة والعاشرة والحادية عشر والثالثة عشر وكذلك السابعة عشر والهكسوسية والمصرية[2]، ويؤثر هذا التداخل على ترتيب ملوك هذه الأسرات وعلى معرفة سنوات حكمهم الحقيقية، وعلى معرفة بدايتها ونهايتها على وجه الدقة. لقد حملت الأسرة الثانية والعشرين، بوادر انحلالها من خلال السياسة التي اتخذتها للمحافظة على نفوذها في طيبة، مركز الثقل الروحي في البلاد، حيث حاول كل ملك أن يجعل أبناءه على رأس السلطة الدينية في طيبة، وكان من متطلبات ذلك، أن يعزل من كان يتولاها من قبل مما أدى إلى النزاع بين

---

(1) غادنر، مصر الفراعنة، ص316.

(2) محمد أبو المحاسن عصفور، معالم تاريخ، ص 219.

الأسرة الحاكمة نفسها ومن جهة أخرى بدأ هؤلاء المعينين لرئاسة طيبة، بالعمل على تفادي عزلهم وذلك بتوريث هذا المنصب لابنائهم هم أيضاً، وكذلك باكتساب نفوذ كبير في طيبة، كان في بعض الاحيان منافساً لنفوذ الملوك أنفسهم، وقد وجد هؤلاء وأولئك في قادة الجيش وحكام الأقاليم سنداً لهم ضد بعضهم البعض حتى صار مبدأ اقتسام السلطة وكأنها أمر مسموح به[1] ليحافظ كل طرف على منطقة نفوذه.

يرى (دريتون) أنّ تولي شيشنق الأول للسلطة، كان بمؤازرة قادة الجيش، الذين كانوا يرون في أنفسهم أنداداً له، ولذلك فقد كان أشبه برئيس منه بملك، كان مرغماً على الاستجابه لمطالبهم، مما رفع من نفوذهم، سمح لهم ببعض الاستقلالية تجاه الملك الحاكم[2]، مما جعل مدن الدولة تحت حكم رؤساء حربيين وإن كانوا من نفس السلالة المتربعة على رأس السلطة وهو ما بدأت بوادر نتائجه منذ عهد شيشنق الثالث، ثم تطور في عهد خلفائه، خاصة مع تولي (حرساً است)[3] منصب الكاهن الأعظم في طيبة، عندما بدأ نجم ملك جديد يطلع إلى الوجود، وهو (بادي باست) الذي يعتبره (ماينيثون) مؤسس الأسرة الثالثة والعشرين، وهو ما يعني ضمنياً وجود حكومتين متعاصرتين أحدهما في ابوبسطة والأخرى في طيبة، وبينما ينسب ماينيثون هذه الأسرة إلى (تانيس) إلا إن أسماء ملوكها تدل على أنها من (أبو بسطه)[4] أيضاً وهو ما يعني إنها في الحقيقة، ليست سوى فرعاً[5]، من الأسرة الثانية والعشرين، دفعتها الظروف التي أشرنا إليها سابقاً للانفصال. يظن (دريتون) أن هاتين الأسرتين تصالحتا مع بعضهما البعض مع بقاء كل منها تحكم الإقليم الذي تتواجد فيه، ويشير في إلى ذلك إلى أن قائد الجيش الأعلى في طيبة، في عهد أول ملوك الأسرة الثالثة

(1) دريتون، مصر، ص 584.
(2) المرجع نفسه، ص581.
(3) المرجع نفسه، ص583.
(4) Breasted (A. R. E), OP. Cit. Part: 407
(5) سليم حسن، مصر القديمة، ج9، ص 391.

والعشرين كان أحد أبناء شيشنق الثالث[1]، ويبدو أن هذا الموقف كان نتيجة لازدياد نفوذ حكام الأقاليم وقادة الجيش، مما دفع هاتين الأسرتين، إلى نبذ خلافاتهما لمواجهة الخطر المشترك الذي تمثل في أكثر من ثمانية عشر رئيساً، كانوا شبه مستقلين عن هاتين الأسرتين[2].

ملوك الأسرة الثالثة والعشرين:

أولاً: بادي بست، 828 ـ 803 ق.م[3]: وقد تراوحت فترة حكمة بين (25) سنة وأربع وأربعين سنة، كما يشير إلى ذلك كل من (افريكانوس) و(يوسبيوس) وكلا الاثنين نقلا عن (مانيثيون)[4]، وهي روايات مختلفة، لا تؤكدها المكتشفات الأثرية، التي لا تحدد سوى السنة الثالثة والعشرين من حكمه. وربما جاء هذا الارتباك في تقدير حكمه من وجود شخصية أخرى تحمل نفس هذا الاسم تماماً، وتظهر على تسجيلات آشوريه، تعود لأشور بانيبال، بعدما يقرب من قرن من عهد بادى بست[5] أشرك (بادى بست) معه في الحكم شخص آخر، يحمل اسم (اوبوت) وذلك في السنة الرابعة عشرة من حكمه، لكن هذا الشريك في الحكم، لا يظهر بعد ذلك، مما يوحي بأنه قد مات في عهده[6]. والواقع أن العدد الكبير من المخلفات الأثرية، التي تحمل نفس الاسم، تضع أمام الباحث قدراً كبيراً من الصعوبة ما يعود منها لهذا الملك أو لغيره، مما يجعل من المتعذر، معرفة عهد هذا الفرعون، على وجه الدقة.

ثانياً: أوبـوت: ـ وهو الذي يظهر كشريك لبادي بست أو أنه قد تقاسم معه السلطة، وقد عثر على اسمه منقوشاً على مقياس النيل، بالكرنك، ويعود

(1) دريتون، مصر، ص 582. انظر كذلك: سليم حسن، المرجع السابق، ص391.

(2) سليم حسن، المرجع السابق، ص392.

(3) هذا التاريخ عن، برستد، تاريخ مصر، ص 560.

(4) غاردنر، مصر الفراعنة، ص 365.

(5) Petrie (H. E), OP.Cit. p 262

(6) رمضان عبده علي، تاريخ مصر القديم، ج2، ص 367

إلى السنة الثانية من حكمه[1]، ومن غير المعروف بالطبع ما إذا كانت هذه السنة، التي كانت مشاركاً فيها (لبادي بست) أو منفرداً. والواقع أن الغموض والتشويش الذي يحيط باسمه، يجعل من المتعذر، الفصل في شأن حكمه حتى يرى البعض أنه ربما كان هناك أكثر من واحد يحمل هذا الاسم، وأنهم كانوا من صغار الملوك المعاصرين لبعضهم البعض الذين حكموا في أقاليمهم في فترات متباعدة، لا يمكن الجزم بها، وربما كانت فترة حكمه قصيرة جداً، بحيث لم تسمح له بترك أية آثار تؤرخ لعهده[2].

ثالثاً: أوسركون الثالث: 757 ـ 748 ق.م:

ويضعه جمهرة الباحثين ثاني ملوك هذه الأسرة[3]، ويشار إلى أنه ابن (بادى بست)، وقد نقل عنماينثيون روايتين تقول إحداهما أنه حكم تسع سنوات، والأخرى سبع سنوات وقد عثر على نقش بالكرنك، يؤرخ للفيضان الذي حدث في السنة الثامنة والعشرين لحكم ملك بأسم أوسركن، وقد يكون هو أوسركن الثالث، لكن الفرق الكبير في تقدير مدة حكمه وما يظهر على النقش، دفع الباحثين إلى ارجاع هذا النقش لأوسركون الثاني وليس الثالث[4]، أما الفيضان الذي حدث في عهده، فأنه يعود إلى السنة الثالثة من حكمه، على جدران معبد الأقصر[5]، ويظهر من وصف هذا الفيضان أنه كان عارماً، حتى أغرق مدينه طيبة، وغمر الكثير من المعابد، مما جعل أوسركون الثالث يقوم باصلاحها وتجديدها وترك عدداً من النقوش التي تتحدث عن هذه الأعمال[6]. ومن التطورات المهمة التي استحدثها هذا الملك، أنه لم يكتف بوضع أحد أبنائه على رأس كهنة آمون، بل أوجد منصباً جديداً، لم يعرف من قبل، وهو

(1) سليم حسن مصر القديمة، ج9، ص 402.
(2) أحمد حسين، موسوعة تاريخ مصر، ج1، ص149.
(3) غاردنر، مصر الفراعنة، ص365.
(4) سليم حسن، مصر القديمة، ج9، ص ص 404 ـ 405.
(5) المرجع السابق، ص ص 404 ـ 407.
(6) أحمد حسين، موسوعة تاريخ مصر، ج 1، ص149.

وضع ابنته (شب إن أوبت) داخل النظام الكهنوتي، تحت اسم (زوجة آمون الإلٰهية) وهي وظيفة جديدة، استمرت لأكثر من قرنين بعد عهده، وصارت هؤلاء النسوة منافسات لمنصب رؤساء الكهنة من الرجال[1]، بل إن هذا المنصب صار أحياناً منافساً لمنصب الملك نفسه، وقد فتح هذا المنصب باباً جديداً من أبواب الصراع على السلطة.

رابعاً: تاكلوت الثالث:

يصل الاضطراب والخلط في معرفة ملوك هذه الأسرة مداه، في عهد هذا الملك، حتى أن أحد النقوش التي عثر عليها، تبدو غريبة ومتناقضة إلى حد كبير، فهي تتحدث عن تاكلوت أوسركون في نفس الوقت، وتنعتهما بأوصاف مختلفة، وهو أمر نادر الحدوث، في تاريخ مصر كلها، ويصف (دريتون) ذلك، بأنه (اندماج) لا يحلم به أحد[2]، حيث يذكر اسمان على نقش واحد، لأثنين يدعون الملك، ويري دريتون، لحل هذه المعضلة، إنهما ليسا سوى ابنين لأوسركون الثالث، وإن أولهما ربما كان كاهناً أكبر، قبل أن يصير شريكاً في الملك. وقد وجدت بعض الآثار لهذا الملك تؤرخ بالعام الثالث العشرين من عهده، وإن كان هناك من يشكك في هذا الأمر، وينسبه لتاكلوت الأول، من الأسرة الثانية والعشرين[3]، كما أن معظم المخلفات الأثرية التي تحمل اسم تاكلوت لا يمكن التمييز بينها، ونسبتها إلى أحد هؤلاء الذين حملوا هذا الاسم، وكان منهم ملوكاً وآخرين كهنة مما يجعل أي استنتاج مجرد تخمين لا يرقى إلى اليقين، مالم يعثر على أثر صريح يدل على صاحبه.

خامساً: الملوك الأواخر للأسرة:

يروى عن مانيثيون أن ملوك الأسرة الثالثة والعشرين كانوا أربعة، وتضيف

---

(1) أحمد فخري، مصر الفرعونية، ص425. انظر كذلك : عبدالحليم نورالدين، تاريخ وحضارة مصر القديمة، ص270.

(2) دريتون، مصر الفرعونية، ص 585.

(3) سليم حسن، مصر القديمة، ج9، ص 422-423.

إليهم الدراسات الحديثة حاكماً خامساً[1]، فاضافة لمن ذكرنا سابقاً، يأتي الملك (آمون رد) و(يوبوت الثاني)، ثم تورد المصادر الأثرية، عدداً من الملوك، عجز الباحثون عن نسبتهم إلى أي من الأسر الحاكمة، مما يرجح معه أن يكونوا مجرد حكام للمدن والمقاطعات، ممن استغلوا ظروف البلاد، وأعلنوا أنفسهم ملوكاً، في مدنهم ومقاطعاتهم، دون أن تصلنا عنهم أية معلومات تاريخية ذات قيمة.

أما عن (آمون رد) أو (رد آمون)[2]، فإنه يذكر باعتباره ابناً لأوسركون، دون أن نعرف أي واحد من هؤلاء الذين عرفوا باوسركون، هو والده الحقيقي، حتى وضعه بعض الباحثين في الأسرة الخامسة والعشرين النبتية، وليس هناك من الآثار القليلة الباقية، ما يلقي الضوء على حقيقة هذا الملك خاصة وإن معظمهما مشكوك في نسبتها اليه، وإن وجدت بعض القطع الأثرية، التي يظهر عليها أسماء بعض أفراد أسرته وزوجته[3]، ولكن ذلك، لا يفيد شيئاً في دراسة عهد هذا الملك، بل أن هذا الاضطراب، قد وصل إلى درجة الاعتقاد في وجود شخصيتين تحملان نفس الاسم، مما يزيد من تعقيد المسألة[4]، خاصة وأن اسماء الزوجات أو الأولاد لا يمكن الركون إليه في تحديد شخصية الملك، نتيجة لشيوع مثل هذه الأسماء.

كما يذكر ملك آخر باسم أوسركون، دون أن نعرف ما إذا كان ملكاً جديداً، أو أنه أحد الملوك السابقين الذين عرفوا بهذا الاسم، ثم تتتابع سلسلة الملوك من (بف نف دوباستت) و(تحوت محات) (ونمروت) و(أوبوت) وشيشنق الخامس) و(رع منى) وغيرهم دون أن نستطيع إيجاد أي تسلسل لهؤلاء

---

(1) عبد الحليم نور الدين، تاريخ وحضارة مصر القديمة، ص 269، 270.

(2) عبد الحليم نور الدين، تاريخ وحضارة مصر القديمة، ص 270.

(3) Breasted (A. R. E). op. Part. 852

(4) سليم حسن، مصر القديمة، جـ 9، ص 424

الملوك، مما قد يدفع إلى القول، أنهم ليسوا سوى ملوك محليين[1] وكان من الطبيعي، في ظل هذا التشرذم أن يحاول بعض الملوك، الذين يتمتعون بقدر من النفوذ يفوق غيره من توحيد البلاد، ووضع الأمور في نصابها الصحيح مما مهد لقيام الأسرة الرابعة والعشرين بقيادة (تف نخت).

الأسرة الرابعة والعشرين:

يبدو التداخل التاريخي والاجتماعي والسياسي بين الأسرات الليبية الحاكمة، مربكاً لأي باحث في هذه الفترة من تاريخ الوادي، ويزيد من هذا الارباك قلة المصادر التاريخية وعدم دقتها، وينسحب هذا الأمر، على تاريخ الأسرتين الخامسة والعشرين والسادسة والعشرين، والتي صارت معظم الأبحاث الحديثة، تميل إلى اعتبارها الفرع الجنوبي للحكم الليبي نتيجة للتشابه والتداخل، بين هاتين الأسرتين، والأسرات الليبية في شمال الوادي[2]، وحتى يذهب البعض إلى اعتبار الأسرة السادسة والعشرين، امتداداً طبيعياً للأسرة الرابعة والعشرين[3]. لقد بلغ الشح في المعلومات التاريخية، إلى درجة أن المؤرخ المصري مانثيون، لا يذكر سوى بضعة أسطر عن الأسرة الرابعة العشرين جاء فيها (الأسرة الرابعة والعشرين، بوخوريس من سايس) 6 سنوات ـ أو 44 سنة كما ينقل أفريكا نوس ـ وقد نطق حمل في عصره)[4] وقد حاول الباحثون سد هذا النقص في المعلومات، من خلال الوثائق المعاصرة، وخاصة المتعلقة بتاريخ بلاد النوبه وخاصة (لوحة بعنخى) التي تتحدث عن حروبه في مصر ضد هذه الأسرة والزعماء الليبيين الآخرين. يبدأ تاريخ هذه الأسرة،

---

(1) للمزيد انظر المرجع السابق ص ص 424 - 436: وكذلك، دريتو..، مصر الفرعونية، ص 588 وكذلك: أحمد فخري، مصر الفرعونية، ص 425.

(2) للمزيد حول هذا الموضوع، انظر: سليم حسن، مصر القديمة، ج10، ص ص 470-477 وكذلك عبد الحميد زائد، مصر الخالدة، ج 2، ص 460 وما بعدها.

(3) المرجع نفسه، ص 476.

(4) غاردنر، مصر الفراعنة، ص 366.

بظهور شخصية (تف نخت) أميرصا الحجر ودخوله حلبة الصراع على السلطة، بين الأمراء المتنافسين بعد أن ضعف نفوذ الأسرتين الثانية والعشرين والثالثة والعشرين وصار بذلك في منطقة الدلتا ثلاثة بيوت حاكمة، في الشمال والوسط إضافة إلى بيوت صغيرة تشارك بشكل أو بآخر في السلطة[1].

الملك (تف نخت): كان تف نخت أميراً على (سايس) وهي صا الحجر الحالية، في غرب الدلتا[2]، فحاول القضاء على الفوضي والتشرذم السياسي عن طريق توحيد البلاد والقضاء على حكم الأمراء المتنافسين، وربما كان دافعه الآخر لذلك، محاولة وقف تقدم جيوش (بعنخي) من الجنوب للسيطرة على مصر الوسطى والدلتا[3]، وهكذا تقدم (تف نخت) جنوباً، في العام (21) من حكم (بعنخي) حيث استطاع أن يخضع أمراء غرب الدلتا وشاطئ الصعيد، حتى بني حسن، ثم اخضع أمراء شرق الدلتا بجزئيها الغربي والشرقي تحت نفوذه، مما جعله يتقدم جنوباً، نحو أهناسيا، واقليمها الأشمونين، حيث مدينة طيبة المقدسة[4]، وهكذا بدأ (تف نخت) وكأنه يعيد للدولة وحدتها التي فقدتها.

حملة بعنخي: عندما سيطر (تف نخت) على طيبة أرسل بعض أعيانها رسلهم إلى بعنخي طالبين منه العون، ضد (تف نخت) كما تذكر لوحة بعنخي[5] [6] وقد استجاب (بعنخي) لذلك، وأرسل قواته شمالاً، حيث سيطر

---

(1) سيد توفيق، معالم تاريخ وحضارة، ص 388.

(2) رمضان عبد علي، تاريخ مصر القديم، ص 373.

(3) مرجريت مري، مصر ومجدها الغابر، ص77.

(4) برستد، تاريخ مصر، ص 503. انظر كذلك: عبد العزيز صالح، مصر والشرق ص 266، 267.

(5) وهي لوحة كبيرة من الجرانيت الوردي (1,80 X 1,8)م، وقد عثر عليها ضابط مصري في نباتا، مقر حكم الأسرة الخامسة والعشرين عام 1862م، وهي موجودة الآن بالمتحف المصري. انظر في ذلك: سليم حسن، مصر القديمة، جـ11، ص11. وانظر كذلك: دريتون، مصر، ص616.

(6) رمضان عبد علي، تاريخ مصر القديم، ص 373.

على معظم الامارات الصغيرة، حتى وصل مدينة طيبة، حيث دارت معركة برية وبحرية[1]، وأنتصر فيها الجيش النوبي وفرت قوات (تف نخت) نحو الشمال. ويبدو أن جيش (نباتا) اكتفى بهذا الانتصار، تاركاً المجال (لتف نخت) بالانسحاب واعادة تنظيم صفوف قواته، وهو الأمر الذي لم يعجب (بعنخى)، فدخل بنفسة إلى مصر، وتقدم بقواته إلى طيبة، ومنها اتجه شمالاً نحو الدلتا، لتسقط مدنها الواحدة تلو الأخرى تحت سيطرته، حتى وصل مدينة (منف) فحاصرها، بينما كان (تف نخت) يواصل جهوده للدفاع عن المدينة، ببناء أبراج جديدة، وكذلك احاطتها بالمياه من كل جانب، حتى يصعب اقتحامها[2] ورغم ذلك فقد استطاع (بعنخي) اقتحام المدينة والسيطرة عليها مما أرغم جميع الأمراء ـ عدا تف نخت ـ على تقديم الولاء له ومبايعته والإشادة بطلعته البهية كما يقول: فر (تف نخت) شمالاً[3]، وأحتمى بمستنقعات الدلتا، ولكنه أقتنع فيما يبدو، وبعد أن رأى معظم الأمراء، يدينون بالطاعة (لبعنخي) أن يقوم بخطوة (تكتيكية) تضمن عدم تعرضه للهزيمة، نتيجة لانفراد (بعنخي) به، فأرسل له رسالة يعبر له فيها عن رغبته في المصالحة، وقد صاغ (بعنخي) رسالة غريمه بعبارات تدل على ندمه لمقاومته وجهله بمقامه مثل قوله: اني أرتعد من هيبتك... أرجو أن لا تضربني إلا على مقدار الجريمه[4]، وقد استجاب بعنخي لطلب الصلح، وأرسل له قائد جيشه ليعقد معه اتفاق الصلح، وليعود بعنخي إلى بلاده، بعد أن ضمن ولاء غريمة الأكبر، وأنه (لن يسيء إلى أي أمير إلا بأذنه)[5]، وهي عبارة قد تدل على مدى نفوذ تف نخت على الأمراء الآخرين، وباشر (تف نخت) زحفه من جديد نحو المدن الجنوبية فور عودة بعنخي، وسيطر عليها كلها مرة أخرى، موحداً البلاد تحت سلطته، دون أن

(1) عبد الحميد زائد، مصر الخالدة، ج 2، ص 464.
(2) المرجع السابق، ص 465.
(3) سليم حسن، مصر القديمة، جا1، ص14
(4) لوحة بعنخي، سليم حسن، مصر القديمة، جا1، ص 32.
(5) لوحة بعنخي، غاردنر، مصر الفراعنة، ص 370.

يتدخل (بعنخي)، وقد يعود ذلك إلى شعوره بشعبية (تف نخت) ووقوف الجميع معه[1]، حتى أن شعوره بقوته، دفعه إلى ارسال النجدة إلى ملك السامرة (يهوشع)[2] الذي كان يتصدى لجيوش الآشوريين رغم فشل هذا التحالف، في الوقوف بوجه القوة الآشورية الصاعدة، إلا أنه دلل على دراية (تف نخت) السياسية، وإدراكه للخطر الذي يمكن أن تتمثله الفتوحات الآشورية، قريباً من الحدود الشرقية لوادي النيل.

توفي (تف نخت في عام 720 ق. م تقريباً، بعد حكم ربما دام عشر سنوات[3] حيث لم يرد في المصادر القديمة، وخاصة تاريخ مانيثيون، أية إشارة إليه[4]، وإن كان الباحثون قد عثروا على لوح يعود له، يؤرخ بالسنة الثامنة من حكمه، وهو محفوظ الآن بمتحف أثينا[5]، وقد خلف على العرش ابنه وآخر ملوك الأسرة، وهو بوخوريس، الذي يضعه (مانيثيون) كمؤسس (للأسرة الرابعة والعشرين).

بوخوريس (باك أن رف): 720 ـ 715 ق. م:

وقد واصل نفس سياسة أبيه، وفرض نفوذه على المناطق التي أخضعها أبوه من قبل ومما يذكر له محاولة وقف الزحف الآشوري، كما فعل والده من قبل، فقام بإثارة إمارات الشام وفلسطين[6] وتحريضهم للوقوف في وجه الآشوريين وقد أثمرت هذه السياسة، حيث عقد حلف بين مصر، وهذه الإمارات، وأرسل (بوخوريس) جيشه ليقاتل مع حلفائة، ولكن الطرفين، هزما هزيمة منكرة عند

---

(1) عبد العزيز صالح، مصر والشرق الأدنى، جـ 1، ص 311.
(2) وهو أحد ملوك المملكة اليهودية الشمالية، وعاصمتهما السامرة. انظر: الكتاب المقدس، سفر الملوك الثاني 17/ 1: 6.
(3) محمد أبو المحاسن عصفور، معالم التاريخ، ص 217.
(4) عبد الحميد زائد، مصر الخالدة، جـ2، ص 468.
(5) المرجع نفسه، وكذك الصفحة.
(6) أحمد فخري، مصر الفرعونية، ص 433.

مدينة رفح[1]، وهي هزيمة أرغمت (بوخوريس) على عدم التفكير مرة ثانية في التدخل هناك، وإن كان ذلك لم يمنعه من ايواء الثائرين والرافضين للحكم الآشوري، مثلما فعل مع حاكم مدينة (أشدود) الذي لجأ إلى مصر[2].

إن ما أعطى لهذا الملك أهمية خاصة، رغم قصر فترة حكمه، هو شهرته الواسعة كمشرع كبير مثلما تشير بعض المصادر التاريخية والمعلوم أن مصر لم تعرف في تاريخها قوانين أو تشريعات مكتوبة، مثلما هو الحال في بلاد الرافدين، إلا نادراً. وقد وصفت المصادر التاريخية بوخوريس بأنَّه (أعظم المشرعين الكبار) وأنه قد فاق كل من سبقوه في حكمته، وكان عاقلاً امتاز بدهائه فنظم شؤون الملك وشرع أصول المعاملات، وكان عادلاً في قضائه[3] وقد صار لبوخوريس شهرة واسعة لدى الكتَّاب الأغريق، باعتباره واحد من المشرعين الكبار مثلما ورد عن هيرودوت، وأن كان قد خلط بينه وبين بعض ملوك مصر الآخرين[4].

أما عن نهاية هذا الملك وأسرته، فإنها تبدو مأساوية كما رواها مانيثيون، فقد توفي بعنخي ملك نباتا، وتولي السلطة أخيه (شاباكا) والذي حاول أن يجّرب حظه في مصر، فزحف عليها واستولى على معظم مدنها، وتمكن من أسر بوخوريس، حيث قام بحرقه حياً، وأنتهت بذلك حياته وعهد أسرته، وربما وقعت تلك الحادثة عامي 711 ـ 715ق.م[5] وطوت بلاد النيل بذلك صفحة أخرى من تاريخها، تميزت بالامتزاج الواضح بين أهل الوادي، وقبائل ليبيا التي تمثل جزءاً أساسياً من التركيبة الاجتماعية لهذه الدولة منذ أقدم عصورها.

---

(1) المرجع نفسه، وكذلك الصفحة.

(2) عبد العزيز صالح، مصر والشرق الأدنى، جـ1، ص 311، وكذلك: غاردنر، مصر الفراعنة، ص373.

(3) المرجع نفسه، ص312.

(4) انظر حول ذلك: محمد صقر خفاجة، هيرودوت يتحدث عن مصر، ص ص40، 258، 265. وكذلك Breasted, (A. R. E)4, OP. Cit. Past. 884

(5) عبدالحميد زائد، مصر الخالدة، جـ2، ص ص 468 ـ 469.

المبحث الثاني

التطورات السياسية وعلاقة الدولة بالأقاليم المجاورة في فترة الحكم الليبي

1 ـ دولة جديدة وعصر جديد:

اذا كان الباحثون قد وضعوا ثلاث من ملوك مصر، باعتبارهم ذوي مكانة خاصة، لدى المصريين، وهم (مينا) الموحد الأول لمصر في العصور التاريخية، ومنتوحتب الأول باعتباره منقذ مصر من عصر الفوضى، وأحمس الذي (حررها) من الهكسوس ووضع أسس الدولة الحديثة، إلا أنهم لم ينصفوا ملكاً آخر[1]، لا يقل شأناً عن هؤلاء، وكان يجب أن يوضع على رأس عهد جديد يمكن أن نسميه بعهد المهاجرين، ونعني بذلك (شيشنق) الأول، مؤسس الحكم الليبي لمصر، فهو كغيره من الثلاثة السابقين، أعاد توحيد البلاد بعد تشتتها وضعف سلطتها المركزية، وهو كذلك، قد أنقذها من ضعفها السياسي الذي أصيبت به في أواخر عصر الدولة الحديثة وهو ثالثاً، أعاد لها نفوذها الإقليمي، ودورها الكبير كقوة سياسية فاعلة ومؤثرة، في مجريات الأحداث العالمية، وخاصة في الشرق، كما أنه أعاد لها نفوذها المفقود، في المناطق

(1) عبدالعزيز صالح، مصر والشرق الأدنى، جا1، ص172.

التي كانت طوال تاريخ هذه الدولة، مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بها، مثل النوبة، وكان بذلك، كما تصفه (مرجريت أمرى)[1]، رجلاً ذى مواصفات خاصة والواقع أن هذا الرجل، ومن جاء بعده، تولوا السلطة في ظروف دولية تبدو جديدة على مصر، فبينما كان الفراعنة السابقين له يواجهون خطر الثورات البدوية من الشرق وإمارات الشام الصغيرة، صارت مصر في هذا العهد الجديد تواجه قوى نظامية ذات شأن كبير، تهدد مصالح ونفوذ مصر، فنجحت تحت قيادة الأسرة الثانية والعشرين، في مواجهة بعضها وفشلت في بعضها الآخر، وهو أمر طبيعي، خاصة وأن دولة الوادي، كانت تعيش آخر دوراتها الحضارية، بعد مئات السنين من التطور والازدهار ومن أهم هذه القوى، الدولة اليهودية التي نجح زعماء القبيلة العبرانية في وضع أسسها في فلسطين، بعد صراع مرير مع القبائل الكنعانية المقيمة فيها، مستغلين تفرق الامارات الصغيرة في الشام من جهة، وضعف الدولة المصرية من جهة أخرى.

2 ـ ظهور العبرانيين:

في زمن مجهول لا يعرفه أحد إلى حد الآن[2]، ظهرت كما تشير المصادر الاسرائيلية، شخصية كان لها دور خطير في حياة هذه القبيلة البدوية، ونعني بذلك (النبي إبراهيم) عليه السلام، والذي يدعي اليهود انتسابهم اليه، كما ينسب إليه بعض العرب عن طريق ابنه اسماعيل، وتدعي هذه المصادر أنه كان يعيش في (أور الكلدانيين) كما تسميها، في بلاد الرافدين، ثم هاجر منها إلى (أرض كنعان) حيث جاءه الوحي من ربه مانحاً اياه هذه الأرض ولأسلافه من بعده، وهم اليهود طبعاً دون غيرهم ممن ينتسبون له وتقول التوراة في هذا

(1) مرجريت مرى، مصر ومجدها الغاير، ص75.

(2) واجه الباحثون صعوبة بالغة في تحديد الزمن الذي ظهر فيه إبراهيم عليه السلام ويعود ذلك إلى عدم العثور على أي نص تاريخي يشير إلى شخصيته وأن كان الرأي السائد أنه قد عاش ما بين 1700 – 1900ق.م. انظر في ذلك: سيد محمود القمني، النبي إبراهيم والتاريخ المجهول، ط1، دار سينا للنشر، القاهرة، 1995م، ص38.

الشأن «ارفع عينيك وأنظر إلى الموضع الذي أنت فيه، شمالاً وجنوباً، وشرقاً وغرباً، لأن جميع الأرض التي أنت ترى، لك أعطيها، ولنسلك إلى الأبد»[1]، دون أن تقدم التوراة بالطبع، أي مبرر لاعطاء هذه الأرض له دون غيره رغم أنه غريباً عنها، كما تصرح بذلك التوراة نفسها فانحدر إبراهيم إلى مصر ليتغرب هناك[2]، ثم يزيد فضل الله على ابراهيم كما ترى التوراة فيعطيه مزيداً من الأرض لأن جميع الأرض التي أنت تري لك أعطيها ولنسلك إلى الأبد[3].

وتقدم لنا التوراة تفاصيل كثيرة ومتناقضة حول هذه الرحلة الإبراهيمية، ولكننا نعلم منها، أنه قد خلف ابنه إسحاق ومن نسله يعقوب، الذي ينسب إليه بنو اسرائيل، ومن نسله يوسف الذي استقر في مصر مثلما روى لنا ذلك القرآن الكريم[4] حيث لحق به يعقوب وبقية أخوته وعاشوا هناك، وكان هذا الحدث، بداية تواجد بني اسرائيل في وادي النيل، وقد حاول بعض الباحثين الربط بين ما ورد في القرآن الكريم، وبعض حوادث التاريخ المصري في محاولة لتحديد زمن يوسف وأسرته بمصر، فأعتقدوا أن الوفد البدوي، الذي كان يرأسه (أبشاى)، والذي تظهر صورته على مقبرة (خنوم حتب) في عهد سنوسرت الثاني، إنما تمثل يعقوب وأسرته، عند قدومها لمصر[5]، وأن كان ذلك لا يبدو مؤكداً.

ظل اليهود في مصر، حتى ظهور نبي الله موسى عليه السلام، الذي ينتسب إلى قبيلة راحيل اليهودية التي استقرت بمنطقة (جوشن) قرب أفاريس عاصمة الهكسوس المشهورة[6]، وقد تزوج من ابنة شعيب عليه السلام كما ورد

---

(1) الكتاب المقدس، سفر التكوين: 13/ 14-18.

(2) سفر التكوين، 12/ 10.

(3) سفر التكوين، 13/ 14-18.

(4) روى لنا القرآن الكريم قصة يوسف عليه السلام واستقرار أسرته في مصر، في السورة التي تحمل اسمه (سورة يوسف).

(5) عبدالعزيز، صالح، مصر والشرق الأدنى، جا، ص197.

(6) فيليب حتي، تاريخ فلسطين وسوريا ولبنان، ص194.

ذلك في القرآن الكريم، وهو فيما يبدو من علمّه أصول الديانة الجديدة، وهي ديانة التوحيد[1] التي حاول اقناع فرعون بها مما كان سبباً في خروجه مع قومه من مصر[2]، وقد ظلوا تائهين أربعين سنة بصحراء سيناء، ولم يكن عددهم أنذاك يتجاوز ستة آلاف شخص[3]، وكان من الطبيعي أن تصطدم هذه الجماعة التائهة، التي لا وطن لها، مع سكان المنطقة، الذين كانوا من البدو الكنعانيين والعموريين، والذين عاشوا هناك منذ عشرات القرون، دون أن تتمكن هذه الجماعة اليهودية من ايجاد أي كيان مستقل لها، بل أن هؤلاء القوم السذج كما يصفهم (برستد)[4] اقتبسوا حضارتهم من المدن الكنعانية حتى صار من غير الممكن التميز بينهم وبين الكنعانيين، فيما عدا بعض القبائل التي استوطنت البادية جنوب فلسطين والتي حافظت على بعض خصائصها.

ومع مرور الزمن بدأ هؤلاء يتسربون إلى فلسطين مما جعلهم يصطدمون بسكانها، دون أن يحققوا أية نتيجة، حتى أن أورشليم هزئت من حملاتهم عليها بضعة قرون، وعجزوا عن فتح أية مدينة، لأنها كانت ذات حضارة ومدنية عريقة[5]، بل أن أحد أهم قادتهم وهو شاول قتل في أثناء صدامه مع الفلسطينيين في معركة (جلبوع)[6]، ولكن وفي عهد خلفه (داوود) 1004 ـ 963 ق.م تقريباً،

---

(1) سفر الخروج: 18/ 18 - 19.

(2) أن خروج بني اسرائيل من مصر، يعتبر من المعضلات التاريخية، التي لم يتفق بشأنها المؤرخون حتى الآن، وهناك وجهات نظر متعددة في هذا المجال، فبينما يروى عن (مانيثيون) أنهم خرجوا مع طرد الهكسوس، ويرى آخرون أن الخروج كان في عهد (أمنحتب الثاني) ويرى فريق ثالث أن ذلك كان في نهاية الأسرة الثامنة عشرة ومع بداية الأسرة التاسعة عشرة، وتحديداً في عهد (مرنبتاح) بينما يحاول رأي آخر أن يوفق بين هذه الآراء بالقول أن الخروج كان في فترات متعاقبة انظر حول ذلك: مايكلوفسكي: عصور في فوضى، ص44. وكذلك: عبدالعزيز صالح، مصر والشرق الأدنى، ص205، 247، 255. وعن رواية ماينثيون انظر: Manetho, (trans: W.G. Waddell), Loep, Classical, Library: Cambridge, 1941, p.111

(3) فيليب حتي، سوريا ولبنان وفلسطين، ص194.

(4) برستد، العصور القديمة، ص222.

(5) برستد، العصور القديمة، ص222.

(6) سفر صموئيل الأول 31/ 1 - 10. أما (جلبوع) فهي مدينة جلبون الحالية بغور الأردن. انظر: فيليب حتي، المرجع السابق، ص203.

سيطر اليهود على أورشليم، وكان ذلك بداية عهد الدولة اليهودية[1] التي توسعت حدودها على حساب المدن الفلسطينية المجاورة، حتى مدينة (حماه) بسوريا الحالية[2]، كما تحالف داوود مع عبرانيي الشمال، مما مكنه من السيطرة على معظم فلسطين، ومنه أنتقلت السلطة بعد وفاته إلى سليمان، أشهر ملوك الدولة العبرانية، والذي أقام علاقات واسعة مع الحكومات المجاورة، مثل امارات الشام، وعلى رأسها صور وملكها حيرام، كما تذكر التوراة أنه قد تزوج ابنه أحد الفراعنة وهو شيشنق[3]، لكن ذلك أمر يرفضه معظم الباحثين.

واجهت سليمان معارضة قوية، من عدة أطراف في الدولة العبرية، ومنهم الأمير (حدد) أمير (أدوم)[4] الذي فرَ إلى مصر في عهد داوود، الذي سيطر على مدينته وأحرقها (وأفنوا كل ذكر في أدوم) كما تقول التوراة[5]، وفي مصر وجد حدد نعمة في عينيَ فرعون جداً، وزوَّجَه أخت امرأته[6]، وقد عاد حدد بعد موت سليمان، وقاد المعارضة ضد خلفه.

ومن معارضي حكم سليمان أيضاً، (رزون) الآرامي[7]، كما أن معظم الشعب كان قد ضاق بحكم سليمان، نتيجة للضرائب الباهظة وأعمال السخرة وعلى رأس المعارضين كان أهل الشمال، الذين تأثروا بالثقافة الكنعانية[8]، بقيادة يربعام، الذي كان لاجئاً سياسياً في مصر، أو حسب وصف أحد الباحثين

---

(1) برستد، العصور القديمة، ص223. انظر كذلك فيليب حتي، المرجع السابق، ص203.
(2) صموئيل الثاني، 8 / 1 - 18.
(3) مايكلوفسكي، عصور في فوضى، ص135، وكذلك: غاردنر، مصر الفراعنة، ص360. وهو الذي يرفض هذه الفكرة لعدم وجود ما يؤكدها من الجانب المصري.
(4) الأدوميون، وينتسبون إلى (أدوم) أي الأحمر، أحد ابني إسحاق الذي أنكره اليهود وعاش في سعير باليمن. انظر: سفر التثنية 2 / 4، 12، 22.
(5) الملوك الأول: 11 / 16.
(6) الملوك الأول: 11 / 19.
(7) سليم حسن، مصر القديمة، ج9، ص518.
(8) المرجع نفسه، ص518.

اليهود عميلاً سياسياً وتابعاً لفرعون مصر[1]، وهو وصف لا يدل إلا على مدى التأثير المصري، في السياسة الداخلية للدولة اليهودية في ذلك الوقت.

3 ـ شيشنق والعبرانيين:

كانت منطقة الشام، والجزء الجنوبي منها خاصة، العمق الشرقي للدولة المصرية، وخط الدفاع الأول عن وادي النيل من جهة الشرق، ولم يقتصر هذا الوضع على فترة التاريخ الفرعوني فقط، بل أنه صار كذلك في كل العهود الأخرى، كالعهد الإسلامي، وكان تحالف المنطقتين ووحدتهما، هما السبيل الوحيد للقضاء على أي خطر يتهددهما، كما رأيناه في العهود الإسلامية، عندما توحدتا على يد صلاح الدين الأيوبي، للقضاء على الاحتلال الصليبي.

لقد أدرك شيشنق، أن الدولة العبرية، التي نشأت في غفلة عن أعين مصر، عندما كانت تفتقد السلطة السياسية القادرة، والتي حاولت سلب مصر نفوذها في الشام وتحالفها مع بعض الأمراء الرافضين للحكم المصري[2] أدرك أن كل ذلك لا يمكن وقفه إلا بالقضاء على الكيان اليهودي الدخيل على المنطقة، وربما كان ايواء المعارضين لمملكة يهودا مثل (ير بعام) اليهودي و(حدد) الأدومى، الخطوة الأولى في مشروع شيشنق للقضاء على هذه المملكة، واستعادة السيادة المصرية في الشام، وهو ما يدل على أن سياسة شيشنق الخارجية، في تعامله مع هذه القضية، كانت موفقة إلى حد كبير[3]، حيث أختار الطريقة والوقت المناسب لتنفيذ مشروعه.

4 ـ حملة شيشنق 920 ق.م:

الأوضاع الداخلية للدولة العبرية: ـ توفي سليمان، في عام 923 ق.م

(1) مايكلو فسكي، عصور في فوضى، ص176.
(2) أقام سليمان تعاوناً وثيقاً مع (حيرام) أمير صور، وتبادلا المنافع المشتركة، ودعم حيرام سليمان في بناء الهيكل، وكذلك اقامة أسطول بحري واشترك معه في تجارته البحرية في البحرين الأحمر والمتوسط. انظر في ذلك: تاريخنا، الكتاب الأول، ص194.
(3) محمد أبو المحاسن عصفور، معالم تاريخ، ص208.

تقريباً[1] وقد خلفه في السلطة ابنه (رحبعام) الذي واجهته معارضة قوية من أطراف متعددة كانت تمثل المعارضة في عهد والده، اضافة إلى تذمّر أهالي مملكته، من أوضاعهم المعيشية القاسية، لذلك طلبوا منه أن يخفف عنهم عبء الضرائب، وأعمال السخرة، التي فرضها سليمان، ولكن ردّه عليهم كان قاسياً، كما تشير التوراة نفسها: إن أبىَ أدبكم بالسياط، وأنا أؤدبكم بالعقارب[2]، ونتيجة لهذه السياسة وبتحريض من يربعام انفصلت عشر قبائل تحت قيادته مكونة مملكة الشمال، وعاصمتها السامرة، في حين ألَف سبطين آخرين مملكة الجنوب وعاصمتهم أورشليم، والواقع أن الخلاف بين الطرفين لم يكن سياسياً فقط، فقد كان أهل الشمال قد اندمجوا مع الكنعانيين، واعتنقوا ديانتهم، كما كانوا أكثر غنى وتحضر من أهل الجنوب[3].

بعد حوالي عشرين سنة قضاها شيشنق في السلطة، وبعد أن تمكن من اصلاح الأحوال الداخلية لمصر، وبعد أن رأى المملكة اليهودية تنقسم على نفسها، أدرك أن الوقت صار مناسباً[4] لتسديد ضربته للدولة اليهودية، فجمع جيوشه، وخرج بها من (بوبسطه) التي تسميها المصادر العبرية (جوشن) ومنها عبر الفرما الحالية، ثم توغل في صحراء سينا، ومنها إلى غزَّه[5] وهي الطريق التقليدية التي كانت تتبعها الجيوش المصرية في حملاتها نحو الشام.

5 ـ مصادر الحملة:

هناك مصدرين أساسيين لحملة شيشنق على المملكة اليهودية، أولهما التوراة، وثانيهما ما سجله شيشنق على بوابة (النصر) في الجدار الجنوبي لبهو الأعمدة بالكرنك حول هذه الحملة.

(1) فيليب حتي، تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين، ص215.
(2) سفر الملوك الأول: 12 / 11.
(3) برستد، العصور القديمة، ص225. انظر أيضاً: مايكلوفسكي، عصور في فوضى، ص39.
(4) محمد أبو المحاسن عصفور، معالم تاريخ، ص208.
(5) تاريخنا، الكتاب الأول، ص195.

أولاً: التوراة:

تقول التوراة أن رحبعام ملك يهودا شعر بالخطر القادم من مصر، قام بتحصين المدن المهمة استعدادا للحرب، مثل بيت لحم، وايتام، وبيت زور ومريَشه وغيرها[1] ثم أعَد جيشه تحت قيادة (آحاب)، لملاقاة جيش شيشنق وتضيف: في السنة الخامسة للملك رحبعام صعد شيشنق ملك مصر، على أورشليم لأنهم خانوا الرَّب، بألف ومائتي مركبه وستين ألف فارس، ولم يكن عدد للشعب الذين جاءوا معه[2]، والملفت للنظر هنا، هو تركيبة هذا الجيش كما تصفه التوراة، فهو مكون من (لوبيين وسكيين وكوشيين)[3]، وليس من المصريين بل هو حسب وصف التورات نفسها، جيش من القبائل الليبية والمصرية[4] والسودانية، التي توحدت تحت قيادة شيشنق لتقضي على الخطر اليهودي، الذي يتربص بها من الشرق، والمؤسف أن بعض الباحثين العرب، يقابل الاعتراف التوراتي بطبيعة تركيبة هذا الجيش بالوصف التقليدي المنقول عن الباحثين الغربيين، بأنه جيش (المرتزقة الليبيين والكوشيين)[5]، دون أن يكلف هؤلاء الباحثين أنفسهم عناء السؤال، عن أية خانة يمكن أن يوضع فيها الطرف الثالث، وهم قبائل سيناء المصرية، أي (السكيين) كما تصفهم التورات وربما تطوع البعض واقترح أن يكونوا من بقايا (الغزاة) الهكسوس!!

(1) سفر أخبار الأيام الثاني، 11 / 5.
(2) أخبار الأيام الثاني: 12 / 2 - 4.
(3) أخبار الأيام الثاني: اصحاح 12، آية 4.
(4) السوكيين أو السوقيين هي التسمية العبرية لبعض قبائل شرقي الدلتا. انظر في ذلك: رمضان عبده علي، تاريخ مصر القديمة، ج2، ص353. ، وربما كان هؤلاء هم من تصفهم التوراة بالعماليق والذين دخلوا في مواجهات عنيفة مع اليهود بعد خروجهم من مصر، وتحدد التوراة سكنهم بين برية سيناء وتيه بني اسرائيل) صموئيل الأول، اصحاح 15، آية 7. كما تذكر أنهم أول من اصطدموا بهم عند خروجهم: (اني افتقدت ما عمل عماليق باسرائيل حين وقف له بالطريق عند صعوده من مصر فالآن أذهب وأضرب كل عماليق) صموئيل الأول، اصحاح 15 آية 1 وما بعدها.
(5) المرجع السابق، والصفحة كذلك، والمؤسف أن (صفة المرتزقة) تستخدم على نطاق واسع لدى الباحثين العرب في وصف الجنود الليبيين والنوبيين في الجيش المصري جرياً على عادة الباحثين الغربيين.

أمام زحف هذا الجيش، بدأت المدن اليهودية تتهاوى واحدة بعد الأخرى، حتى وصل الجيش، إلى أسوار أورشليم، التي تحصنت فيها بقايا المقاومة اليهودية، وتصف التورات ذلك بقولها: وأخذ ـ أي جيش شيشنق ـ المدن الحصينة التي ليهودا[1]، وأتى إلى أورشليم. . .فلما رأى الرَّب أنهم تدللوا، كان كلام الرَّب إلى شمعيا قائلاً: قد تذللوا فلا أهلكهم، بل أعطيهم قليلاً من النجاة، ولا ينصب غضبي على أورشليم بيد شيشنق، لكنهم يكونون له عبيداً، . . . . فصعد شيشنق ملك مصر على اورشليم[2]، ويمكننا أن نلاحظ بسهولة هنا، تفسير التوراة لهذه الهزيمة بأنها غضب من الرَّب، وأن إلٰه بني اسرائيل يأمرهم بالاستسلام، وأن يكونوا عبيداً لهذا الجيش الفاتح، ولا نظن أن عاقل، يمكن أن يقول بأن أي إلٰه أو دين يأمر أتباعه بالاستسلام وتفضيل العبودية على الموت، ويبدوا أن هذا تفسير، لم يعجب باحث يهودي معاصر فحاول أن يخفف من وقع الهزيمة ويقلل من قيمة هذا الانتصار لأنه حسب رأيه انتصار على عدو أنهكته الحروب الداخلية وأن تلك الحروب، كانت من تخطيط، شيشنق نفسه[3]، وهي حجة تبدو ضعيفة إذا ما استعرضنا مفاخر التوراة عن انتصار اليهود على الامارات والمدن الشامية الصغيرة، التي كانت هي أيضاً مفككة وفي صراع مستمر مع بعضها البعض، وهي الانتصارات التي أشاد بها نفس هذا الباحث.

إن أحداث الحملة تنتهي كما توردها التوراة، بسقوط أورشليم واستسلام مملكة يهودا دون أن تشير إلى أية أحداث تتعلق بالمملكة الشمالية، مما يوحي بأن حملة شيشنق قد اقتصرت على الجنوب فقط، وهو ما يرفضه معظم الباحثين.

(1) أي مملكة يهوذا، وهي المملكة الجنوبية.
(2) أخبار الأيام الثاني: 12 / 1 – 9.
(3) مايكلوفسكي، عصور في فوضى، ص176.

ولا يجد الباحث تفسير لذلك، سوى رغبة كتبة التوراة في الانتقاص من انتصار شيشنق، بتصويره انتصار على مملكة الجنوب الضعيفة، أو لأن هؤلاء الكتبة كانوا من مملكة الجنوب، فأرادوا أن يكون لهم وحدهم فخر مواجهة عدو بني اسرائيل الذي صرحت به التوراة، وهم المصريون بالدرجة الأولى، وبقية شعوب المنطقة بالدرجة الثانية، باعتبارهم محتلين لأرض اسرائيل الكبرى التوراتية.

ثانياً: نقوش شيشنق:

أقام شيشنق بوابة ضخمة في معبد الكرنك، ونقش عليها أخبار انتصاراته في الشام، كما احتوت على تفاصيل مهمة عن هذه المعركة، وهي تدل دلالة واضحة على انتعاش الروح الحربية والسياسية لمصر، مما أعاد لها مجدها السابق، كما دلتَ على أن هذا الفرعون كان جندياً عظيماً، صاحب مطامح واسعة المدى، خاصة وأن وراءه سلسلة طويلة من القادة الشجعان ومن الأجناد الليبيين[1] الذين أعدُّوا أنفسهم لحماية مصر.

لاحظ الباحثون أن هذه النقوش، قد احتوت على ذكر أكثر من (156) مدينة فتحها شيشنق في فلسطين، وقد رمز لكل مدينة بأسير يحمل اسم مدينته[2]، ورغم أنه لم يبق من أسماء هذه المدن التي ذكرت في القائمة سوى (151) اسماً[3]، إلاّ أنها تشير إلى مدى اتساع حملة شيشنق على المنطقة، في حين تهشم الجزء الذي يحوي بقية الأسماء، ومما لاحظه الباحثون أن قائمة الأسماء تشمل خمسين مدينة، ذكرت لأول مرة، ولم تظهر في قوائم الملوك السابقين[4].

---

(1) سليم حسن، مصر القديمة، ج9، ص129.
(2) برستد، تاريخ مصر، ص947.
(3) سليم حسن، مصر القديمة، ج9، ص125. وقد أورد أسماء هذه المدن، المرجع نفسه، ص ص125-126.
انظر كذلك: تاريخنا، الكتاب الأول، ص190.
(4) تاريخنا، الكتاب الأول، ص191.

لقد حاول بعض الباحثين اليهود والغربيين، التشكيك في صحة المعلومات التي أوردها شيشنق عن هذه الحملة، فقد رأينا أحدهم، يحاول التقليل من أهميتها باعتبارها انتصاراً على عدو مرهق ضعيف، وأن كان يعترف بأن ذلك الضعف ناشئ عن سياسة شيشنق نفسها[1].

بينما يشير آخر إلى أنه لا يمكن تحديد ما إذا كانت حملة عسكرية شاملة، أو هي مجرد حملة للسلب والنهب[2] وكأن كل الحروب قديمها وحديثها، هي حروب شريفة ما عدا هذه الحملة.

كما حاولوا التشكيك في مدى هذه الحملة، معتمدين على التوراة، التي تتوقف في سرد حوادثها، على سقوط أورشليم أي أنها لم تشمل المملكة الشمالية، ولكن معظم الباحثين الآن يتفقون من خلال دراسة نقوش (شيشنق) أنها كانت حملة واسعة، شملت المملكتين، وأجزاء من الشام، وفي هذا الصدد يعترف (غاردنر) الذي شكك في أهمية الحملة، بأن ما ذكره شيشنق يبدو صحيحاً، من خلال ما اكتشف من آثار[3] وهو يشير بذلك إلى ما عثرت عليه بعثة معهد الآثار الشرقية بجامعة شيكاغوا، وهي لوحة نقش عليها صورة شيشنق الأول في منطقة (تل المتسلم) في مجدو شمال فلسطين مما يدل على وصول شيشنق إلى هذه المنطقة[4]، وهو ما يؤكده باحث آخر بقوله أن قرائن الأحوال تدل على أن الحملة كانت موجهة إلى المملكتين وليس ليهودا وحدها[5].

واذا ما نظرنا إلى نقوش شيشنق، فأنها تشير إلى أن حملته العسكرية، قد تجاوزت المملكتين اليهوديتين لتشمل أجزاء أخرى من الشام، وخاصة امارة

---

(1) انظر: ص 237 من هذه الدراسة.
(2) غاردنر، مصر الفراعنة، ص361.
(3) غاردنر، مصر الفراعنة، ص361.
(4) تاريخنا، الكتاب الأول، ص 190. انظر أيضاً: دريتون، مصر، ص577.
(5) برستد، تاريخ مصر، ص 497. انظر كذلك: سليم حسن، مصر القديمة، ج9، ص126. وكذلك:
Breasted (A. R. E)1V, OP. Cit. part: 709-722

صور، التي كانت تحت حكم (حيرام) والذي كان حليفاً لسليمان وخلفائه، بل أنه يذهب إلى أن الحملة وصلت إلى مملكة الميثانين، وأن كان ذلك قد يبدو بعيد الاحتمال، نظراً لتلاشي تلك المملكة في عهده، وربما كان الأمر يتعلق بالأراضي التي كانت تابعة لها فيما مضى وليس تجاه تلك المملكة نفسها[1].

6 ـ بين التوراة ونصوص شيشنق:

حاول بعض الباحثين عقد مقارنة نقدية، بين نصوص التوراة الخاصة بهذه الحملة وبين نصوص شيشنق، واذا ما أعدنا قراءة النصوص التوراتية ونصوص شيشنق فأننا نخرج بعدة استنتاجات منها: ـ

أولاً: أن التوراة لا تشير إلى أي سبب للحرب، بل تجعلها مجرد غضب من الرَّب، وانتقام إلٰهي، لأنهم (خانوا الرَّب)[2] بينما تقدم لنا نصوص شيشنق سبباً يبدو معقولاً وإن كان من جانب طرف من طرفي الصراع، ولكنه لا يتعلق بتبريرات غيبية كما ورد في التوراة، حيث يقول النص (وأني لأجلك أخضعت كل البلاد، التي لم تعرف مصر، والتي بدأت تغزو حدودك)[3]، وهو ما يشير إلى تحرشَ المملكة العبرانية بالحدود المصرية، ومحاولتها غزو حدودها، وهو تفسير واقعي للأحداث، مما قد يشير إلى أن ما قام به شيشنق، كان في حقيقته دفاع عن النفس.

ثانياً: إن التوراة، وهي تحاول أن تجعل الصراع، صراعاً دينياً بين المؤمنين والكافرين، إلاً أنها تركَز بشكل كبير على العناصر المادية، وتتحسر على الخسائر المادية التي أصيبت بها المملكة اليهودية، دون أن تلقي بالاً لسقوط القدس (أورشليم) التي كانوا يعتبرونها المدينة المقدسة، وتقول التوراة في ذلك: وفي السنة الخامسة... وآخذ خزائن بيت الرَّب، وخزائن بيت

---

(1) سليم حسن، مصر القديمة، جـ9، ص113.
(2) سفر أخبار الأيام الثاني، 12 / 2 - 4.
(3) سليم حسن، مصر القديمة، جـ9، ص127

الملك، وأخذ كل شئ، وأخذ جميع أتراس الذهب، التي عملها سليمان[1] واذا كانت التوراة لم تحدد لنا من أين جاءت هذه الكميات الوفيرة من الذهب، التي كانت تملكها الدولة اليهودية، والتي تقول أن شيشنق قد غنمها وتتحسر عليها، فأن باحث يهودي معاصر يعترف بمصدرها فيقول إنها ثروة (أمة) تراكمت من غنائم داوود وشاؤل ومن الحروب التي خاضتها ضد العماليق، ومن حملاتها العسكرية[2]، وهي حملات نعلم أنها كانت ضد إمارات وقبائل الكنعانيين التي استوطنت البلاد، قبل دخول القبائل العبرانية بآلاف السنين.

ورغم أن نصوص شيشنق تشير أيضاً، إلى غنائمه، ومدنه المفتوحة، إلا أن ذلك يبدو طبيعياً لأنه يصدر من ملك وقائد سياسي يتحدث عن أعماله، وليس من طرف يدعي الإيمان وينعت غيره بالكفر، في حين يتباكى على ضياع ذهبه وفضته ولا يعير انتباهاً لمقدساته، بل يرضى بالعبودية بدل الموت.!

وتعبر نصوص شيشنق عن هذا الموقف السياسي في قوله: لقد حاربت لأجلك البلاد التي لم تعرف مصر، ويقول: لقد حاربت كل أرض ووحدتها معاً[3] أي أن هدفه كان رد الاعتبار لمصر كقوة اقليمية فقدت نفوذها، وحاول بعض الموالين لها الخروج عن سلطانها، وكذلك توحيد هذه المناطق، التي كانت عبر تاريخ الدولة المصرية، ذات علاقات سياسية واقتصادية واجتماعية وطيدة بها، ومن المؤسف في هذا المجال أن نشير إلى تأثر بعض الباحثين العرب، بتوجه التوراة المادي في وصف هذه الحرب، كعادة بعض الباحثين الغربيين، فتوصف الحملة بأنها غارة للسلب والنهب التي تعود عليها

---

(1) سفر أخبار الأيام الثاني 14 / 1 - 10.

(2) مايكلوفسكي، عصور في فوضى، ص183، ويعلق البحث (غاردنر) على ذلك بقوله: (إن الكاتب ـ ويعني كاتب التوراة ـ لم يفزعه تدنيس المدينة المقدسة بقدر ما أفزعه ضياع دروع الذهب) انظر في ذلك: مصر الفراعنة، ص361.

(3) سليم حسن، مصر القديمة، جـ9، ص127-128. انظر كذلك: أحمد حسين، موسوعة تاريخ مصر، جـ1، ص146

الليبيون[1] كما نلاحظ الاهتمام الزائد بنصوص التوراة، واهمال نصوص شيشنق، رغم أنها تبدو أكثر مصداقية من الوجهة التاريخية.

ثالثاً: إن نصوص شيشنق تقدم تفاصيل تاريخية كاملة للأحداث ومداها الجغرافي، حيث تظهر لنا أنها لم تكن حملة عسكرية محدودة، انتهت عند أسوار أورشليم، بل حرب شاملة واسعة المدى، شملت فلسطين كلها، وأجزاء من الشام، وتقدم لنا تفصيلاً بأسماء المدن والقرى والشعوب التي أخضعتها الحملة، بينما ينعدم ذلك تماماً في التوراة، فيما عدا إشارتها إلى بعض المدن الحصينة التي سقطت بيد شيشنق في طريقه نحو القدس (أورشليم)، وقد وافق بعض المشككين التوراة في ذلك، وأدعوا إن المدن التي أوردتها نصوص شيشنق تحتوي أسماء مدن وردت من قبل، في نصوص فراعنة سابقين ويجب أن تكون بالتالي، منقولة عن هذه النصوص[2]، وكأنه كان يجب أن تتغير أسماء هذه المدن، حتى تكون نصوص شيشنق صحيحة، رغم التأكيد على إن أكثر من خمسين مدينة، لم تذكر من قبل في نصوص مصرية سابقة[3]

7 ـ نتائج الحملة:

أولاً: لا شك أن أولى نتائج الحملة كانت القضاء على المملكتين العبريتين، اللتين شكلتا تهديداً للمدن والإمارات الكنعانية المجاورة، وارتكبت مجازر، اعترفت بها المصادر اليهودية، وأسهبت في وصفها، من إحراق للمدن وقتل جميع سكانها، كما قضت على حلفاء العبرانيين، الذين حاولوا التحالف معهم لأغراض متعددة، كانت تهدد وحدة المنطقة في تلك الفترة، ولعل ما

(1) عبدالحميد زائد، مصر الخالدة، ج2، ص424، 425.
(2) أشار إلى ذلك غاردنر، مصر الفراعنة، ص361. وقد تابعه في ذلك بعض الباحثين العرب، انظر: عبدالعزيز صالح، الشرق الأدنى القديم، ص305. وكذلك عبدالحميد زائد، مصر الخالدة، ج2، ص424.
(3) تاريخنا، الكتاب الأول، ص192.

وقع لامارة (أدوم) خير مثال على ذلك، عندما قام اليهود وأفنوا كل ذكر في أدوم[1] مما اجبر زعيمها حدد على الفرار إلى مصر، وطلب حمايتها، وهو ما وقع قبل ذلك للقبائل البدوية الأخرى، التي أطلق عليها العبرانيون (عماليق) «فالآن إذهب وأضرب كل عماليق، وحرَّموا كل ماله، ولا تعفُ عنهم، بل أقتل رجلاً وامرأة وطفلاً ورضيعاً وغنماً وبقراً وجملاً وحماراً»[2] أي حرب ابادة شاملة لا مبرر لها سوى وقوف هؤلاء في وجه العبرانيين الزاحفين على فلسطين رغم أن نبيَهم ومنقذهم (موسى) نفسه، حذَّرهم من ذلك، عندما قال لهم: «لا تصعدوا لأن الرَّب ليس في وسطكم لئلا تنهزموا أمام أعدائكم لأن العمالقة والكنعانيين هناك قدامكم تسقطون بالسيف»[3] إلا أن ما يقوله (الرَّب) شيء، وما يفكر فيه هؤلاء شيء آخر، وهو ما نرى مثاله في مصير مدن فلسطين مثل أريحا التي «أخذ كل من فيها بحدّ السيف»[4].

ثانياً: أعادت هذه الحملة لدولة وادي النيل علاقاتها الطبيعية مع المنطقة وأعادت توحيدها، فصارت دولة كبرى تمتد من النوبة جنوباً والصحراء الغربية غرباً حتى الشام شرقاً، مثلما كان الحال في عهد الامبراطورية، في الدولة الحديثة، وحررت بذلك امارات وممالك الشام من الخطر اليهودي[5]، حيث انضوت تحت لواء قوة كبرى هي الدولة المصرية.

ثالثاً: تحسين اقتصاد الدولة من خلال نتائج الحملة ممثله في:

أ - غنائم الحرب، والتي تمثلت في الكنوز التي جمعها اليهود طيلة حروبهم وغزوهم للمناطق التي تعرضت لعدوانهم.

---

(1) سفر الملوك الأول، لاصحاح 11 / 16.
(2) صموئيل الأول، اصحاح 15 / 2: 3.
(3) سفر العدد 14 / 41-42.
(4) سفر يشوع: 6 / 21.
(5) تاريخنا، الكتاب الأول، ص196. انظر كذلك: عبدالعزيز صالح، الشرق الأدنى القديم، ص305.

ب ـ اعادة الاستقرار للمناطق الشرقية، خاصة سيناء الغنية بمناجمها ومحاجرها واعادة استغلالها[1].

جـ ـ انتعاش التجارة بين وادي النيل والشام، والتي تمثل جزءاً مهماً من اقتصاد الدولة، وتأمين التجارة البحرية، خاصة عبر البحر الأحمر، الذي سيطر عليه اليهود لفترة من الزمن، من خلال أسطولهم الذي بنوه بمساعدة (حيرام) ملك صور، واتخذ من (عصيون جابر) قاعدة له[2].

دورة جديدة من الصراع:

كان شيشنق الأول، حاكماً قوياً شجاعاً، نهض بمصر وعزم على استرجاع عزها القديم، وتاريخها المجيد، ولما كانت البلاد في حالة سيئة، كان مجهود هذا الملك أشبه بمن يبني عمارة عظيمة بأنقاض عتيقة[3]، هكذا وصف باحث المصريات الكبير (جميس هنري برستد) شيشنق وعصرة فرغم الجهد الجبار الذي بذله شيشنق، إلا أن دورة حياة الدولة المصرية فيما يبدو كانت في نهايتها، فقد شاخت بعد أن عمرت ما لم تعمره دوله مثلها. ولهذا فقد كان أعداء هذه الدولة يتحينون الفرص للانتقام منها، وعلى رأس هؤلاء العبرانيون.

أوسركون الثاني والعبرانيين:

بعد هزيمة مملكة يهوذا، على يد شيشنق، وفرض التبعية عليها لمصر، تولى السلطة في مملكة يهوذا (آبيا بن رحبعام) ومن بعده (آسا)، الذي بدأ يتخذ سياسة عدائية تجاه مصر، ويحاول أن يتخلص من التبعية لها، فقام بانشاء مدن محصنه بالأسوار والأبراج العالية «ولنبني هذه المدن ونحوطها بأسوار وأبراج

(1) تاريخنا، الكتاب الأول ص 196.

(2) أحمد فخري، مصر الفرعونية، ص 420. وحول (ميناء عصيون جابر) انظر: مايكلوفسكي عصور في فوضى، ص ص 154 -155، وهى منطقة (تل الخليفى) على خليج العقبة وقد أطلق عليها حديثاً (ايلات) بعد احتلالها من طرف اسرائيل. للمزيد انظر: تاريخ سوريا ص 107، 206.

(3) برستد، مصر، ص 494.

وأبواب وعوارض، مادامت الأرض أمامنا، لأننا قد طلبنا الرّب إلٰهنا»[1]، ثم قام في خطوة تمثل تحدياً للسيادة المصرية بتحطيم تماثيل الآلهة المصرية[2]، كما بدأ بإعداد جيش كبير للانتقام من الذين هزموا جده قبل حوالي ستين عام «وكان لآسا جيش يحملون أتراساً ورماحاً، من يهوذا ثلاثمائة ألف، ومن بنيامين من الذين يحملون الأتراس، ويشدون القسي مئتان وثمانون ألف وحصنت المدن، ووقف الجيش على أهبة الاستعداد»[3] ورغم المبالغة التوراتية في الأرقام التي توردها، إلا أن حديثها يؤكد نيه مبيته للهجوم على مصر، أو على الامارات التابعة لها، وهو الأمر الذي أجبر فرعون مصر، في تلك الفترة لاعداد جيوشه للقضاء على الخطر في مهده تقول التوراة بعد أن تعدد الاستعدادات التي قام بها (آسا) للحرب (فخرج عليهم زارح الكوشي بجيش الف الف، وبمركبات ثلاثمائة، وأتى إلى (مريشة) وخرج (آسا) للقائه واصطفوا للقتال في وادي صفاته عند مريشه[4]. وقد استنتج الباحثون أن هذه الرواية التوراتية، لابد أن تتعلق بأحد فراعنة الأسرة الثانية والعشرين، حيث إن تاريخ تولي (آسا) 835 ق.م يوافق حكم (أوسركون الثاني)، رغم وصف التوراة للخصم بأنه (زارح الكوشي) أو الأثيوبي، إلا أن ذلك يبدو مستحيلاً، حيث أنه من غير المعقول أن يأتي جيش من أثيوبيا أومن النوبه، ويعبر مصر ثم يتجه نحو الشام، والراي المقبول كما يراه البعض أن (ذارح) هذا ربما يكون الاسم العبري (لأوسركون)[5]، أو أنه اسم لأحد قادته الذين كلفهم بقيادة الجيش ومما يدل على ذلك أن تركيبة الجيش كما توردها التوراة تتطابق مع جيش شيشنق الذي غزا المملكة اليهودية قبل ذلك بما يزيد عن نصف قرن حيث تقول أن الجيش

---

(1) سفر أخبار الأيام الثاني 14/ 7.
(2) مايكلوفسكي، عصور في فوضى، ص 236.
(3) أخبار الأيام الثاني، اصحاح 14/ 8.
(4) المرجع نفسه 9/ 10.
(5) سليم حسن، مصر القديمة، ج 9، ص 231.

كان مكوناً من الأثيوبيين والليبيين[1]، ولا يمكن لعاقل أن يصدق أن جيشاً ضخماً كهذا يعبر مصر تجاه فلسطين، بل من المعقول جداً أن يكون جيشاً تابعاً للدولة المصرية، مكون من الليبيين الذين كانوا يحكمون مصر، والأثيوبيين طبعاً هم النوبيين[2]، الذين يمثلون جزءاً من الدولة المصرية، ومما يزيد من تأكيد هذا الأمر، أن أوسركون الثاني، ترك عدة آثار في منطقة (بيثوم) الواقعة على الطريق الذاهبة من مصر إلى فلسطين وهو نفس الأمر، الذي نلاحظه مع معظم فراعنة مصر الذين كانت لهم حملات عسكرية في فلسطين أو بلاد الشام[3]. كما يؤكد ذلك العثور على آنية من المرمر تحمل اسم أوسركون الثاني في السامرة[4]، والمعلوم أن أوسركون الثاني قد أقام علاقات وثيقة مع أمراء الشام، وخاصة مع مدينه (جبيل) وأوفد عدد كبير من البعثات التجارية، ونشر نفوذ الدولة هناك حتى أنه قد وجدت تماثيل له في معبد (الإله بعل) يوصف فيه بأنه محبوب الآلهة[5]، وربما كان هذا التقدير الذي حمله أمراء الشام له، نتيجة لمواقفه في حمايتهم من الخطر اليهودي. لم يترك أوسركون الثاني، أي أثر يدل على هذه الحملة التي ترويها التوراة، والتي تشير فيها إلى انتصار اليهود على هذا الجيش الضخم المكون من مليون رجل وربما جادت الأيام بأمر يوضح حقيقة ما حدث بعيداً عن مبالغات التوراة المعهودة. والواقع أن النتيجة التي نخرج بها من رواية التوراة، هي اتحاد القبائل الليبية والمصرية والنوبية وأمراء الشام لصد الخطر اليهودي عليهم، وهو الأمر الذي أستمر، حتى عهود تالية عندما دخل طرف جديد في الصراع، وهو القوة الآشورية المتصاعدة، التي استطاعت أخيراً القضاء النهائي على الدولة اليهودية كما هو معلوم.

---

(1) أخبار الأيام الثاني، اصحاح 16 / 8.

(2) مايكلو فسكي، عصور في فوضى، ص 237.

(3) سليم حسن، مصر القديمة، ج9، ص 231.

(4) تاريخنا، الكتاب الأول، ص 208

(5) المرجع نفسه، ص 207

العلاقة مع بلاد النوبة:

من الثوابت التاريخية التي لم تعد محل شك، أن العلاقات بين جزئي الوادي شماله وجنوبه، أو ما يعرف حالياً بالسودان ومصر، تتجاوز علاقات الجوار أو المصالح المشتركة المرتبطة بوادي النيل، بل هي علاقات وثيقة تعود إلى عصور ما قبل التاريخ، حيث كانت المنطقتين (أمه واحدة)[1] من حيث السلالة والحياة الاجتماعية والمعتقدات الدينية، وعندما قامت الدولة المصرية، كان لا بد أن تسعى لجعل النوبة جزء لا يتجزأ من كيانها السياسي، وأن تحافظ عليه بكل الوسائل الممكنة. وهكذا نشأت تلك العلاقات الوطيدة بين حكومة الوادي، وبلاد النوبة، فقامت الرحلات التجارية من مصر تجاه النوبة، التي مثلت حلقة الوصل مع وسط أفريقيا وشعوبها المختلفة، ولعل خير مثال على ذلك رحلات (حرخوف) المشهور في عصر الأسرة السادسة من الدولة القديمة والتي لم تكن للتجارة فقط، كما يبدو من نصوصه، بل أيضاً للتوفيق بين القبائل المتنازعة ولم شملها تحت سلطة الدولة[2]، كما مثلت بلاد النوبة مصدر نشاط اقتصادي مهم للدولة المصرية، وخاصة في مجال (تعدين الذهب) الذي كان حاجة ضرورية لفراعنة مصر، كما كانت بلاد النوبة الحد الفاصل بين ثقافتين وحضارتين أي إنها حداً ثقافياً وحضارياً لوادي النيل الشمالي، كانت بمثابة العنق من الجسم[3]، مما جعلها ذات أهمية قصوى تاريخ الدولة المصرية، كما شارك أهلها في حكم الوادي، من خلال فراعنة من أصول نوبية، وبالتدريج صارت بلاد النوبة جزء من مصر حتى أن الفراعنة قدسوا معبودها(ددون) وكان يعتبر من ضمن الآلهة الوطنية[4]، قد أشارت المصادر المصرية، إلى العديد من قبائل النوبة مثل (أرثت ومجاى وواوات وبجا) والتي مثل بعضها جزء أساسي

---

(1) سليم حسن، مصر القديمة، ج15، المقدمة، ص (ز).
(2) محمد سليمان أيوب، جرمة، ص 30.
(3) أحمد بدوي، في كوكب الشمس، ج1، ص 43.
(4) المرجع نفسه، ص173.

من جيوش مصر وشرطتها وحرس حدودها[1]، ولقد تأثر تاريخ بلاد النوبة بأحداث التاريخ المصري صعوداً وهبوطاً، فكانت تخضع للسلطة الحاكمة في أوقات قوتها وعنفوانها، وتثور عليها في أوقات ضعفها وتمزقها، شأنها في ذلك، شأن الأقاليم الأخرى، ونظراً لبعدها عن مركز السلطة، فقد تعددت ثوراتها بشكل ملفت للنظر، حتى أنه لا يكاد يخلو تاريخ ملك من ملوك مصر، من ثورة في بلاد النوبة، وحملة عسكرية لهذا الملك أو ذاك لقمع هذه الثورة. عندما قامت حكومة القبائل الليبية في مصر كان من الطبيعي أن تصير النوبة تابعاً لهذه الحكومة ويبدو أن الأمور كانت هادئة بصفة عامة في بداية حكم الأسرة الليبية، وخاصة في عهد مؤسسها القوى (شيشنق)[2]، فلا نسمع عن أية حملات عسكرية موجهة ضد النوبة. والمعلوم أن الأسرة الليبية قد لجأت إلى فرض نفوذها على كهنة آمون بتعيين أبنائها، على رأس الكهنة، وقد صار هؤلاء يمثلون سلطة نائب الملك في كوش، وهو منصب ممثل السلطة الفرعونية في اقليم النوبة وقد ورد في نقوش شيشنق الأول ما يؤكد خضوع النوبة له حيث قال، ولقد جعلت حدودك تصل إلى ما ترغب فيه وجعلت أهل الجنوب يأتون طائعين لك[3] كما يظهر شيشنق في نقشه على جدران معبد الكرنك وهو يتسلم جزية سوريا وبلاد النوبة أما الحدث الأساسي، في عهد الحكم الليبي فانه يمثل في قيام أسرة حاكمة وطنية في بلاد النوبة، والتي عرفت باسم مملكة نباتا، وهي المملكة التي استطاعت أن تسقط الحكم الليبي وتسيطر على مصر، وقد اختلف الباحثون حول أصل هذه الأسرة، الى رأيين اثنين، يقول أولهما أن مؤسسى الأسرة هم من أتباع كهنة آمون في طيبة، والذين فروا من هناك جنوباً، بعد أن قام الحكام الليبيون بالقضاء على نفوذهم[4]، ووضع منصب الكهنة

(1) المرجع نفسه، ص 207. انظر كذلك: سليم حسن، مصر القديمة، ج 10، ص 432.
(2) انظر حول هدوء الأحوال والمؤشرات التي تدل على ذلك: سليم حسن، مصر القديمة، ج7، ص366، 367 وكذلك ص ص 471 - 480.
(3) سليم حسن، مصر القديمة، ج9، ص 128.
(4) رمضان عبد علي تاريخ مصر القديم، ج2، ص 372. انظر كذلك محمد أبو المحاسن =

والسلطة الروحية في يد أبناء الأسرة، بينما يرى آخرون، أن هذه الأسرة إنما تعود هي أيضاً إلى أصول ليبية[1]، وأنه بينما كان الليبيون الشماليون يزحفون تجاه الوادي من الشمال، كان الليبييون الجنوبيون أو التمحو، وهم من يربطهم الباحثون بقوم المجموعة (ج) يزحفون على وادي النيل من النوبة، آتين بلا شك من الواحات التي استعملوها خلال تاريخ طويل محطات لهجرتهم إلى هناك[2]، ويجد هذا الرأي تأييداً واسعاً الآن، وخاصة مع الاكتشافات التي تمت في النوبة، والتي تظهر تشابهاً كبيراً بين مقابر الأسرة الكوشية الخامسة والعشرين، والأسرة الليبية الحاكمة في الشمال[3].

وقد كان من الطبيعي، ومع ضعف وتفرق الزعماء الذين يمثلون الحكم في شمال الوداي، أن استغلت مملكة (نباتا) الوضع، وبدأت تتدخل بقواتها شمالاً، وذلك منذ تولي (بعنخي) السلطة في عام 741 ق.م. تقريباً[4]، أي في عهد أوسركون الثالث، وسيطر على جزء كبير من جنوب الوادي، حتى أهناسيا. ثم استمرت فتوحاته حتى أرغم معظم الأمراء الشماليين، وعلى رأسهم (تفنخت) مؤسس الأسرة الرابعة والعشرين على الخضوع له، ولو موقتاً، كما رأينا سابقاً. ولعله ما يلفت الانتباه هنا تلك المعاملة الحسنة التي أظهرها (بعنخي) للأمراء الليبيين، مما يؤكد صلة القربي بهم، فقد جاء في نصوص لوحته المشهورة جاء ملوك وولاة الدلتا، وجميع الزعماء، واضعين الريش، وكل وزير، وجميع الرؤساء وكل من له صله بالملك قد رحب الزعيم الوراثي (باثوت) بالملك، ووضع خزائنه كلها ومخازنه تحت امرته[5] كما أن ما

= عصفور معالم تاريخ، ص207. ويعلق الباحث على هذا الرأي بقوله ليس هناك دليل على ذلك، وثمة مبالغة كبيرة في هرب كهنة آمون، وتأسيسهم للأسرة.

(1) عبد العزيز صالح، الشرق الأدنى القديم، جـ1، ص 307، 308.

(2) سليم حسن، مصر القديمة، جـ10، ص471.

(3) انظر حول هذه المقابر، سليم حسن، المرجع السابق، ص ص 455 ـ 470.

(4) برستد، تاريخ مصر، ص503.

(5) Petrie, (H. E) OP. Cit. p 257

يدلل على ذلك، انسحاب (بعنخي) جنوباً، بعد أن ضمن ولاء الأمراء الشماليين، وأن كان ذلك قد كان سبباً، في تجدد مقاومة (تفنخت)، وهو الأمر الذي دفع خليفة (بعنخي) وهو (شاباكا) إلى القيام بحملة جديدة، قضت على آخر ملوك الأسرة الليبية الرابعة والعشرين وهو (بوخريس) وحرقه حياً كما تشير بعض المصادر.

علاقة الأسرة بالصحراء الغربية والواحات:

لم تسجل لنا المصادر التاريخية، أية أحداث تتعلق بمنطقة غرب الوادي، وكان ذلك أمراً طبيعياً فسكان تلك المناطق كانوا يمثلون امتداداً جغرافياً واجتماعياً للأسرة الحاكمة وكما هو معروف فقد عين فراعنة الأسرة حكاماً تابعين لهم لادارة مناطق الغرب والواحات، وتروى بعض المصادر خبر حملة عسكرية وحيدة قام بها شيشنق الأول، وذلك كما يظهر من لوحة واحة الخارجة، التي يرى البعض أنها لا تتعلق بثورة، وإنما كانت موجهة ضد بعض المنفيين والمجرمين والذين كانوا يطردون إلى تلك الواحات، حيث تعتبر كمنفى لهم[1].

لقد كان وصول شيشنق وأسرته إلى السلطة، بتأييد من العناصر القوية في الجيش، وهؤلاء كانوا في معظمهم من الليبيين، وقد كان ثمن ذلك، أن احتفظ هؤلاء بنفوذهم في المناطق التي تحت قيادتهم[2] وينطبق نفس الأمر على زعماء القبائل وحكام المناطق، مما يعني أنه كان هناك ما يشبه الحكم الذاتي تحت سلطة الفرعون الإسمية، والواقع أن هذا الوضع لا يختلف كثيراً عن العهود السابقة، حيث لم يشهد تاريخ الدولة المصرية، أي تدخل عسكري داخل حدود ليبيا الحالية، وإن لم يخل الأمر من اصطدامات بين القبائل الليبية والسلطة الفرعونية، قريباً من الدلتا. أو بجوارها كما استعرضناها في الفصول

---

(1) محمد أبو المحاسن عصفور، معالم تاريخ، ص208.

(2) دريتون، مصر، ص581.

السابقة ويمكن القول اجمالاً أن القبائل الليبية التي اصطدمت كثيراً بالسلطة الفرعونية، لم تجد في ذلك الوقت عائقاً أمام دخولها الوادي[1]، ولذلك فإن أي صدام بينهما وبين السلطة الحاكمة والتي تّمت لها بصلة القُربى، كأن أمراً بعيد الاحتمال.

(1) مصطفى عبدالعليم، دراسات في تاريخ ليبيا، ص34.

المبحث الثالث

الحكم الليبي لمصر
نتائجه السياسية والاجتماعية والحضارية

أولاً: النتائج السياسـية:

العودة إلى الماضي:

لقد صار في حكم المؤكد أن عمليات توحيد سياسية قد شهدتها بلاد وادي النيل قبل عملية التوحيد المعروفة في العصور التاريخية والتي تنسب لأهل الجنوب بقيادة نارمر وتجمع آراء الباحثين على أن هذا التوحيد الذي يسبق العصور التاريخية كان عن طريق أهل الشمال أي الدلتا[1]، وحيث أن معظم هؤلاء وخاصة الدلتا الغربية كانوا من القبائل الليبية دون النظر إلى تسمياتها المختلفة عبر العصور[2]، فإن ذلك يعني أن هذه القبائل قد انتظرت أكثر من ألفي سنة حتى تستعيد زمام المبادرة وتتولى السلطة من جديد في الوادي[3]،

(1) عبدالعزيز صالح، حضارة مصر القديمة، جـ1، ص ص195-198. وكذلك إبراهيم أحمد رزقانة، الحضارة المصرية، ص253. وكذلك فوزي فهيم جاد الله، مسائل في مصادر، ص59، 61.

(2) وهو ما دفع أحد الباحثين إلى القول أن (نارمر) قد قام بفتح ليبيا في وصفه لحملته على الشمال عند توحيده لمصر. انظر: فوزي فهيم جاد الله، مسائل، ص58.

(3) فوزي فهيم جاد الله، مسائل، ص59.

وكان ذلك الحدث خاتمة لصراع متواصل بين هذه القبائل البدوية من جهة وبين السلطة الحاكمة من جهة أخرى، والتي بذلت جهداً متواصلاً لجعل الوادي منطقة محرمة على تلك القبائل التي لا تعترف بالحدود التي ترسمها الحكومات لتفصل بين قبيلة وأخرى دون مراعاة لأي اعتبار سوى مصالحها الذاتية المتمثلة في بقائها في السلطة وبين هذين الحدثين تتابعت الأحداث وتلاحقت بين مدّ وجزر لهذا الفريق أو ذاك حتى تمكنت هذه القبائل المثابرة من تثبيت أقدامها في الوادي من جديد وإقامة حكومة لها ظلت أكثر من قرنين من الزمن في فترة من أصعب فترات تاريخ الوادي عندما شاخت حضارته وبدأت شمسها تأذن بالمغيب.

كان من الطبيعي أن يترتب عن هذا الحدث الكبير، في تاريخ الدولة المصرية نتائج سياسية منها:

أ ـ اعادة الوحدة لاقليمي الوادي شماله وجنوبه والقضاء على ازدواجية السلطة التي كانت سائدة في عهد الأسرة الحادية والعشرين عندما كانت هناك سلطة كهنوتية دينية تتخذ من طيبة مركزاً لها، وأخرى سياسية، اتخذت من (تانيس) - صا الحجر الحالية ـ في شرق الدلتا، مركزاً لها[1]، ورغم أن عصر هذه الأسرة قد تميز بقدر من الانسجام بين هاتين السلطتين إلا إنه أثر تأثيراً بالغاً، في موقف مصر الاقليمي كقوة مؤثرة، لأن توزع السلطة، قد ساهم في ضعف امكانية مساهمتها، في الأحداث الاقليمية، وعجزت عن ممارسة دورها القيادي، الذي كانت تقوم به في عصور وحدتها وقوتها، والواقع أن هذا الضعف كان مسئولاً بدرجة كبيرة عن تطورات سياسية خطيرة كان يمكن أن لا تحدث ومنها تمكن الجماعات اليهودية من تأسيس كيان سياسي لها وما نتج عن ذلك من حملات إبادة تعرَّض لها سكان مناطق الشام وكياناتها السياسية التي صارت هدفاً للدولة اليهودية الساعية إلى بناء دولتها التوراتيه من الفرات إلى

(1) أحمد فخري، مصر الفرعونية، ص407.

النيل مستغلين في ذلك غياب دور مصر التي كانوا يصفونها (بالقصبة المهمشة)[1]، كناية عن ضعفها وعدم قدرتها على حماية جناحها الشرقي الذي كان منطقة نفوذ طبيعي لها.

ب ـ حماية وادي النيل من الأطماع اليهودية: استطاع تحتمس الثالث (1490 ـ 1436ق.م) بحملاته المتكررة على بلاد الشام[2] أن يجعل هذه المنطقة جزءاً من الامبراطورية المصرية، وخضعت معظم امارات المنطقة لحكم الدولة المصرية القوية، وعندما تراخت قبضة السلطة المصرية نتيجة لضعفها بدأت هذه الإمارات تسعى لخلع النفوذ المصري عنها ولكنها رغم ذلك لم تفكر فيما هو أبعد من هذا الأمر كغزو مصر على سبيل المثال بل إنها استمرت على علاقاتها الاقتصادية المتينة حتى في أشد مراحل ضعف هذه الدولة وحافظت بعض هذه الإمارات على ولائها للدولة المصرية التي كانت تجد فيها سنداً لها ضد أي خطر وتوضح لنا رسائل (تل العمارنه) التي تعود إلى عصر (اخناتون)، مدى حرص بعض هذه الامارات على هذه العلاقة رغم عجز مصر عن تقديم أي عون لهؤلاء الحلفاء وتجسد لنا قصة (ون آمون)[3] مثلاً حياً عن هذه العلاقة حيث بدأ أمراء الشام يشعرون بتضاؤل السلطة المصرية ودورها في تقرير الأحداث السياسية في المنطقة وقد تمثل ذلك في المعاملة التي قوبل بها هذا المبعوث المصري لكن الخطر الأكبر لم يكن من هؤلاء الأمراء بل من العناصر اليهودية التي كانت تنفذ مخططاً بعيد المدى للسيطرة على المنطقة كلها بما فيها مصر فاليهود الذين دخلوا

---

(1) الصحراء الكبرى، ص84..

(2) فيليب حتي، تاريخ سوريا، ص140.

(3) وردت هذه القصة على متن بردية عثر عليها في بلدة الحيبة بالوجه القبلي عام 1891م وهي محفوظة الآن بمتحف موسكو، وكان أول من ترجمها الباحث الروسي (جولينثيف) وصاحبها هو أحد كهنة آمون الذي أرسله (حريحور) الكاهن الأكبر لمعبد آمرن إلى الشام لاحضار خشب الأرز لصناعة القارب المقدسي للإله آمون، ويحكي في قصته المتاعب وسؤ المعاملة من طرف أمير مدينة (جبيل) اللبنانية كدليل على استهتار هؤلاء الأمراء بمصر نتيجة لضعفها. انظر في ذلك: سليم حسن، الأدب المصري القديم، جـ1، ص163، وكذلك Breasted, (A. R. E), OP. Cit. part 569. Gardiner; (E. P), OP. Cit. p.p. 306-313.

في عهد مبكر كقبيلة بدوية رعوية تطلب الاستقرار بجوار الوادي مدفوعة بالفقر والحاجة، وبعد أن استقرت زمناً طويلاً هناك حتى خروجها في عهد موسى عليه السلام كانت تحمل قدراً كبيراً من الحقد على أهل الوادي لأنها ترى أن السلطة الفرعونية قد استعبدت اليهود وأذلتهم وأن عليها أن تنتصر لظلمها وتنتقم من المصريين وأن انتقامها ليس سوى عقاب إلٰهي للمصريين سيتم على يد اليهود كما جاء في التوراة[1] «يد الرّب تكون على مواشيهم في الحقل وعلى الخيل والحمير والجمال والبقر والغنم ومواشيك التي في الحقل»، ولن يقتصر العقاب على الحيوانات فقط بل يصيب الشعب المصري كله و«كان صراخ عظيم في مصر لأنه لم يكن بيت ليس فيه ميت»[2]، وبمثل هذه الروح العدوانية بدأت المملكة اليهودية مشروعها لاحتلال المنطقة وضرب مصر وكانت الخطوة الأولى العمل على فك عرى العلاقة بينها وبين أمراء الشام حتى يسهل تكوين نواة الدولة هناك ومن ثم الزحف على مصر وغيرها من المناطق الأخرى لتنفيذ (وعد الرّب)، وكان يمكن لهذه السياسة أن تنجح في ظل عجز السلطة المصرية الحاكمة، إلا أن قيام الأسرة الليبية الحاكمة الثانية والعشرين وتمكنها من توحيد الوادي واعادة العلاقة الطبيعية مع الشام أسهم في خلق جبهة قوية أمام الأطماع اليهودية وترافق ذلك مع سياسة ناجحة قام بها شيشنق الأول تمكن بها من بذر الخلاف بين زعماء الكيان اليهودي تمهيداً لعمله الأساسي الذي تمثل في غزو المملكة اليهودية وانقاذ المنطقة من خطرها ولو إلى حين وما كان ذلك ليتم لولا عملية الوحدة في وادي النيل وكانت ليبيا ضمن نطاق هذه الدولة الواحدة حيث صار للقيادة السياسية قوة عسكرية ضاربة هي التي تمكنت من ضرب (دولة اسرائيل) التي كوَّنها داوود ومن بعده سليمان[3].

إن الأطماع اليهودية التي تغذيها عقيدة توراتية منحرفة عادت من جديد للظهور بعد أن استردت الجماعة اليهودية بعض قوتها فجهزت جيوشها للقيام

(1) سفر الخروج، 9/ 3.
(2) سفر الخروج، 12 / 30.
(3) علي فهمي خشيم، التواصل، ص113.

بمغامرة جديدة ولكن (أوسركون الثاني) شعر بالخطر قبل وقوعه فأرسل جيشه للتصدي لذلك الخطر، ورغم أن تلك الحملة قد فشلت في تحقيق نصر عسكري حسب رواية التوراة إلا أنها نجحت في وقف المشروع اليهودي مؤقتاً تاركة أمر القضاء عليه لقوة جديدة صاعدة في بلاد الرافدين وهي الدولة الآشورية التي سحقت الدولة اليهودية بعد ذلك.

ج ـ **حل مشكلة ازدواجية السلطة**: رغم أن فراعنة دولة وادي النيل قد اكتسبوا اضافة إلى سلطتهم السياسية مركزاً دينياً متميزاً وصل إلى حد اعتبار أنفسهم آلهة إلا أن تطور الأوضاع قد أدى إلى تنازلهم عن بعض هذه الامتيازات لصالح الطبقة الكهنونية، وقد استطاعت هذه الطبقة وخاصة الممثلة للإله آمون أن تزيد من نفوذها بالتدريج حتى صارت - وخاصة في عهد الدولة الحديثة - قوة سياسية موازية لسلطة الفرعون ذاته[1]. وقد رأينا أثر ذلك في عهد الأسرة الحادية والعشرين عندما توزعت السلطة بين الفرعون في الشمال وكهنة آمون في طيبة وأزاء هذا الوضع حاول فراعنة الأسرة الليبية القضاء على هذه الازدواجية عن طريق:

أ ـ الحد من نفوذ الطبقة الكهنوتية السابقة مما أجبر معظم أفرادها على مغادرة طيبة نحو (نباتا) بعيداً عن مركز السلطة في الدلتا[2].

ب ـ تعيين أفراد الأسرة على رأس السلطة الدينية في طيبة وذلك لضمان ولاء هذه المؤسسة الدينية للسلطة السياسية إضافة إلى اسناد قيادة الجيش إلى هؤلاء لضمان موقف المؤسسة العسكرية أيضاً[3].

---

(1) للمزيد حول هذا الموضوع انظر: برستد، فجر الضمير، ص356، وكذلك للباحث نفسه، تاريخ مصر، ص465، وكذلك: أحمد فخري، مصر الفرعونية، ص396، وكذلك: أحمد حسين، موسوعة تاريخ مصر، جـ1، ص140، وكذلك: سيد توفيق، معالم تاريخ، ص330.

(2) محمد أبو المحاسن عصفور، معالم تاريخ، ص207.

(3) انظر حول ذلك: سليم حسن، مصر القديمة، جـ9، ص198، كذلك: تاريخنا، الكتاب الأول، ص226

كان أول من قام بهذه الخطوة شيشنق الأول، مؤسس الأسرة الثانية والعشرين ثم صار تقليداً رسمياً للفراعنة اللاحقين الذين سعى بعضهم إلى جعل منصب الكهانه وراثياً هو أيضاً، وهو حل كان ناجحاً في البداية، إلا أنه تحول على المدى الطويل إلى مشكلة فقد صار هؤلاء الكهنة الوراثيون بمثابة ملوك ينقلون سلطاتهم إلى أحفادهم مما أدى إلى الصدام مع السلطة السياسية مثلما حدث في عهد (أوسركون الثاني)[1]، الذي لجأ إلى محاولة عزل رؤساء الكهنة السابقين واحلال أولاده محلهم، ونستنتج من الدعاء الذي يروي عنه بتثبيت أبنائه ورغبته في عدم صراعهم على هذا المنصب[2]، إلى شعوره بخطورة الأمر، وربما كانت خطوته المتمثلة في اعلاء شأن الآلهة (بست) محاولة منه للحد من نفوذ الإلٰه آمون وكهنته كخطوة اضافية لتلاقي الخطر[3].

د ـ **اطالة أمد الدولة المصرية**: أن المطلع على أحوال مصر خلال عهد الأسرة الحادية والعشرين يدرك أن هذه الدولة كادت تسقط صريعة الفوضى والضعف السياسي، والتآمر الاقليمي فقد شهد القرن والنصف الذي حكم فيه هؤلاء الملوك التانيسيون اضمحلال الصناعة وتقهقر حالة البلاد الاقتصادية لأن هؤلاء الحكام لم يظهروا استعداداً إلى الرقي والتقدم[4] وهو ما انعكس بدوره على أوضاع الدولة السياسية وأصابها بالعجز شبه الكامل ولم يجد هؤلاء الملوك سوى الإفتخار بأجدادهم العظام وتباروا مع كهنة آمون في حفظ جثث هؤلاء كما يقول (برستد)[5]، ولذلك فإن قيام الحكم الليبي أنقذ الدولة المصرية من السقوط وأطال في عمرها أكثر من قرنين من الزمن وأعاد لها مجدها القديم الذي شهدته زمن الامبراطورية[6]، وفرض احترامها على مناطق شاسعة من

(1) عبدالحليم نورالدين، تاريخ وحضارة، ص268.
(2) برستد، تاريخ مصر، ص497.
(3) تاريخنا، الكتاب الأول، ص207، انظر أيضاً: مرجريت مري، مصر ومجدها الغابر، ص132.
(4) برستد، تاريخ مصر، ص491.
(5) المرجع نفسه، والصفحة كذلك.
(6) المرجع نفسه، ص496.

شمال فلسطين شمالاً إلى أعلى النيل جنوباً ومن الصحاري الغربية غرباً، إلى البحر الأحمر شرقاً.

ثانياً: النتائج الاجتماعية:

لا شك أن التاريخ السياسي وما يرتبط به قد نال درجة كبيرة من الاهتمام من جانب المصادر التاريخية وعناية خاصة من الباحثين المعاصرين حتى غلبت مادته على ما عداها من الجوانب الأخرى التي أهملت أو تم تجاهلها مما جعل البحث فيها يواجه صعوبة كبيرة وقد لا يجد الباحث مفراً أمام نقص الأدلة والشواهد من الاستنتاج والافتراض.

فيما يتعلق بالجانب الاجتماعي يمكن القول بيقين أن درجة كبيرة من الانصهار قد حدثت بين سكان الوادي وبين المهاجرين الجدد وأن أعداداً غفيرة منهم قد وجدت طريقها إلى الوادي بعد أن زالت السلطة التي كانت تقف حجر عثرة في طريق وصولها إلى الوادي، وهذا الاختلاط والانصهار لا بد أن يقود إلى تأثيرات متبادلة وعلاقات اجتماعية متشابكة خاصة مع وجود روابط تاريخية عميقة بين أهل الوادي الحضريين، والقبائل الليبية البدوية وهو ما يؤدي إلى تقليص الفوارق والتنوعات الجغرافية داخل الاطار الحضاري الواحد[1]، الذي جمع ولا زال يجمع هذه المنطقة وهي فوراق طبيعية تفرضها طبيعة الاقامة أو مستوى المعيشة أو نوع الحرفة أو النظام الاجتماعي وهي في معظمها لا تمس جوهر وجود تلك الجماعات بقدر ما تتعلق بتمايزات طفيفة من حيث اللغة أو التصورات العقائدية أو العادات الاجتماعية وهي ظواهر لا زلنا نلمسها حتى في المجتمعات المعاصرة[2] وخاصة في مجال اللغة ولهجاتها المتعددة[3].

يذكر بعض الباحثين أن الليبيين بعد اقامتهم في الوادي قد (تمصروا) ولم

---

(1) Mc Burney, C.b.m, The Stone age of Northern Africa, Apelican, book, 1960, p.129

(2) محمد علي عيسى، الجذور التاريخية، ص44.

(3) عبدالعزيز صالح، الشرق الأدنى ن جا، ص303.

يعودوا أغراباً، واذا أخذنا هذا الحكم بمعناه الاقتصادي أي أنهم صاروا من الحضر المستقرين فيبدو هذا الاستنتاج معقولاً أما من حيث دلالته الاجتماعية أي أنهم قد تحولوا من (ليبيين) إلى (مصريين) فهو قول يخالف الواقع تماماً لأنه يقوم على مقدمات مغلوطة تفترض أن اختلافات اجتماعية عميقة بين الجماعتين وأن احداهما قد انصهرت في الأخرى وتأثرت بها وفقدت خصائصها المتميزة لكن أياً من هذه الأمور لا نجدها على أرض الواقع فاضافة إلى الأصول الواحدة فإن معظم الآلهة التي قدسها الليبيون هي نفس الآلهة التي كان لها شأن كبير في عقيدة أهل الوادي مثل الإله (آمون) والإله (حرشف) والالهة (بست) وغيرها، واذا كنا لا نملك دليلاً على التقارب اللغوي بين الجماعتين نتيجة لعدم معرفتنا الأكيدة باللغة التي كان يتكلمها هؤلاء الليبيين، إلا أن الدراسات الحديثة، تؤكد التقارب الكبير بين لهجات منطقة غرب النيل واللغة المصرية، وأن كل هذه اللهجات تعود إلى أصول واحدة.

والواقع أن مصطلح (تمصير) الليبيين ليس سوى ترديد لوجهات نظر مؤرخين غربيين نراها لدى العديد من الباحثين العرب حتى أن أحدهم ذهب إلى مقارنة الليبيين بالمماليك[1]، وهي مقارنة لا أساس لها من الصحة لأن هؤلاء المماليك كانوا خليطاً من أمم وشعوب متفرقة لم يجمع بينها سوى اعتناق الإسلام وأجبرتها ظروف تاريخية طارئة لا إرادة لها فيها على تكوين رابطة اجتماعية متميزة عن المجتمع المصري.

أما الليبيون فقد كانوا على مر العصور جزءاً من نسيج مجتمع وادي النيل وإن اختلفت درجة ولائهم للسلطة الحاكمة أو ظروف حياتهم مع الفئة المستقرة حول الوادي وشبيه بالوصف السابق وصفهم بـ (المهجنين)[2] لأنهم كانوا خليطاً من القبائل التي اتحدت مع بعضها لحكم مصر وهو حكم لا معنى له فلا

---

(1) عبدالعزيز صالح الشرق الأدنى القديم، جا، ص303.

(2) نفس المرجع السابق، ص302. انظر كذلك: رمضان عبده علي، تاريخ مصر القديم، ج2، ص350.

يمكن وصف اتحاد أية قبائل بأنه (مجتمع مهجن)، بل أن هذا الوصف سينطبق على مجتمع الوادي نفسه الذي تكوَّن من اجتماع قبائله على ضفتي الوادي عبر عصور متلاحقة من الهجرة.

ومن الأوصاف الأخرى التي أطلقت عليهم صفة المرتزقة لأن معظمهم كانوا من المجندين في الجيش المصري وهي صفة لا معنى لها أيضاً فليس كل من يجند في الجيش يجب أن يكون مرتزقاً، بل أنه ليس هناك أي دليل تاريخي على أن المرتزقة قد استخدموا في الجيش كما يشار إلى ذلك عن طريق الخطأ كما يقول غاردنر[1]، وقد نفهم استخدامهم في الجيش هم وأهل النوبة لسببين أثنين: أولهما إنهم من أهل البادية الأشداء وثانيهما عدم إمكانية استخدام أهل الحضر المنشغلين بالزراعة وهي المصدر الأساسي لاقتصاد وادي النيل.

نظام الطبقات الاجتماعية:

ينسب للمؤرخ هيرودوت قوله[2] أن المجتمع المصري قد أنقسم في العهد الليبي إلى مجموعة من الطبقات كان على رأسها طبقتين متميزتين هما:

(ماخيموي) و(هرموتوبيس)[3] وأن كل أعضاء هاتين الطبقتين كانوا من الجنود الليبيين. وقد اتخذ البعض هذا القول ذريعة للادعاء بأن الليبيين كانوا يكونون طبقة اجتماعية منعزلة عن المجتمع المصري تمتلك القوة العسكرية التي تحكم بها البلاد اضافة إلى قوتها الاقتصادية العائدة عن طريق الأقطاعات التي

(1) غاردنر، مصر الفراعنة، ص288.

(2) محمد صقر خفاجة، هيرودوت، الكتاب الثاني، الفقرات: 164-165-166.

(3) ماخيموي وهي تقابل الكلمة المصرية (كالزيري) أي (المجند الفتي) أما هرموتوبيس فتعني رجال العربات أي المسئولين عن قيادة العربات الحربية. انظر: سليم حسن، مصر القديمة، ج9، ص ص486-487.

وكذلك: دريثون، مصر، ص582-583، ويعلق دريثون على ذلك بقوله (أن علينا أن ننظر إلى الروايات الأغريقية بحذر).

منحت لقادة وجنود هاتين الطائفتين[1]، والواقع أن وجود طبقة متميزة عن بقية المجتمع في فترة من الفترات يعد أمراً طبيعياً نتيجة لظروف سياسية حيث تسعى السلطة الحاكمة إلى استمالة بعض العناصر والتحالف معها مثلما نشأت طبقة (كهنة آمون) التي قدم لها فراعنة مصر كل العون لمساعدتها لهم في تثبيت سلطاتهم ولا يفوتنا أن نشير هنا إلى أن وجهة نظر هيرودوت، ربما كانت متأثرة بنظرته كمواطن أغريقي عاش في مجتمع طبقي وهي سمة أساسية لمجتمعات المدن الأغريقية كما هو معروف أي أنه أراد أن يلبس مجتمع وادي النيل، ثوب أغريقي لا يصلح له، خاصة وإن انقسام أي مجتمع إلى طوائف تمثل أصحاب المهن والحرف المختلفة لا يعني بالضرورة أنه مجتمع طبقي فالنظام الطبقي له خصائصه المعروفة والتي لا مجال لمناقشتها هنا.

ثالثاً: النتائج الحضارية:

أ ـ فنون العمارة:

يتفق الباحثون على أن دلتا النيل الغنية وذات الامكانيات الاقتصادية الكبيرة التي ساهمت في ازدهار وادي النيل وحضارته إلا انها كانت ذات أثر سلبي على المخلفات الأثرية والمنشآت المعمارية فالرطوبة الشديدة من جهة والطمي المتراكم بكميات كبيرة سنوياً من جهة أخرى والكثافة السكانية والزراعية الشديدة، كل هذه العوامل ساهمت في طمس جزء كبير من المخلفات المعمارية التي أقيمت في الدلتا عبر تاريخ الدولة المصرية حتى أن معظم ما تبقى من حضارة دولة الوادي يتركز أساساً في المناطق الوسطى والجنوبية وحيث أن مركز الحكم الليبي كان أساساً في الدلتا فليس هناك ما يمنع من الاستنتاج أن قدراً كبيراً من المنجزات المعمارية لهذا العصر قد تلاشت

---

(1) للمزيد حول هذا الموضوع انظر: سليم حسن، مصر القديمة، ج9، ص ص482-491. انظر كذلك: محمد صقر خفاجة، هيرودوت يتحدث عن مصر، ص297، وتعليق أحمد بدوي حول هذا الموضوع، هامش2

أو طمرت تحت طبقات الطمي المتراكمة[1]، إلا أن ما تبقى من هذه المخلفات يشير إلى الجهد الكبير الذي بذل في هذا المجال وسنذكر أمثلة بارزة له تاركين مسألة التحليل الفني لهذه الآثار للمتخصصين في هذا المجال.

كان لمؤسس الأسرة شيشنق الأول النصيب الأكبر من المنجزات المعمارية فقد شيد العمائر الشامخة كما فعل فراعنة مصر الأولون[2]، كما يقول برستد واكراماً للآلهة التي ساعدته في الوصول إلى السلطة[3]، ومن بين تلك المنشآت بوابة شيشنق والتي تعرف ببوابة النصر وهي جزء من الامتداد الجنوبي لبهو الأعمدة بالكرنك وقد سجل عليها شيشنق أخبار انتصاراته على الدولة اليهودية في فلسطين وتاريخ كهنة آمون من أفراد الأسرة[4]، وتقع هذه البوابة بين معبد رمسيس الثاني والبوابة الثانية التي تمثل واجهة معبد الكرنك، ويطلق عليها أيضاً (بوابة بوابسطة)[5].

أما أضخم تلك العمائر فيتمثل في البهو العظيم بمعبد الكرنك في قلب مدينة طيبة والذي أقام أمامه صرحه الكبير، وهو أكبر صرح عرفته مصر القديمة بأسرها[6] ويقدم لنا (برستد) وصفاً لهذه المنشآت التي يرى أنها قد أكملت عمارة معبد الكرنك وأعطته شكلاً بديعاً من جهة النيل فقد بلغت مساحة الفناء حوالي (105) متراً طولاً و(90) متراً عرضاً في حين بلغ ارتفاعه (52) متراً وسمكه (12) متراً أما الصرح فقد بلغ (112) متراً طولاً وهو أكبر صرح من نوعه في الآثار المصرية[7]، وقد ارتبط بهذه المنشآت ما عرف بلوحة السلسلة، وهي

(1) غاردنر، مصر الفراعنة، ص361. انظر كذلك: ايثين دريثون، مصر، ص578. هامش(1).
(2) برستد، تاريخ مصر، ص496، وللباحث نفسه Breasted (A.R.E), OP. Cit, part (709-722).
(3) سليم حسن، مصر القديمة، ج9، ص109.
(4) تاريخنا، الكتاب الأول، ص186.
(5) سليم حسن، المرجع السابق، ص109.
(6) أحمد حسين، موسوعة مصر، ج1، ص147.
(7) برستد، تاريخ مصر، ص496. انظر أيضاً: أحمد حسين، موسوعة تاريخ مصر، ج1، ص147، وكذلك: تاريخنا، الكتاب الأول، ص198.

لوحة قام بنقشها رئيس بعثة قطع الحجارة من جبال السلسلة التي تقع بين (ادفو وأسوان)، ويذكر النقش الذي تركه (حور مساف) وهو رئيس البعثة أن (جلالته أعطى أوامره لاقامة بوابة عظيمة جداً لأجل أن تضيء طيبة وأقام أبوابها من عشرة آلاف ذراع وذلك لاقامة ردهة أعياد لبيت والده آمون رع)[1]، والمعروف أن العمل بهذا المشروع قد بدأ في السنة الحادية والعشرين من حكمه ثم أكمله ابنه من بعده[2] ومن آثاره المعمارية أيضاً ما يعرف بلوحة الكرنك، والتي عثر عليها (لجران ـ Legrain) عام 1894م، وهي من الحجر الرملي وقد تهشمت معظم نصوصها، وتظهر رسومها شيشنق وهو يقدم القرابين للإله آمون[3]، كما ترك شيشنق الأول أثرين بارزين كانت لهما قيمة تاريخية عالية اضافة إلى قيمتها المعمارية وهما لوحة واحة الداخلة، ولوحة الضرائب، أما عن اللوحة الأولى فإنها تلخص رواية الخلاف حول بئر ماء في تلك الواحة وتكليف شيشنق لابنه بالذهاب إلى الواحة، وحل النزاع بين المواطنين وتروى تلك اللوحة طريقة حل الخلاف ويصف سليم حسن هذه اللوحة بأنها ذات أهمية بالغة بالنسبة لتاريخ هذه الفترة حيث إنها تبحث في الأحوال الطبيعية والادارية والدينية والطبوغرافية لهذا الاقليم كما أنها تحتوي على تطور جديد تمثل في إضافة لقب الفرعون قبل اسمه الملكي، وهو تقليد لم يكن معروفاً من قبل حيث كانت كلمة فرعون وصفاً للقصر الملكي وليس للملوك أنفسهم كما أنها تقدم لنا وصفاً تفصيلياً للقضاء بواسطة الوحي[4].

أما عن لوحة الضرائب والتي عثر عليها عام (1907) في (أهناسيا المدينة) وهي المقر الأصلي للأسرة وتوجد الآن بالمتحف المصري وهي لوحة ارتفاعها

(1) سليم حسن، مصر القديمة، جـ9، ص111.
(2) غاردنر، مصر الفراعنة، ص360.
(3) سليم حسن، مصر القديمة، جـ9، ص133. انظر كذلك: تاريخنا، الكتاب الأول، ص191-192.
(4) سليم حسن، مصر القديمة، جـ9، ص ص133-137.

57سم وطولها 56سم وتحوي (29) سطراً وقد أقيمت نتيجة لطلب ابن شيشنق مساعدته في الحصول على قرابين لمعبد الإله (حرشف) وهو إله المدينة فاستجاب له والده وأصدر أمراً بفرض مجموعة من الضرائب وتوزيعها على المدن المختلفة والحرف وفئات الشعب لتوفير ثمن ثيران التضحية وهي تمثل وثيقة مهمة عن نوع الضرائب إضافة إلى قيمتها الدينية والجغرافية[1].

أما أوسركون الأول فقد ترك عدة أعمال تجسد نشاطه المعماري ومن بينها توسيع معبد صغير يقع على مشارف مدينة بوبسطة، واستكمال هذا المعبد في دلالة واضحة على انتقال مركز السلطة إلى هذه المدينة، وقد نقش على جدران هذا المعبد مجموعة الهبات الملكية للمعابد، وقد احتوى المعبد على مناظر جميلة مدهشة تزين القاعة الرئيسية به، وقد وصف سليم حسن هذه المناظر بقوله: لا يسع الإنسان إلا أن يؤخذ لجمالها ودقة صنعها[2]، كما ترك ما عرف بلوحة الوصية بالكرنك والتي أقامها في عهده ابنه (أوارات) وهي تحتوي على قائمة مفصلة بأوقاف معبد آمون وتوصف بأنها وثيقة قانونية نادرة عن ذلك العصر[3] اضافة إلى آثار أخرى متفرقة مثل لوحة العرابة المدفونة التي تعود للسنة (36) من حكمه، وكذلك قيامه باستكمال بناء معبد بمنطقة (الحيبة) واقامة بلدة صغيرة بالفيوم كما يعود لعصره عدد من التماثيل لأبي الهول والجعارين المنتشرة في بعض متاحف العالم مثل متحف (ليدن) بهولندا و(بروكسل) ببلجيكا، و(اللوفر) بباريس[4] يأتي أوسركون الثاني في المرتبة الثانية بين ملوك الأسرة الليبية من حيث قيمة الآثار المعمارية التي وصلت الينا من عهده.

فقد عرف عن هذا الملك أنه أعلى من شأن الآلهة (بسة) ولذلك فقد قام

(1) تاريخنا، الكتاب الأول، ص201.
(2) سليم حسن، مصر القديمة، ج9، ص179 وكذلك: Breasted (A.R.E)4, OP. Cit, part 729
(3) المرجع نفسه، ص190.
(4) سليم حسن، مصر القديمة، ج9، ص196-197.

بتشييد معبد كبير لها في تل بسطة، ويوصف هذا المعبد بأنه من أجمل المعابد التي أقيمت لهذه الآلهة[1]، كما أنه شيد في تانيس معبداً أخراً، وقد استخدم في بنائه حجارة نقلها من المعابد القديمة، وتدل هذه المنشآت على اهتمامه بمدينة بوبسطة التي صارت المركز الرئيسي للسلطة الحاكمة[2]، ومن صور ذلك انشاء فناء ضخم في المدينة للاحتفال بالعيد الثلاثيني، وهو تقليد جرى عليه فراعنة الوادي منذ أقدم العصور[3]، كما قام أوسركون الثاني باصلاح المعابد ومنها معبد الأقصر وذلك بعد أن غرق من أثر الفيضان الضخم الذي حدث في عهده[4].

قدمت الآثار المعمارية لأسركون الثاني، خدمة جليلة للتاريخ المصري فالنقوش الكثيرة التي اكتشفت على البوابة الضخمة التي أقامها داخل معبد مدينة بوبسطة تقدم وصفاً تفصيلياً لمناسبة دينية وسياسية مهمة في تاريخ الدولة المصرية وهي ما يعرف بعيد (سد) وهو العيد الذي يقام بمناسبة مرور ثلاثين عاماً على تولّي الملك السلطة وإن كان بعض الملوك لم يلتزم بهذه المدة في إقامة العيد وتشمل تلك النقوش مراحل الإعداد للعيد والإعلان عنه، وما يحدث خلاله من مظاهر الاحتفال[5]، ويعتبر هذا الوصف أوسع وأشمل وصف لهذا العيد اكتشف حتى الآن في وادي النيل[6].

كما أقام أوسركون قصراً ضخماً عرف بقصر (ملايين السنين) ووجدت آثار له خارج مصر ومنها تمثال له في معبد (الإله بعل) بمدينة (جبيل) مما يشير إلى العلاقات الوطيدة في عهده مع إمارات الشام وفي فلسطين أيضاً حيث عثر على آنية من المرمر عليها اسمه في السامرة[7].

---

(1) عبدالحليم نور الدين، تاريخ وحضارة مصر، ص268، 269.
(2) سليم حسن، مصر القديمة، ج9، ص223.
(3) برستد، تاريخ مصر، ص498، غاردنر، مصر الفراعنة، ص362.
(4) المرجع نفسه، والصفحة كذلك، انظر كذلك: عبدالحميد زائد، مصر الخالدة، ج2، ص426.
(5) حول تفصيلات ذلك انظر: عبدالحميد زائد، مصر الخالدة، ج2، ص ص435-451.
(6) رمضان عبده علي، تاريخ مصر، ج2، ص358.
(7) سليم حسن، مصر القديمة، ج9، ص232.

من أهم المجموعات الأثرية المتكاملة التي عثر عليها تلك التي تعود لشيشنق الثاني، والتي تتمثل في تابوته الخاص، وهو من الفضة الخالصة (والمعلوم أن الفضة كانت أغلى من الذهب في ذلك الوقت - ورأس صقر من الذهب الخالص ومقتنيات شخصية مثل النعال والأساور الذهبية، وخاتمه الشخصي وقناع من الذهب يغطي المومياء، وكذلك صدرية ذهبية نقش عليها مقتطفات من كتاب الموتى، إضافة إلى أشياء أخرى عديدة[1].

ب ـ العقائد الدينية:

لا شك أن العقائد الدينية هي أبرز مقومات الشعوب التي تميزها عن الآخرين وهي أهم مظاهر وحدة أية جماعة إنسانية[2]، ورغم عدم اغفالنا للتأثيرات المتبادلة بين الشعوب في مجال العقائد الدينية إلا أن دراسة متأنية للمعتقدات الدينية التي سادت مصر القديمة، وتلك التي وجدت لدى القبائل الليبية تشير من غير شك إلى عمق الروابط بين الجماعتين وأن العلاقة بينهما تتجاوز فكرة التأثيرات المتبادلة، ومن ذلك على سبيل المثال أن الكثير من الباحثين يرجعون الكثير من الآلهة المصرية القديمة إلى أصول ليبية أو صحراوية كما يرون أو بمعنى آخر إنها آلهة مشتركة بين الجماعتين، ومن ذلك الإله (أزوريس) إله الغرب[3]، وكذلك الآلهة (نيت) معبودة الدلتا الغربية والإله (ست) الذي كان يحمل في عهد الدولة القديمة لقب (سيد ليبيا)[4] أو سيد الصحراء الغربية كما يقول (والسى بدج)[5] والواقع أن هذا الموضوع طويل

---

(1) تاريخنا، الكتاب الأول، ص ص209-220.
(2) محمد مصطفى بازامة، تأثير الليبيين في الحضارتين المصرية واليونانية، ليبيا في التاريخ، ص86.
(3) المرجع نفسه، والصفحة كذلك.
(4) نجيب ميخائيل إبراهيم، الشرق الأدنى القديم، جـ4، ص176.
(5) Wallis Budge, E.A; The Dwellers on The Nile, Dover pobications, inc. New york 1977, p.157

ومتشعب ويقود البحث فيه إلى تأكيد العلاقة الدينية الوثيقة بين أهل الوادي وقبائل الصحراء الغربية بشكل واضح وجلي[1].

حيث أن الآلهة المتعددة للشعوب القديمة قد يرتفع شأنها حيناً ويخبو حيناً آخر لذلك نجد أن أهم الآلهة التي كان لها شأن كبير في عهد الحكم الليبي تمثلت في: ـ

أ ـ الإله حرشف:

يعتبر هذا الإله واحد من أقدم الآلهة التي عبدت في وادي النيل والمناطق المجاورة له ويتشابه هذا الإله في صورته مع آلهة أخرى مثل الإله آمون والإله ختوم، وليس هناك من اختلاف سوى في شكل القرون التي تحملها هذه الآلهة وربما كانت تلك مجرد اختلافات محلية طفيفة لا تنفي العلاقة الوثيقة بين هذه الآلهة وانها ليست سوى صور متعددة لإله واحد عبد في مناطق مختلفة[2]، فعرف في منطقة الشلال (خنوم) وفي طيبة (آمون) أما حرشف فقد كان مركزه (أهناسيا المدينة) وتحديداً في الفيوم[3] ومما يؤكد العلاقة الوثيقة بين هذه الآلهة هو ارتباطها بالماء فبينما كان ختوم إله الشلال الأول، وهو مصدر ومنبع النيل كما يعتقده المصريون القدماء كان حرشف إله المياه المتدفقة عند بحيرة (قارون)[4]، ومما يلفت الانتباه هنا أن اسم هذا الإله قد كتب بصور متعددة تترجم إلى معاني مختلفة فهو يكتب أحياناً (حرى شف)[5] والتي تعني (الذي على رماله) كما يكتب (حر - شف) وتعني ربّ القوة والشجاعة، ويكتب أيضاً (حرى - شا - ف) وتعني الذي على بحيرته، وقد تبدو هذه المعاني المختلفة

---

(1) للمزيد حول هذا الموضوع انظر: فوزي فهيم جاد الله، مسائل، ص56، 57.

(2) تاريخنا، الكتاب الأول، ص ص223-224.

(3) Robert. A.Armour; Gods And Myths of Ancient Egypt The American Vniversity in Cairo press, 1986, p. p 192-193

(4) علي فهمي خشيم، بحثاً عن فرعون، ص333.

(5) مصطفى عبدالعليم، دراسات في تاريخ ليبيا، ص33.

ذات صلة وثيقة ببعضها البعض نظراً لتجسيدها لفكرة الأرض الرملية القاحلة من جهة والماء الذي يبعث الحياة في هذه الأرض من جهة أخرى وارتباط هذين المعنيين بالإلٰه القوى الشجاع المحبوب الذي يسر ذلك لعباده.

عندما تمكنت الأسرة الليبية من تثبيت نفسها في مدينة أهناسيا كقوة اجتماعية واقتصادية مؤثرة صار أبناؤها من الأعضاء المهمين في كهانة هذا الإلٰه مما مكنهم من السيطرة على السلطة الدينية في المدينة اضافة إلى نفوذهم الاقتصادي[1]، وهكذا صار هذا الإلٰه كما يقول أحد الباحثين هو الذي يحرك الأحداث من وراء ستارته حتى استطاع أبناء هذه الأسرة من الوصول للسلطة وتأسيس الأسرة الثانية والعشرين.

ب ـ الآلهة (باستت):

وقد أشتق اسم هذه الالهة من اسم المدينة التي عبدت فيها، وهي (تل بسطة)[2] وهي المركز السياسي الرئيسي للأسرة الثانية والعشرين والأسرات اللاحقة.

وقد نتج عن قيام الأسرة الليبية الحاكمة أن علا صيت هذه الآلهة فأقيمت لها المعابد الكبيرة مثلما فعل أوسركون الثاني وهكذا تحولت هذه الآلهة المحلية إلى واحدة من أهم آلهة مصر في ذلك العهد[3]، وقد اتخذت هذه الآلهة أشكال متعددة تجمع بينهما إنها من فصيلة القطط أو الأسود.

جـ ـ الإلٰـه آمـون:

وهو من الآلهة التي لا تحتاج إلى تعريف نظراً لشهرته الواسعة في مجال العقيدة في وادي النيل وعندما تولت الأسرة الليبية الحكم كان كهنة هذا الإلٰه في

---

(1) علي فهمي خشيم، بحثاً عن فرعون، ص337.
(2) سليم حسن، مصر القديمة، ج9، ص442.
(3) سليم حسن، مصر القديمة، ج9، ص444. انظر كذلك: بوزنر، معجم الحضارة، ص276، وتحليله للآلهة التي على هيئة (قطة) انظر كذلك: مرجريت مرى، مصر ومجدها الغابر، ص ص131-133.

طيبة قد حصلوا على نفوذ ضخم حتى صاروا ثقلاً سياسياً واقتصادياً كبيراً مما جعلهم منافسين خطيرين للسلطة الحاكمة وقد لجأت الأسرة الليبية الحاكمة إلى تلافي هذا الخطر عن طريق عزل أولئك الكهنة، وتسليم أبنائها مسئولية الكهانة في طيبة كما أظهر ملوك الأسرة اهتماماً شديداً بالانفاق على معابد هذا الإله حتى أن الهبات التي قدمها أوسركون الأول وصلت إلى حوالي (2,3) مليون (دبن)[1] [2] من الذهب والفضة اضافة إلى الاقطاعيات الأخرى المعتمدة مثلما يظهر من لوحة واحة الداخلة التي تعود لعصر شيشنق الأول والتي أشرنا إليها سابقاً[3].

د ـ الشعائر الدينية:

مع بداية النصف الثاني من القرن التاسع عشر قدّر للباحث الأثري (أوجست مارييت) الوصول إلى واحد من أهم الاكتشافات الأثرية في مصر وهي مدافن العجل (آبيس) في السرابيوم بمنطقة (سقارة) وهو عبارة عن مبنى تحت سطح الأرض كان يضم أكثر من أربعة وستين مومياء لعجول آبيس التي دفنت في توابيت ضخمة إضافة إلى عدد كبير من القطع الأثرية التي تعود معظمها إلى فترة الحكم الليبي، ومن أشهرها لوحة (حورباسن) التي تتعلق بنسب الأسرة الليبية[4]، وقد كان لهذا الكشف قيمته التاريخية الهامة لأن تلك التوابيت كانت مؤرخة مما مكنّ من رسم صورة تاريخية دقيقة لم تكن متيسرة من خلال المصادر التاريخية الأخرى، وتعود شعيرة (دفن العجل آبيس) إلى عصور موغلة في القدم، إلا أن الاهتمام بها قد تزايد في عهد الأسرة الليبية وقد

(1) مرجريت مرى، مصر ومجدها الغابر، ص179.
(2) (الدبن) ويساوي حوالي (91) جرام. انظر: سليم حسن، الأدب المصري القديم، جـ1، ص163.
(3) انظر ص من هذه الدراسة.
(4) انظر تفصيل هذا الكشف في: غاردنر، مصر الفراعنة، ص ص356-357. وكذلك: Breasted, (A.R.E)4, OP. Cit, part. 785

كان هذا العجل يمثل تجلياً لعدد من الآلهة التي ارتفع شأنها في عهد الأسرة مثل الآلهة (بتاّح) و(حورختي) و(أوزوريس)[1].

والعجل آبيس هو واحد من أربعة عجول مقدسة عرفتها منطقة وادي النيل[2]، وهو عبارة عن عجل مولود لبقرة عاجزة عن حمل وانجاب مولود آخر، وتكون له علامات محددة منها أن يكون أسود اللون وعلى جبهته نقطة مربعة، وعلى ظهره كما يعتقدون صورة نسر وشعره من ناحية الذيل مزدوج، وعندما يولد مثل هذا العجل يقتل العجل الأول في احتفال كبير، ويدفن في السرابيوم، ويصحب هذه الشعيرة الدينية سعادة بالغة لدى المحتفلين به، وكان العجل يدفن في تابوت حجري في غرفة خاصة ينقش عليها سنة حكم الفرعون والسنة التي مات فيها العجل، وعدد سنين حياته[3] وقد كان هذا الاحتفال من أهم الشعائر الدينية في عهد الحكم الليبي.

الأدب في عصر الحكم الليبي:

من المؤسف أن الأعمال الأدبية التي تعود لعصر الحكم الليبي قليلة جداً، وربما يعود ذلك إلى أن النصوص الأدبية التي تكتب عادة على أوراق البردى تعجز عن مقاومة عوامل الزمن خاصة في منطقة الدلتا التي أثرت بمناخها الرطب حتى على المخلفات الأثرية الأكثر صلابة كما مر بنا سابقاً ومع ذلك فقد حفظ لنا الزمن واحد من الآثار الأدبية المتميزة والتي تعرف بتعاليم (أمنموبي)، وهو الذي يُشار إليه بأنه أول من وضع علم الأعلام (Onomastica)[4]، والذي نسج على منواله الباحث الشهير في علوم المصريات (آلن غاردنر)[5]، وقد اختلفت آراء الباحثين حول الفترة التي عاش فيها هذا

---

(1) غاردنر، مصر الفراعنة، ص356.
(2) مرجريت مري، مصر ومجدها الغابر، ص135.
(3) مرجريت مرى، مصر ومجدها الغابر، ص136.
(4) بيتر كامب، تشريح حضارة، ص37.
(5) وهو صاحب المؤلف الشهير: (Ancient Egyptian Onomastica) الذي صدر عن جامعة أكسفورد عام 1947، وصار من المراجع المهمة للباحثين في تاريخ مصر.

الأديب، حيث تجعله بعض المراجع في أواخر عهد الأسرة الحادية والعشرين[1]، بينما يشير آخرون إلى أنه قد عاش بشكل أكيد في عهد الأسرة الثانية والعشرين، وربما كان في أول عهد الأسرة الثانية والعشرين أو آخرها[2]. ويوصف هذا الرجل بأنه كان شيخاً متديناً وأديباً[3].

عثر على هذه التعاليم مكتوبة على ورقة بردية، وحصل عليها الباحث (والس بيدج، عام 1888م، وهي محفوظة الآن بالمتحف المصري[4]، ويعتبر الباحثون أن هذه التعاليم هي أكمل تعاليم وصلت الينا من الأدب المصري القديم، وهي تحتوي على مقدمة وثلاثين فصلاً، تتناول نصائح وتعاليم هذا الكاتب إلى ابنه حول واجباته أثناء تلقيّه التعليم ونصيحته بالحزم في المناقشة والتفرقة بين الجهل والحكمة وكيفية معاملة الآخرين، كما تتناول نصائح ومواعظ دينية[5]، وهو الأمر الذي دعا بعض الباحثين إلى اجراء دراسة مقارنة لها مع ما جاء في سفر الأمثال وخاصة الاصحاح الثاني والعشرين والثالث والعشرين، والذي ينسب لسليمان حيث صار في حكم المؤكد أن هذه التعاليم هي المصدر الأساسي لما جاء في هذا السفر[6]، وهو أمر لا يبدوا غريباً حيث أن عدد كبير من النصوص التوراتية قد اعتمدت على التراث السابق لشعوب المنطقة الذي نسبه كتبه التوراة لأنفسهم ثم أثبتت المكتشفات الأثرية في بلاد الرافدين والشام ووادي النيل عن أصحابه الحقيقيين[7]، وقد قدم الباحث الكبير سليم حسن مقارنة شاملة بين نصوص (أمنموبي) وبين سفر الأمثال، وتظهر هذه

(1) بيتر كامب، المرجع السابق، ص37.
(2) عبدالعزيز صالح، الشرق الأدنى القديم، جا، ص390.
(3) المرجع نفسه، وكذلك الصفحة.
(4) سليم حسن، مصر القديمة، جا، ص231.
(5) نجيب ميخائيل إبراهيم، الشرق الأدنى القديم، ص515.
(6) المرجع نفسه، ص517.
(7) للمزيد حول هذا الموضوع انظر: سليم حسن، الأدب المصري القديم، جا، ص ص231-280.

المقارنة أن ما ورد في هذا السفر يمثل نقلاً حرفياً لتعاليم (امنموبي)، ولعل هذا ما يزيد من التأكيد على فرضية أن هذا الأديب الحكيم قد عاش في عهد الأسرة الثانية والعشرين، والتي شهد بداية عهدها علاقات كبيرة بالدولة اليهودية كانت سلمية حيناً وعدائية حيناً آخر كما مر بنا سابقاً، مما أفسح المجال أمام اليهود لاقتباس هذه التعاليم، ومن ثم نسبتها إلى زعمائهم الروحيين متجاهلين مصادرها الأصلية وهي قضية بالغة الأهمية تحتاج إلى دراسة عميقة من أجل إعادة الفضل لأهله ـ وتصحيح كتابة التاريخ، بما في ذلك جوانبه الدينية والثقافية الأشد تأثيراً وخطورة من الجوانب الأخرى.

الخاتمـة

من المقولات الشائعة في مجال البحث أن على الباحث أن يختار بين خطأين: أن يكتب كثيراً أو أن يكتب قليلاً للتعبير عن فكرته التي يبحث فيها، فالاطالة في الحديث قد تبعث على الملل وتشتت الفكرة وتخفيها بين بديع الألفاظ ورونق العبارات حتى يصير العثور عليها صعب المنال كما أن الاختصار قد يؤدي إلى الخلل في التعبير عن الفكرة وتوضيحها وبيانها للآخرين، وذلك هو هدف كل باحث وقد حاولت جهدي التوفيق بين الأمرين فكان هذا العمل المتواضع الذي أرى أنه قد خلص إلى النتائج التالية: -

أولاً: أن التاريخ لشعب أو أمة أو منطقة جغرافية معينة لا يعتمد على المادة التاريخية فقط بل على المنهج الذي يتبع في دراسة وتحليل هذه المادة التاريخية، ونتائج أية دراسة تاريخية تترتب بالضرورة على ذلك المنهج وحيث أن المنهج الذي ساد فترة طويلة في دراسة تاريخ الحضارات القديمة في الوطن العربي والعلاقة بين الجماعات المختلفة التي صنعت تلك الحضارات كان يتسم بالتجزيئية والمحلية، فانه قد أسفر عن تصور غير دقيق لطبيعة العلاقة بين أجزاء هذا الكل الحضاري الواحد، وما يتبع ذلك من سوء تفسير للكثير من أحداث ذلك التاريخ.

ثانياً: أن التطور الاجتماعي والحضاري لبعض الجماعات والذي أسفر

عن ظهور الدولة كنظام مبتدع تنضوي تحته تلك الجماعات، كان حدثاً بارزاً ومهماً يقف على قدر المساواة مع التطورات الحضارية التي شهدها تاريخ الإنسان، وأن أثره كان بالغاً في تحديد العلاقة بين جماعة وأخرى متجاوزاً في كثير من الأحيان وشائج القربى، وصلات النسب، وهو أمرُ تفرضه متطلبات ذلك التطور السياسي.

ثالثاً: ان اسقاط تصورات الحاضر على الماضي مهما كان متشابهاً من ناحية ظاهرية يوقع الباحث في أحكام خاطئة ويلبس الماضي ثوباً لا يصلح له مهما أحكم نسجه وبولغ في تزيينه وتلوينه.

رابعاً: أن معظم الأدلة الأثرية التي اعتمد عليها الباحثون في رسم طبيعة العلاقة بين أهل الوادي ومن يحيط بهم من جماعات أخرى لا تشير إلى أنها كانت علاقة بين جماعات مختلفة أو شعوب يجمعها حسن الجوار حيناً وسوءه حيناً آخر ولكنها في حقيقتها علاقة بين جماعة واحدة انقسمت بحكم طبيعة المقام إلى حضر مستقرين، وبدو متجولين، والى مزارعين يرتبطون بالأرض ويخضعون لنظام سياسي يؤلف بينهم ورعاة لا يرتبطون بحدود مصنوعة أو نظم موضوعة ليس حباً في الفوضى ولكنها لا تناسب طبيعة حياتهم.

خامساً: أن مراكز الحضارة والعمران في منطقة قاسية مجدية لا بد أن تكون هدفاً لنهر متدفق من المهاجرين الذين حتى وأن اصطدموا بمن سبقهم إلى الاستقرار إلا أن هجرتهم تدفع بدماء جديدة وقيم جديدة، وقوة دفع جديدة لتلك المجتمعات المستقرة فتجدد شبابها وترفع من وتيرة حيويتها وتوّثق الصلات بين جماعة وأخرى.

سادساً: أن لكل مركز حضاري أو سياسي أطرافه التي تدين له بقدر يزيد أو ينقص من الولاء حسب قوة التأثير الحضاري والسياسي لذلك المركز، وحسب تقلبات الأحوال وأن العلاقة بين الدولة المصرية والقبائل التي قطنت غربها تدخل ضمن هذا الاطار.

سابعاً: أن العلامات والإشارات والمزايا الظاهرية التي اعتمد عليها الباحثين في تصنيف الفريقين إلى (ليبيين ومصريين) هي أرث مشترك بين الطرفين وأن كانت قد غاب بعضها أو كلها لدى أهل الوادي بحكم سنه التطور وطبيعة الحياة، وهو أمر لانزال نشهده في مجتمعاتنا المعاصرة وما تحمله من اختلافات ظاهرية بين البدو والحضر وأننا لو استخدمنا مثل هذه الظواهر الخارجية كاللباس مثلاً معياراً لتصنيف الجماعات البشرية وعلاقتها ببعضها لوصلنا إلى نتائج خاطئة حتى يمكن على سبيل المثال أن تنسب سكان مدينة مثل طرابلس أو القاهرة أو بغداد إلى الفرنسيين أو الألمان لأنهم يرتدون بدله إفرنجية يتميز بها الأوروبيون المحدثون.

ثامناً: أن ما يصدق على العلاقة بين الوادي وغربه يصدق أيضاً على ما جاوره من الشرق فلم يكن الذين وصفوا بالهكسوس والذين أدعّى البعض إنهم جنس مجهول سوى هجرة بدوية لقبائل تمت بكل صلات النسب والقربى لأهل النيل وإنهم لم يكونوا همجاً أو غزاة بل كان دخولهم إلى الوادي حلقة في سلسلة متصلة من الهجرة التي لم تنقطع بين مناطق الدفع ومناطق الجذب في اطار هذه الرقعة الجغرافية الواحدة والتي تعيش داخل سياج حضاري واحد مهما اختلفت تسمياتها عبر العصور.

تاسعاً: أن شواهد التاريخ وتسلسل الأحداث يقود إلى الاستنتاج أن هؤلاء الهكسوس لم يكونوا سوى فرع ممن عرفوا بالعموريين والذين استوطنوا أجزاء من الشام، ودفع بعضهم إلى وادي النيل.

عاشراً: أن معظم الروايات التاريخية المتعلقة بهؤلاء ليست سوى (تقارير حكومية) لا تصلح لكتابة التاريخ، وأن ما وقع من أحداث في عهدهم لم يكن سوى صراع على السلطة وهو صراع لا يخلو منه عصر من العصور.

الحادي عشر: أن الفترة التي تسبق دخول هؤلاء المهاجرين قد شهدت تدفقاً واسعاً للمهاجرين من الغرب والجنوب، وامتدت على طول الحدود

الغربية للوادي، وهو ما يقود منطقياً إلى الاستنتاج باندماج هاتين الهجرتين في منطقة الوادي بنفس الأسلوب التي وقع في عصور سابقة وأضاف إلى الوادي رصيداً بشرياً وحضارياً جديداً.

الثاني عشر: أن هذه التطورات الاجتماعية قد أثمرت تطوراً جذرياً في الفكر السياسي للدولة المصرية فتحولت من دولة حول شاطئ النيل إلى دولة اقليمية كبرى ضمتّ تحت لوائها عدداً كبيراً من القبائل والجماعات من برقة غرباً وحتى أقصى النوبة جنوباً والشام شرقاً.

الثالث عشر: أن هذا التحول السياسي قد أسفر عن ارتفاع شأن الجيش وقادته حتى صار معظم فراعنة الدولة في عصر الدولة الحديثة من صفوف المؤسسة العسكرية، وحيث أن جيش الدولة كان في معظمه جنوداً وقادة من أهل القبائل لذلك فقد صار لهؤلاء نفوذ ضخم في الدولة، وكان ذلك أول خطوة لوصوهم إلى السلطة.

الرابع عشر: أن المؤسسة العسكرية قد تحالفت مع السلطة الدينية مما أدى إلى ارتفاع شأن الأخيرة في الحياة السياسية في وادي النيل، وخاصة تلك الطائفة التي تتبع الآلهة آمون في طيبة، وقد أدرك أبناء المهاجرين هذه الحقيقة فانتسبوا إلى هذه المؤسسة، واستطاعوا بالتدريج أن يسيطروا على أعلى المناصب الدينية، وخاصة تلك التي تتعلق بالإلٰه حرشف إلٰه أهناسيا، وتوفر بذلك لهم نفوذ سياسي وديني مهدّ الطريق أمامهم لتولي السلطة.

الخامس عشر: ترتّب عن هذين الامتيازين ارتفاع شأن هؤلاء اقتصادياً من خلال الاقطاعات والامتيازات والهبات فامتلكوا بذلك مصدراً جديداً من مصادر القوة والسلطة وبهذه القوى الثلاث: العسكرية والدينية والاقتصادية، كان طبيعياً أن يصير الطريق أمامهم لتولّي السلطة مفتوحاً، وهو ما حصل مع نهاية الأسرة الحادية والعشرين.

السادس عشر: لقد كان وصول القبائل الليبية إلى السلطة نتيجة لتطور

طبيعي وتبدّل في مراكز القوى الاجتماعية في الدولة المصرية ولم يكن نتيجة لغزو أو احتلال أو اغتصاب لهذه السلطة.

السابع عشر: أن قيام ما عرف بحكم الليبيين في مصر قد أعاد للدولة المصرية وحدتها وهيبتها وأنقذها من الضعف والركود والانقسام.

الثامن عشر: أن هذا الحكم لم يكن يمثلّ حكم قبيلة بل هو حكم يمثلّ قوى المهاجرين ودليل ذلك اختلاط تسميات القبائل المكونّة لهم حتى صارت أية تسمية دليلاً على الأخرى.

التاسع عشر: أن قيام هذا الحكم قد أحدث تغيرات أساسية وحاسمة في النطاق الإقليمي تمثلّ في: ـ

أ ـ وقف نمو تقدم المشروع اليهودي وتسديد ضربة قوية له ساهمت في اضعافه ومن ثّم سقوطه أخيراً على يد القوة الصاعدة وهي القوة الآشورية.

ب ـ حماية المنطقة من هذا الخطر وإنقاذها من تلك العاصفة الهوجاء التي حملت عقيدة منحرفة تعتمد على الإبادة تحت شعار شعب الله المختار.

جـ ـ أكدّت قيمة وأهمية العلاقة الوثيقة بين الوادي ومنطقة الشام، وأن كل خطر يهدد احداها يؤثر مباشرة على الأخرى فجددت بذلك العلاقة الطبيعية مع منطقة الشام وأعادتها إلى صورتها الطبيعية.

العشرون: توصلت هذه الدراسة إلى أن فترة الحكم الليبي تحتاج إلى دراسة شاملة وعميقة وبحث تاريخي جاد لجلاء بعض غموضها خاصة مع قلّه ما كُتب عنها بسبب تجاهلها حيناً وقلةّ مصادرها حيناً آخر، وهي مهمة ملقاة على عاتق كل من يتصدى لكتابة تاريخ هذه المنطقة.

الحادي والعشرون: أضاف الحكم الليبي قدراً كبيراً من المنجزات الحضارية المعمارية والفكرية والأدبية صار يمثل جزءاً من الرصيد الحضاري لمنطقة الوادي خاصة، والمنطقة العربية عامة.

الثاني والعشرون: من الحقائق البارزة التي يجب التأكيد عليها أن دراسة تاريخ المنطقة القديم والعلاقة بين أجزائه يستلزم دراسة اللغات القديمة لهذه المنطقة لأن ذلك هو الوسيلة الأساسية لفهم هذا التاريخ والادراك لتواصل الثقافي العميق بين الماضي والحاضر فليس من المفهوم أن نهتم بدراسة اللاتينية أو الأغريقية وهما لغتان غريبتان عنّا ونهمل دراسة لغاتنا القديمة بمختلف مسمّياتها، والتي كتُب بها تاريخ المنطقة وعليها اعتمد الباحثون في دراسة ذلك التاريخ.

الثالث والعشرون: توصلت هذه الدراسة إلى تأكيد حقيقة مهمة عبّر عنها أحد الباحثين في (تاريخ أفريقيا العام) عندما أشار إلى أن من عرفوا بالليبيين مثلّوا على الدوام، وعبر مراحل تاريخ الدولة المصرية احتياطاً بشرياً واقتصادياً وحضارياً كبيراً لها وهو ما يؤكد وحدة الأرض والشعب والثقافة، وذلك ليس فرضاً من الفروض بل صار حقيقة واضحة للعيان.

المصادر والمراجع

أولاً: المصادر العربية:

1 ـ القرآن الكريم.
2 ـ الكتاب المقدس (العهد القديم والجديد)، دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط، 1990ف.
3 ـ ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، المقدمة، ط1، دار العلم للملايين، بيروت، 1978ف.
4 ـ ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر، جـ 6، منشورات دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1958ف.
5 ـ ابن عذاري، أبو العباس أحمد، البيان المغرب في أخبار المغرب، جـ1، دار صادر، بيروت، 1950ف.
6 ـ القرطبي، أبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري، الجامع لأحكام القرآن، جـ 5، ط 2، دار الشام للتراث، بيروت، د.ت.
7 ـ المسعودي، أبي الحسن علي بن الحسين بن علي، مروج الذهب ومعادن الجوهر جـ1، ط3، دار الأندلس للطباعة والنشر، بيروت، 1978ف.
8 ـ مختار القاموس.
9 ـ هيرودوت، الكتاب الثاني، ترجمة: محمد صقر خفاجة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1987ف.

10 ـ هيرودوت، الكتاب الرابع، ترجمة: علي فهمي خشيم، (فصل من كتاب نصوص ليبية، ط2، دار مكتبة الفكر، طرابلس، 1975ف.

ثانياً: المصادر غير العربية:

1 - Flavious. Josephus, Against Apion, (trans: H.ST. Thackeray) London. 1926.
2 - Herodotus, Book II, (trans: Waddell. W.G). London. 1939.
3 - Manetho, (trans: Waddell. W.G). Loep classical Library Cambridge, 1941.

ثالثاً: المراجع العربية والمترجمة:

11 ـ إبراهيم، نجيب ميخائيل. مصر والشرق الأدنى القديم، جـ4، ط2، دار المعارف القاهرة، 1966ف.

12 ـ أبو بكر، عبد المنعم، كفاحنا ضد الغزاة، العصر الفرعوني، القاهرة، 1957ف.

13 ـ الأثرم، رجب عبد الحميد. (العلاقات الليبية المصرية حتى تأسيس الأسرة الثانية والعشرين)، مجلة البحوث التاريخية، العدد (1)، السنة السادسة، يناير، 1984ف.

14 ـ أحمد، محمد عبد الحميد، الهجرات العربية القديمة إلى مصر، دار طلاس للطباعة والترجمة والنشر، دمشق، 1988ف.

15 ـ أركون، محمد. الإسلام والأخلاق السياسية، ثورة النص، معهد الأنماء العربي، بيروت، 1990ف.

16 ـ إلياذ، مرسيا. أسطورة العود الأبدي، ترجمة: نهاد خياط، دار طلاس للترجمة والنشر، دمشق، 1987ف.

17 ـ أوليفر رولاند. جون فيج. موجز تاريخ أفريقيا، ترجمة دولت صادق، الدار المصرية للتأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1965ف.

18 ـ أيوب، محمد سليمان. جرمة: من الحضارة الليبية، ط1، دار المصراتي، طرابلس، 1969ف.

19 ـ باريش، باربار. (حفريات جديدة في جبل الأكاكوس) ترجمة ميكائيل محرز، كتاب الصحراء الكبرى، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، سلسلة الدراسات التاريخية المترجمة (2)، طرابلس، 1979ف.

20 ـ بازامة، محمد مصطفى. تاريخ ليبيا، جـ1، في عصور ما قبل التاريخ، منشورات الجامعة الليبية، بنغازي، 1973ف.

21 ـ بازامة، محمد مصطفى. (تأثير الليبيين في الحضارتين المصرية واليونانية) مؤتمر ليبيا في التاريخ، منشورات الجامعة الليبية، بنغازي، 1968ف.
22 ـ باقر، طه. عصور ما قبل التاريخ وعلاقتها بأصول الحضلارات القديمة، مؤتمر ليبيا في التاريخ، منشورات الجامعة الليبية، بنغازي، 1968ف.
23 ـ بالخير، الهاشمي، (عامل الدقة في الرواية الشفهية)، مجلة البحوث التاريخية، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، العدد (1)، السنة السادسة، يناير، 1984ف.
24 ـ بدج، والس. كتاب الموتى الفرعوني، ترجمة فيليب عطية، ط1، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1988ف.
25 ـ بدوي، أحمد. في موكب الشمس، جـ1، جـ2، ط1، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1950ف.
26 ـ برستد، جيمس هنري، العصور القديمة، ترجمة: داود قربان، دار عز الدين للطباعة والنشر، بيروت، د.ت.
27 ـ حتي، فيليب، تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين، ترجمة: جورج حداد، ط3، دار الثقافة، بيروت، د.ت.
28 ـ حرب، علي، أسئلة الحقيقة ورهانات الفكر، ط1، دار الطليعة، بيروت، 1994ف.
29 ـ حسن، سليم، مصر القديمة، جـ1، في عصر ما قبل التاريخ إلى نهاية العهد الأهناسي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2001ف.
30 ـ حسن، سليم، مصر القديمة، جـ2، مدينة مصر وثقافتها في الدولة القديمة والعهد الأهناسي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2001ف.
31 ـ حسن، سليم، مصر القديمة، جـ3، تاريخ الدولة الوسطى ومدنيتها وعلاقاتها بالسودان والأقطار الآسيوية والعربية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2001ف.
32 ـ حسن، سليم، مصر القديمة، جـ4، عهد الهكسوس وتأسيس الإمبراطورية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 200ف.
33 ـ حسن، سليم، مصر القديمة، جـ6، عصر رمسيس الثاني وقيام الإمبراطورية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2000ف.
34 ـ حسن، سليم، مصر القديمة، جـ7، عصر مرنبتاح ورمسيس الثالث ولمحة في تاريخ لوبيا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2001ف.

35 ـ حسن، سليم، مصر القديمة، جـ9، نهاية الأسرة الواحدة والعشرين، وحكم دولة اللوبيين لمصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2001ف.

36 ـ حسن سليم، مصر القديمة، جـ10، تاريخ السودان المقارن إلى أوائل عهد بعنخي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2001ف.

37 ـ حسن، سليم، مصر القديمة، جـ11، تاريخ السودان من أول عهد بعنخي حتى نهاية الأسرة الخامسة والعشرين، ولمحة في تاريخ آشور، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2001ف.

38 ـ حسن، سليم، الأدب المصري القديم، جـ1، 2، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2001ف.

39 ـ حسين، أحمد، موسوعة تاريخ مصر، جـ1، مطبوعات مؤسسة دار الشعب، القاهرة، 1983ف.

40 ـ برستد، جيمس هنري، تاريخ مصر منذ أقدم العصور، ترجمة حسن كمال، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1999ف.

41 ـ برستد هنري. فجر الضمير، ترجمة سليم حسن، سلسلة الألف كتاب (108)، مكتبة مصر، القاهرة، 1980ف.

42 ـ بوزنر، جورج وآخرون. معجم الحضارة المصرية، ترجمة أمين سلامة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1996ف.

43 ـ بوكاي، موريس. القرآن والتوراة والأنجيل والعلم، منشورات جمعية الدعوة الإسلامية، طرابلس، د.ت.

44 ـ تاوته، فولفانج. (نهاية العصر الحجري القديم في شمال أفريقيا)، ترجمة ميكائيل محرز، كتاب الصحراء الكبرى، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، 1979ف.

45 ـ توفيق، سيد. معالم تاريخ وحضارة مصر الفرعونية، دار النهضة العربية، القاهرة، 1990ف.

46 ـ توينبي، أرنولد. تاريخ البشرية، جـ1، ترجمة نقولا زيادة، الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت، 1988ف.

47 ـ جارودي، روجيه. حوار الحضارات، ترجمة عاد العوا، ط1، منشورات عويدات، بيروت، 1978ف.

48 ـ جاد الله، فوزي فهيم. (مسائل في مصادر التاريخ الليبي قبل هيرودوت)، مؤتمر ليبيا في التاريخ، منشورات الجامعة اللبية، بنغازي، 1968ف.
49 ـ الجوهري، يسري. شمال أفريقيا، دراسة في الجغرافية التاريخية والإقليمية، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر والتوزيع، الاسكندرية، 1968ف.
50 ـ خشيم، علي فهمي. نصوص ليبية، دار مكتبة الفكر، طرابلس. ط2، 1975ف.
51 ـ خشيم، علي فهمي، بحثاً عن فرعون العربي، الدار العربية للكتاب، طرابلس، 1985ف.
52 ـ خشيم، علي فهمي، آلهة مصر العربية، جـ1، 2، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، ودار الأفاق الجديدة، الرباط، ط1، 1990ف.
53 ـ خشيم، علي فهمي. التواصل دون انقطاع، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، مصراتة، ط1، 1428.
54 ـ خفاجة، محمد صقر. هيرودوت يتحدث عن مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1978ف.
55 ـ دريتون، ايتين، جان، فانديه، مصر، ترجمة: عباس بيومي، مطبعة النهضة المصرية، القاهرة، د.ت.
56 ـ ديفس، جـ1، وعبد الحميد زائد. (علاقات مصر بسائر أجزاء أفريقيا)، تاريخ أفريقيا العام، المجلد الثاني، حضارات أفريقيا القديمة، جين أفريك، اليونسكو، 1985ف.
57 ـ ربيعو، تركي علي. الإسلام وملحمة الخلق والأسطورة، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1992ف.
58 ـ رزقانه، عبد الحميد أحمد. الحضارة المصرية في فجر التاريخ، القاهرة، 1948ف.
59 ـ رسل، برتراند. حكمة الغرب، ترجمة فؤاد زكريا، سلسلة عالم المعرفة (62)، الكويت، 1983ف.
60 ـ روسي، آتوري، ليبيا منذ الفتح العربي حتى سنة 1911ف، ترجمة خليفة محمد التليسي، الدار العربية للكتاب، طرابلس ط2، 1991ف.
61 ـ زائد، عبد الحميد. مصر الخالدة، جزءان، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 2002ف.

62 ـ زريق، قسطنطين. نحن والتاريخ، دار العلم للملايين، بيروت، ط4، 1979ف.

63 ـ سالم، عبد العزيز. المغرب الكبير، جـ2، دار النهضة العربية، بيروت، 1981ف.

64 ـ سعيد، محمد السيد. (فكرة المجتمع المدني)، مجلة العربي الكويتية، عدد (447) فبراير، 1996ف.

65 ـ السواح، فراس. مغامرة العقل الأولى، دراسة للأسطورة، سوريا وبلاد الرافدين. دار الكلمة للنشر، بيروت، ط 3، 1982ف.

66 ـ سيد، عبد المنعم عبد الحليم. حضارة مصر الفرعونية، جـ1، دار المعرفة الجامعية القاهرة، 1999ف.

67 ـ شامو، فرانسوا. الإغريق في برقة، التاريخ والأسطورة، ترجمة محمد عبد الكريم الوافي، منشورات جامعة قاريونس، ط1، 1990ف.

68 ـ شكري، أنور، الفن المصري القديم، القاهرة، 1960ف.

69 ـ شيبوب، عبد الله، حضارات الوطن العربي، مطابع الثورة العربية، طرابلس، 1428.

70 ـ صالح، عبد العزيز. الشرق الأدنى القديم، جـ1، مصر والعراق، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط 44، 1990ف.

71 ـ صالح، عبد العزيز. الشرق الأدنى القديم، جـ1، الأنجلو المصرية، القاهرة، القاهرة، ط3، 1992ف.

72 ـ صبحي، أحمد محمود. فلسفة التاريخ، منشورات الجامعة الليبية، كلية الآداب، بنغازي، د. ت.

73 ـ صبحي، محي الدين. ملامح الشخصية العربية، الدارالعربية للكتاب، طرابلس، د. ت.

74 ـ طليمات، عبد القادر أحمد، (سكان ليبيا عند اليعقوبي) مؤتمر ليبيا في التاريخ، منشورات الجامعة الليبية، بنغازي، 1968ف.

75 ـ العبادي، أحمد مختار. في التاريخ العباسي والفاطمي، دار النهضة العربية، بيروت، 1971ف.

76 ـ عبد الساتر، لبيب. الحضارة، دار المشرق، بيروت، ط9، 1982ف.

77 ـ عبد العال، زينب محمود. الأفريقيون في الآثار المصرية، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة القاهرة، مركز الدراسات الأفريقية، 1990ف.

78 ـ عبد القادر، حامد. الأمم السامية، مصادر تاريخها وحضارتها، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، ط1، 1981ف.
79 ـ عبد العليم، مصطفى. دراسات في تاريخ ليبيا القديم، منشورات الجامعة الليبية بنغازي، 1966ف.
80 ـ عصفور، محمد أبو المحاسن. معالم تاريخ الشرق الأدنى القديم، دار النهضة العربية، بيروت، ط2، د.ت.
81 ـ عصفور، محمد أبو المحاسن. معالم حضارات الشرق الأدنى القديم، دار النهضة العربية، بيروت، ط2، 1987ف.
82 ـ علي، جواد. المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، جـ1، دار العلم للملايين ومكتبة النهضة ببغداد، ط2، 1976ف.
83 ـ علي، جواد. المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، جـ5، مطبوعات المجتمع العلمي العراقي، بغداد، د.ت.
84 ـ علي، رمضان عبده. (اللوحة ذات النصين)، مجلة كلية الآداب، جامعة المنيا، مجلد (18)، جـ1، أكتوبر، 1995ف.
85 ـ علي، رمضان عبده، تاريخ مصر القديم، جـ2، دار انهضة الشرق، القاهرة، 2001ف.
86 ـ علي زكي، وآخرون. مصر في العصور القديمة، دار المعارف بمصر، القاهرة د.ت.
87 ـ عيسى، محمد علي. (الجذور التاريخية لسكان المغرب القديم من خلال المكتشفات الأثرية والمصادر التاريخية، مجلة الجديد للعلوم الإنسانية، عدد (5)، المركز القومي للبحوث والدراسات العلمية، طرابلس، 2000ف.
88 ـ عيسى، محمد علي. (اسم ليبيا ودلالته)، مجلة تراث الشعب، السنة التاسعة عشرة، العدد (1)، طرابلس، 1999ف.
89 ـ غاردنر، آلن. مصر الفراعنة، ترجمة نجيب ميخائيل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط2، 1987ف.
90 ـ فخري، أحمد مصر الفرعونية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1994ف.
91 ـ فروخ، عمر. العرب في حضارتهم وثقافتهم، دار العلم للملايين، بيروت، ط2، 1981ف.
92 ـ فيبر، مانفرد. (المصريون القدماء والصحراء الكبرى)، ترجمة عماد غانم، كتاب الصحراء الكبرى، مركز جهاد الليبيين، طرابلس، 1979ف.

93 ـ فيركوتير، جان. مصر القديمة، ترجمة ماهر جويجابي، دار الفكر للدراسات والنشر، القاهرة، ط1، 1993ف.

94 ـ القمني، سيد محمود. النبي إبراهيم والتاريخ المجهول، دار سينا للنشر، القاهرة، ط1، 1990ف.

95 ـ القمني، سيد محمود. الأسطورة والتراث، دار سينا للنشر، القاهرة، ط1، 1992ف.

96 ـ كامب، باري. تشريح حضارة، ترجمة أحمد محمود، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط1، 2000ف.

97 ـ كوبر، رودلف. (ما هو العصر الحجري الحديث في الصحراء الكبرى؟)، ترجمة ميكائيل محرز، كتاب الصحراء الكبرى، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، 1979ف.

98 ـ ليستر، ايفار. الماضي الحي، ترجمة شاكر إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1981ف.

99 ـ مايكلوفسكي، ايمانويل. عصور في فوضى، ترجمة رفعت السعيد، منشورات جماعة حور الثقافية، القاهرة، ط1، 2000ف.

100ـ مجموعة من الباحثين. تاريخنا، الكتاب الأول والثاني، دار التراث، جنيف، د.ت.

101ـ محمد، عمر المشري. بلاد القرن الأفريقي، شعبة التثقيف والإعلام، والتعبئة، وحدة الكتاب، ط1، 1428.

102ـ مراجع، حسين عبد العال. العلاقات الليبية الفرعونية، دار أماني للطباعة والنشر، طرسوس، ط1، 1989ف.

103ـ مري، مرجريت. مصر ومجدها الغابر، ترجمة محرم كمال، سلسلة الألف كتاب الثاني (290)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1998ف.

104ـ مناع، عبد الرزاق. الصحراء الكبرى، دار مكتبة الفكر، طرابلس، 1969ف.

105ـ منقوش، ثريا. التوحيد يماني، دار الطليعة، بيروت، 1977ف.

106ـ مهران، محمد بيومي. الحضارة المصرية القديمة، جـ1، الاسكندرية، 1989ف.

107ـ مهران، محمد بيومي. المغرب القديم، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، 1990ف.

108ـ موري، فايريتشيو. تادرارت أكاكوس: الفن الصخري وثقافات الصحراء قبل التاريخ، ترجمة: عمر الباروني وفؤاد الكعبازي، منشورات مركز جهاد الليبيين، 1988ف.

109ـ مينشنغ، هورست. (هل تزحف الصحراء)، ترجمة ميكائيل محرز، كتاب الصحراء منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، 1979ف.

110ـ نارودوتشي، غوليالم. استيطان برقة قديماً وحديثاً، ترجمة: إبراهيم أحمد المهدوي، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، طرابلس، ط1، 1425.

111ـ الناظوري، رشيد المغرب الكبير، جـ1، دار النهضة العربية، بيروت، 1981ف.

112ـ نور الدين، عبد الحليم. تاريخ وحضارة مصر القديمة، الخليج العربي للطباعة والنشر، ط3، 1999ف.

113ـ النور، أسامة عبد الرحمن. أبو بكر يونس شلابي. تاريخ الإنسان حتى ظهور المدنيات، منشورات (L.G.A)، فاليتا، مالطا، 1995ف.

114ـ نيلسون، ديتف وآخرون. الديانة العربية القديمة، ترجمة فؤاد حسين، مكتبة النهضة العربية، القاهرة، 1958ف.

115ـ هيجل، فريدريك. محاضرات في فلسفة التاريخ، ترجمة إمام عبد الفتاح إمام، دار نشر الثقافة، القاهرة، 1980ف.

116ـ وجدي، محمد فريد دائرة معارف القرن العشرين، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، ط3، 1971ف.

117ـ يحيى، لطفي عبد الوهاب. العرب في العصور القديمة، دار النهضة العربية، بيروت، 1979ف.

118ـ يويوت، جان. مصر الفرعونية، ترجمة سعد زهران، القاهرة، 1976ف.

رابعاً: المراجع الأجنبية.

- Arkell, J. A., History of the Sudan to 1821. A.D. university of London, 1961.
- Armour. A. Robert, Gods and Myths of Ancient Egypt, the American university in Cairo Press, 1977.
- Bates. O, the Eastern Libyans, Frank Cass and Co. London, 1970.
- Brasted. J.H., Ancient, Records of Egypt, 4vols, Chicago, 1906.

- Brasted. H.H, History, of Egypt, New York, 1946.
- Brasted. J.H., History of Egypt (in Cambridge Ancient history), vol.2, Chicago, 1926.
- Budge. Wallis. E.A, The Dwellers on the Nile, Dover Publications inc. New York, 1977.
- Edgirton, W.F. and Wilson. J.A, Historical Records of Ramesses III, Chicago, 1936.
- Enbeg, Robert. M. The Hyksos Reconsidered, Chicago, 1939.
- Fakhry. A., Bahria Oasis, vol. I, Cairo, 1942.
- Gardiner, S.A. Egypt of the pharaohs, Oxford, 1972.
- Gardiner, S.A. (New Litrary Workes from ancient Egypt) in J.E.A. Vol., I, 1914.
- Gardiner, S.A. Ancient Egyptian Onomastica, 5Vols. Oxford, university Press, London, 1947.
- Gunn. B. and Gardiner; The expulsion of the Hyksos. in (J.E.A) Vol. 5. 1918.
- Hall. H.R. The ancient history of the near east, Methuen and Co. London, 1913.
- Hall. H.R. Egyptian Chronology, (Cambridge Ancient) history, Vol. I, 1923.
- Triger. B.G. Ancient Egypt, asocial history, Cambridge, university press, New York, 1989.
- Jewish Encyclopedia New York Vol. I. 1902.
- Mc Burney, C.B.M, The Ston age of Northern Africa, apelican book, 1960.
- Petrie. W.M.F, History of Egypt, Vol. I, London, 1924.
- Reynolds. J., (Inscription of Roman Cyrenica) in (Libya in history) Benghazi, 1968.
- Spengler. O. The decline at the West, (trans. by: Atkinson G.F.A.) Vol. I. London, 1932.
- Wain Wright. G.A., The Meshwesh, in (J.E.A) Vol. 48, 1962.
- Wilson. J.A., (Egyptian historical textes), in ancient near east textes, prinston, 1950.
- Wilson. J.A., (the Libyan and the end of Egyptian Empire), in (A.J.S.S L), Vol. I, 1935.